

# يهود الخزر

وأدوارهم السياسية في التاريخ

رشدي محمود رشيد العاني

العبيكان  
Obekan

للحصول على كتبنا الورقية



للحصول على كتبنا الورقية



للحصول على كتبنا الإلكترونية



## ح شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العاني، رشدي محمود رشدي

يهود الخزر وأدوارهم السياسية في التاريخ/  
رشدي محمود رشدي العاني.

الرياض، ١٤٣٨هـ

٣١٢ ص؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٥٠٩-٠٨٧-٢

١- اليهود - تاريخ - أ.العنوان

ديوي ٢٣٩،٤ رقم الإيداع: ١٤٣٨/٧٢٨٣

## الطبعة الأولى

٢٠١٨م / ١٤٣٩هـ

نشر وتوزيع  
**العبيكان**  
Obëkan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: +٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس: +٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٠٩٥

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.





## مَجْمُوعَاتُ الْكِتَابِ

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
الفصل الأول: التمهيد	١٧
المبحث الأول المفاهيم العامة	٢١
المبحث الثاني اليهود عبر العصور	٣٥
المبحث الثالث أصول المجتمع اليهودي القديم	٤٦
الفصل الثاني: مملكة يهود الخزر	٦١
المبحث الأول المفاهيم والمصطلحات	٦٣
المبحث الثاني تحول الخزر الى الديانة اليهودية	١٠٦
المبحث الثالث علاقة يهود الخزر بدول الجوار	١٢١
الفصل الثالث: نهاية إمبراطورية الخزر	١٤٧
المبحث الأول انحلال وسقوط الإمبراطورية الخزرية	١٤٩
المبحث الثاني يهود الخزر والشتات	١٧٣
المبحث الثالث يهود الخزر و دورهم في اغتصاب فلسطين ...	٢٧٠
الخاتمة	٢٨٩
المراجع والمصادر	٢٩٣



والحقيقة أن من يزعمون..... أنفسهم (يهوداً)  
المتحدرين تاريخياً من سلالة الخزر، يشكلون أكثر  
من ٩٢ بالمئة من جميع من يسمون أنفسهم (يهوداً)  
في كل مكان من العالم اليوم، والخزر الآسيويون  
الذين أنشؤوا مملكة الخزر في أوروبا الشرقية،  
أصبحوا يسمون أنفسهم (يهوداً) بالتحول والاعتناق  
سنة ٧٢٠م، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط  
(الأرض المقدسة) في تاريخ (العهد القديم). هذه  
حقيقة تاريخية لاتقبل جدلاً....

بنيامين فريدمان



## المقابلة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابه الغر الميامين، ومن سار على سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.... وبعد...

لقد ضمت صفحات التاريخ في طياتها أحداثاً جساماً غفل عنها العالم بأسره؛ وكان ذلك لسبب واحد لا غير؛ وهو جهل أغلب أبناء هذه الأمة بتاريخ غيرهم من شعوب العالم؛ لذلك فإن قراءة التاريخ ودراسته تكشف مكنونات وخبايا تتعرف الأمة من خلالها على صفحات ومزايا غيرها من الشعوب؛ فصفات الشعوب متأصلة في أبنائها، تنقلها الأجيال تلو الأجيال؛ لذلك قيل: «إن التاريخ يعيد نفسه»، فلو عرف أبناء أمتنا تاريخ اليهود على حقيقته منذ أن نشأ أولئك وما تعرضوا له من الويلات والشتات جراء ممارساتهم وانحرافاتهم عن مسار الإنسانية، لما حل بالأمة التي تعاني منه الآن.

إن الذي أنقذ الشعوب الغربية والأوربية من ويلات الجماعات اليهودية فقط هو معرفتهم وإلمامهم بتاريخ اليهود...

لقد عانت شعوب أوروبا ومواطنو الولايات المتحدة وبريطانيا من الجماعات اليهودية، ما دفعهم أن يبذلوا كل غالٍ ونفيسٍ من أجل جمع هؤلاء في وطن؛ كي يتخلصوا بذلك من ممارساتهم التي امتازت بسيطرة اليهود على مفاصل الحياة المهمة ومنابع المال وأماكن صنع القرار... بل أوقعوا حكومات الدول التي كانت تحتضنهم بأزمات وحروب هم في غنى عنها وعن ويلاتها.

لقد اختيرت فلسطين لأولئك في يوم كان المسلمون يغطون في غفلة استيقظ أعداؤهم لها لاستغلالها وتمرير أخطر حدث عرفه التاريخ، فلو عرف العرب من هم أولئك اليهود الذين جاؤوا من أماكن شتاتهم المتفرقة وهم يحملون هوية لا تمت لهم بصلة دم أو عرق أو دين وحتى مواطنة، لما سمحوا لشخص واحد من أولئك الأذعياء أن يدنس أرض المسلمين ويغتصبها بادعائه أنها أرض آبائه وأجداده.

لقد غفل العرب والمسلمون عن أقوام انطلقوا من أقاليم الخزر والقوقاز وشرق أوروبا وبلاد البلغار وجاؤوا بفرية لم يأت بها أحد قبلهم أو بعدهم من العالمين، تسندهم بذلك العروش الموالية لهم والخائنة من أبناء البلاد العربية.

لقد دعاني أن أكتب في هذا الموضوع أخطر حدث تاريخي مر على مر العالم وانطلقت فصول أحداثه عبر الأجيال المتعاقبة وكأن شيئاً لم يكن...

لقد انتحل الخزر هوية شعب وديانته التي انقرض أبنائها عبر التاريخ، ولم يبق منهم إلا النزر القليل... يفتقرون إلى أدنى مقومات الحياة من وطن يجمعهم أو مجتمع يضمهم.

إن الدول الغربية وإلى جانبها الولايات المتحدة الأمريكية تلقن أبنائها في المدارس أن نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هاجر من العراق ومعه أربعة آلاف من اليهود... وبين نبي الله إبراهيم وظهور اليهود ألف وأربع مئة سنة تقريباً... علماً أن غالبية أبنائنا لا يعرفون حقيقة أسلافهم وأصالة حضاراتهم...

لقد تحول الزيف الغربي الذي تغذى عليه أبناء تلك الشعوب إلى مسلمات وحقائق في عقول مجتمعاتهم، وصاروا يدافعون عنه دفاعهم عن الحق؛ وما هو إلا زيف تاريخي واغتصاب حضاري بُرر به اغتصاب الأرض، وما إن وعت الشعوب المغصوبة إلى ذلك الحدث الذي راحت تناضل وتجاهد من أجله حتى عادت الغطرسة الصهيونية والاستكبار العالمي المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية تطلق صيحات محاربة هؤلاء تحت ما يسمى بمحاربة الإرهاب.

والحق إنني لاقيت في بداية بحثي صعوبات جمة تمثلت بندرة المصادر التي تعرضت لهذا الموضوع وصعوبة الحصول على الموثوق منها.

والأمر الثاني أن في موضوع البحث حقائق خطيرة تحتاج إلى موازنة للخروج بما يقنع العدو والصديق؛ كون الموضوع يخص تاريخياً شائكاً للجماعات اليهودية التي حرصت طوال حياتها على تزوير الحقائق وتميرها على الشعوب والأجيال، بحيث أصبح بعضها حقائق مسلماً بها، وإن بحثها وتمحيصها يحتاج إلى جهد ليس بالقليل.

ولأهمية هذا الموضوع قسمت الكتاب إلى فصول ثلاثة؛ اشتمل كل فصل على ثلاثة مباحث؛

فكان الفصل الأول يتحدث عن تاريخ اليهود العام وعن أحوالهم عبر العصور القديمة وأصول المجتمع اليهودي الأول. أما الفصل الثاني فكان عن يهود الخزر، وقد تحدث فيه عن المفاهيم والمصطلحات الخاصة بتسمية الخزر وموقع بلادهم وأصولهم العرقية وعن المفاهيم العامة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وشمل البحث أيضاً تحول الخزر إلى الديانة اليهودية وعلاقتهم بدول الجوار.

أما الفصل الثالث فكان عن انحلال وسقوط دولة الخزر وأماكن شتاهم وأدوارهم السياسية فيها، وكيف هيأت لهم تلك الظروف تأسيس الجمعيات والأحزاب اليهودية التي تمثلت بالماسونية والصهيونية العالمية، ثم كانت الخاتمة التي أجملت فيها ما وصلت إليه وما خرجت به من نتائج وحقائق تاريخية.

لقد عملت غاية جهدي في الاعتماد على المصادر الموثوقة والمعتمدة كون الموضوع يخص أحداثاً تاريخية خطيرة ومهمة، وكان جهدي ينصب دائماً على المصادر المحايدة التي لم تبعد العواطف بأصحابها عن جادة الصواب، ومن حسن الطالع أنني حظيت بمصادر كانت لمؤرخين وباحثين من اليهود أنفسهم أمثال: كيستلر ودونلوب ومنتياهو وهنري فورد وفريدمان وبوكاي وليوهن وألفريد ليلينثال والسمو آل المغربي وشيريت وغيرهم كثيرون كتبوا عن هذا الموضوع؛ بل راح بعضهم يعترف علناً أن ليس ثمة علاقة بين هؤلاء اليهود وبني إسرائيل.

ثم إنني اعتمدت على مصادر عربية وأجنبية حرصت على انتقاء منها ما يعطي للبحث موضوعيته، مبتعداً عن الإسهاب والإطناب، ومتحاشياً الروايات الضعيفة أو المغالاة والتوهيل للأحداث التاريخية، ومعرزاً ما أورده بتواريخ الحدث ومكانه.

وعلى الرغم من حاجة الموضوع إلى توسع وإسهاب في فقراته وأحداثه، إلا أنني أجد أن في ذلك ابتعاداً عن المحطات الرئيسية التي يجب علينا الوقوف عندها في هذه الدراسة؛ ولا سيما وهي تضم أحداثاً خطيرة في التاريخ ستثبت فصول هذا الكتاب أن ما يدور في العالم اليوم من أحداث لم يكن إلا حصيلة لممارسات جاليات اليهود الخزر الذين كانوا ينتشرون في أماكن شتاتهم.

هذا ما وفقني الله عليه، فإن كان خيراً فمن عنده سبحانه  
وتعالى، وإن كان غير ذلك فهو من نفسي، وأرجو من الله تعالى  
أن يلهمني السداد إنه نعم المولى، ونعم النصير.



# الْبَيْضُوكُ الْأَدْنَى

## التمهيد

### اليهود في التاريخ

المبحث الأول: المفاهيم العامة.

المبحث الثاني: اليهود عبر العصور.

المبحث الثالث: أصول المجتمع اليهودي القديم.

أ - الأوضاع الثقافية.

ب - العادات والتقاليد الاجتماعية.

ج - دراسة عن الحياة السياسية.





## الْبَيْضُ الْأَوَّلُ

### التمهيد

تعد دراسة التاريخ اليهودي من الأمور الصعبة والأكثر تعقيداً إذا ما قورنت بدراسات أخرى؛ لما يمتاز به تاريخ هذه الجماعات من الغموض والتداخلات؛ إذ إن المصادر الخاصة بهذه الدراسة تكاد تكون محصورة ومحددة، ولما كانت كذلك فإن الباحث أو المؤرخ يجد نفسه أحياناً في مواقف محرجة تفرض عليه أن يضع رأياً حاسماً لا يقبل الاحتمالات أو أن يقف من دون إجابة أحياناً؛ نتيجة عدم مساعدة المعلومات التاريخية التي تدليها إليه مصادره التي بين يديه، والمصادر الأساسية التي انفردت بتاريخ اليهود القديم لا تتعدى الأربعة مصادر الآتية:

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس.

المكتشفات الأثرية.

استنتاجات ودراسات المؤرخين.

فالمسلمون يؤمنون بأن ما في القرآن من نصوص أو أخبار ثوابت لا تقبل الجدل أو الاجتهاد، وهي من عقائدهم المسلّمة، كما أن إيمانهم بالقرآن الكريم يفرض عليهم الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الأنبياء والمرسلين الذين سبقوا الرسول الكريم محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أن ما طرأ على توراة العهد القديم من تحريف واختلاف، وما تحويه الآن من التناقضات أخرجت الكتاب المقدس عن التنزيه الذي يحمله القرآن الكريم، مما عدّ مصدرًا لا يعتمد عليه بالقطع في الروايات والأخبار، وقد أشار إلى ذلك الباربي عز وجل في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُضُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

والآية هنا لا تقول إن كل شيء مُخْتَلَفٌ عليه، وإنما هناك الكثير، ولما كان المقصود به هنا الروايات التوراتية فيعني هذا أن هناك من الروايات ما اختلف فيها، ومنها ما لم يُختلف فيه، لكن الذي نستفيد منه ما يطابق القرآن الكريم والمكتشفات الأثرية وما رجحه المؤرخون في دراساتهم واستنتاجاتهم، وقد أشارت الأحاديث النبوية الشريفة بأن مرويات بني إسرائيل كانت مثارًا للشك والريبة، فقد روي عن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا تصدقوهم»<sup>(١)</sup>، بل إن هناك من الأخبار الكثيرة التي راجت بين المسلمين من مؤرخين وعلماء

(١) رواه مسلم.

سيرة وردت عن طريق محدثين من أهل الكتاب حملوا لنا مع إسلامهم كثيرًا من الأخبار والملاحم، أمثال: كعب الأخبار، وعبد الله بن سلام، ووهب من منبه، وقد زخرت كتب التفاسير والسير بهذه الأخبار، إلا أن علماء المسلمين انتبهوا إلى هذا الأمر، فمحصوها وحققوها ونبهوا إلى الضعيف منها وما هو بصحيح، وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى ذلك قائلاً: «إن كتب الأولين ومنقولاتهم كانت تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدئ الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، وأهل التوراة الذين كان العرب يؤمنون بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا يعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل: أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحدثن والملاحم وأمثال ذلك، فامتألت التفاسير من المنقولات في أمثال هذه الأغراض؛ فكانت أخبارًا موقوفة عليهم»<sup>(١)</sup>.

---

(١) ابن خلدون العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-؛ بلا - ص ٤٣٩ - ص ٤٤٠.

وعلى هذا فإننا في دراستنا لتاريخ اليهود سنسير بحذرٍ شديد؛ بغية عدم اللبس أو الخلط التاريخي، وبغية إعطاء الحقائق التاريخية حقها؛ معتمدين - كما أشرنا - إلى المصادر التي تعد الأمثل في الاعتماد عليها، والتي تعطي الصورة الواضحة للموضوع.



## المبحث الأول

### المفاهيم العامة

اليهود لغة: من هاد، وهي بمعنى تاب ورجع، فهو هائد وجمعه (هود) تائبون<sup>(١)</sup>، وجاء في القرآن الكريم على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا هَدْنَا إِيَّاكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ...﴾ [المائدة: ٤٤] الآية، وقال النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»<sup>(٢)</sup>.

أما في الاصطلاح فإن المصادر بهذا الشأن قد ذهبت في اتجاهات عدة، ولكل واحد منها قوته أو ضعفه، فمنها من

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، دار بيروت، ص ٤٣٩. والفيروز آبادي، الشيخ مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨ ص ٣٤٩. والرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣، ص ٧٠٢. والزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ٢، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٤٠.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كتاب القدر، صحيح مسلم، ج ٤، دار الحديث، القاهرة، ص ٢٨٤٧.

قال إن كلمة اليهود تعني الذين تابوا عن عبادة العجل من بني إسرائيل، وهم الذين تحدثت عنهم الآية الكريمة الأنفة الذكر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الَّذِينَ أَنْزَلْنَا لِّلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيِّنِينَ وَالْأَجْبَارِ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤] .

وهنا نرى أن الآية ورد فيها كلمة ﴿أَسْلَمُوا﴾ وكلمة ﴿هَادُوا﴾ فهل كان الإسلام موجودًا حين شمل الخطاب الذين (هادوا) أم أن هناك ترابطًا بين الاثنين؟

نحن نعلم أن كلمة (أسلم) تعني انقاد وأخلص الدين لله، ودخل في دين الإسلام، أما كلمة (هاد) فقد وردت آنفًا بمعنى تاب ورجع إلى الحق، لكننا نرى أن الفعل قد أُطلق ليصبح ميزةً لقوم أو صفة لهم يخاطبون بها ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كَلَّ ذِي طُفْرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، إذن هناك علاقة زمانية في الخطاب الذي شمل من أسلم ومن هاد.

وقبل أن نخوض في تفاصيل هذه العلاقة علينا أن نذكر أننا حين نطالع أسفار الكتاب المقدس نجد أن أسفار الشريعة الخمسة التي نسبت إلى النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأسفار يشوع والقضاة والملوك الأولى كلها خالية من أي ذكر لصفات اليهود،

وقد وردت صفتهم لأول مرة في سفر الملوك الثاني<sup>(١)</sup>. إذ ذكر أنه في عهد مُلك آحاز على يهوذا ٧٣٥ - ٧١٦ ق.م نقل رصين ملك آرام أيلة إلى آرام وطرد اليهود من أيلة (العقبة)، كما يرد في السفر نفسه الحوار بين رئيس السقاة لدى مملكة آشور وبين اليهود في القدس، حيث يطلق على أهالي مملكة يهوذا صفة (اللغة اليهودية)، وكان ذلك في عهد حزقيا ملك يهوذا ٧٨٧ - ٧١٦ ق.م، حتى إن هناك تميزاً لدى الآشوريين بين سبايا المملكة الشمالية (إسرائيل) وسبايا المملكة الجنوبية (يهوذا)<sup>(٢)</sup>، وقد ظهر هذا التمييز في صور التماثيل، حيث يمثل أحدهما إسرائيلياً والآخر يهودياً، ويفيدنا هذا بأخذ الاحتمال القائل بأن كلمة (يهود) أطلقت على الذين انضموا إلى مملكة يهوذا، مما يعطي هذا الاسم مغزىً دينياً وسياسياً في آن واحد، عندها يكون (الذين هادوا) الذين اعتنقوا ديانة مملكة يهوذا، وقد امتازوا عن المملكة الشمالية (إسرائيل) بهذه التسمية.

ولم يثبت تاريخياً أن اسم مملكة يهوذا مُستمَدُّ من اسم يهوذا رابع أولاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ. ويطلبنا إنجيل يوحنا براوية تقول إن يسوع طلب شربة ماء من امرأة سامرية، فقالت له:

(١) ١٦/٦.

(٢) غنيم، عبد الرحمن، اليهود بين القرآن والتوراة ومعطيات التاريخ القديم، دار الجيل، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠، ص ١١ - ١٤.

كيف تطلب مني الماء وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية.<sup>(١)</sup> ثم تقول له أعظم من أيينا يعقوب الذي أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه وماشيته<sup>(٢)</sup>.

وواضح لدينا أن المرأة السامرية تعدُّ نفسها من ذرية يعقوب، وهذا التمييز بين السامرة وغيرهم قد يعطينا مدلولاً واضحاً على أن اليهودية لم تكن الشمولية المطلقة للديانة آنذاك

---

(١) إنجيل يوحنا: الإصحاح الرابع ٢-١٢- (السامرة) أو السامرية أول فرقة ثارت ضد اليهودية حين خالفت شريعة موسى عليه السلام، وقد كان لها تورا تختلف عن التورا التي بين أيدينا والاختلاف بين التورتين يتمثل كالآتي:

١- لايقبل جماعة السامرية إلا بالأسفار الستة الأولى وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ويشوع.

٢- هناك خلاف في الحوادث في النورتين والأماكن والأعداد.

٣- يتضح أن السامرية ليست الديانة التي آمن بها بنو إسرائيل الأسباط العشرة الذين انفصلوا عن دولة سليمان وسموها دولة إسرائيل والظاهر أن يهود عزرًا قد انقسموا إلى قسمين السامرية واليهود. وأصبحت العلاقة بين السامرية واليهود علاقة معقدة جداً وتحولت إلى عداوة أخذت تتطور عبر الزمن، فاليهود ينظرون إلى السامرية بأنهم محتلون لبلدهم، غير الإهم فهم يعبدون الإله (بيل) واليهود. أما السامريون فإنهم ينظرون إلى اليهود بأنهم كافرون متخادلون منقسمون على أنفسهم، كما أن اليهود يعدون السامرية قومًا لايمتون إلى بني إسرائيل بصلة وأنهم أقوام أسكنهم الآشوريون مكان بني إسرائيل حينما غزاهم ستمارين والذي يعتقد أن اسمه ( سنحاريب ). راجع، همو، عبد المجيد الفرق والمذاهب اليهودية، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، ص ٣٦ - ٣٩.

(٢) المصدر نفسه الإصحاح ١٧ (١١ - ١٨).

إن وجدت؛ إذ إن ما ترويه لنا الأناجيل من اختلافات وخصومات هي عميقة بين اليهود والسامريين (الإسرائيليين)، وفي هذا المجال يروي حنا الخوري<sup>(١)</sup> أن سكان فلسطين من اليهود أيام المسيح قد انقسموا على ثلاث فئات:

- ١- يهود أورشليم والمنطقة الجنوبية من فلسطين.
- ٢- السامريون سكان المنطقة الوسطى.
- ٣- الجليليون سكان الأقاليم الشمالية.

فقد كانت نظرة يهود الجنوب إلى الجليليين نظرة احتقار وريبة بدعوى أنهم اختلطوا بالأمم المجاورة، وتأثروا بلغتهم وثقافتهم حتى دعيت (جليل الأمم)<sup>(٢)</sup>.

وقد شاع قول أنه من الناصرة لا يمكن أن يكون شيئاً صالحاً<sup>(٣)</sup>، «وإنه من الجليل لا يقوم نبي قط»<sup>(٤)</sup>، ويذكر أن المسيح قد اختار رسله الاثني عشر من الجليل<sup>(٥)</sup>، وقد عدَّ اليهود السامرة نجسين ولا تجوز معاملتهم<sup>(٦)</sup>.

---

(١) الخوري، حنا عبده دكتور الخطر اليهودي على الدين والدنيا، دار الركن للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٤، ص ٣٠.

(٢) متى ١٥ - ٤.

(٣) يوحنا ١ - ٤٦.

(٤) يوحنا ٧ - ٥٢.

(٥) أعمال الرسل ١٣ - ٣١.

(٦) يوحنا ٤ - ٩.

وكانت أشد إهانة يوجهها اليهودي إلى غيره أن يقول له إنك سامري وقد قيلت للمسيح نفسه: «ألسنا نقول حسبنا أنك سامري وبك شيطان»<sup>(١)</sup>.

هذه النصوص تهض بالرأي القائل بأن اليهودية كانت تطلق على من سكن في مملكة يهوذا الجنوبية، وأن هذه المملكة قد ظهرت في وقت بعيد كل البعد عن أيام النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت نتيجة انقسام مملكة إسرائيل إلى شمالية وجنوبية.

وعلى هذا فإنه قد أصبح من المؤكد لنا أن اسم اليهودية لم يكن اسماً للديانة الموسوية، ولم تأت كلمة يهود من (الذين هادوا)، أي أن الآية القرآنية التي فصلت (الذين أسلموا) عن (الذين هادوا) كانت فيها معانٍ لهذا الأمر، والآية الكريمة تطابقها روايات الأناجيل الواردة آنفاً، من حيث إن بني إسرائيل لم يكونوا يهوداً، وأن هناك وضوحاً في انقسام وتعدد المجتمع الإسرائيلي<sup>(٢)</sup>.

أما الاحتمالات الأخرى التي وردت في تسمية اليهود فكثيرة قد يرقى قسم منها إلى المناقشة والاحتمالات، وبعضها مجرد رأي لا تقوم به حجة أو دليل؛ فهناك من قال:

(١) يوحنا ٨ - ٤٨.

(٢) غنيم، مصدر سبق ذكره ص ١١ والجميل عبد الله، بذل المجهود في مشابهة الراضة لليهود، ط ٢ مطبعة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤، ص ٣١ - ٣٣.

- إن اليهود هم الذين (هادوا) أي مالوا عن دين موسى.
- وهناك من قال إن اليهود من الهوادة، أي المودة أو التهود؛ وهي التوبة.
- وقيل لنسبتهم إلى (يهودا) رابع أولاد يعقوب.
- وقيل الذين تابوا عن عبادة العجل<sup>(١)</sup>.
- وقيل الذين مالوا عن الإسلام وعن دين موسى.

يذهب الرأي الأول القائل بأن الذين هادوا أي مالوا عن دين موسى منهم قد طابقوا الكلمتين (هادوا) و(مالوا)، وهذه محاولة لغوية ليس لها أساس علمي يعتمد عليه.

والذين قالوا إن اليهودية جاءت من الهوادة أو المودة فهذا ليس صحيحاً، إذ إن اليهود ليس لهم من هذه الطباع شيء<sup>(٢)</sup>.

والقول أن اليهود هم الذين تابوا عن عبادة العجل؛ وهذا احتمال من شأنه أن يعيد هذه التسمية إلى زمن وجود بني إسرائيل في سيناء، وهذا الاحتمال لا يمكن الأخذ به؛ إذ لم تؤكد لنا المصادر الدينية أو التاريخية شيئاً من هذا.

---

(١) علي جواد (دكتور)، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٦.

(٢) أسود، عبد الرزاق، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ج١، الدار العربية للموسوعات، بيروت لبنان، ١٩٨١، ص ١٤١.

ما هي الآراء الأخرى التي تقارب الحقيقة؟ فنرى أن أحد المؤرخين يرجح بأن اليهودية مصطلح أطلق على الطقوس الدينية التي كان يمارسها أبناء السبي البابلي من سكان مملكة يهوذا، وهو مصطلح ذو مدلول لغوي، بل هو جغرافي أيضاً، مثل الدين الهندوسي أي الدين المتبع في الهند<sup>(١)</sup>.

ومن جانبنا نرى أن هذا الرأي عُدَّ من أكثر الآراء صواباً ورجحاناً على الأخرى، إذا ما أخذنا (بالحسبان) المدة الزمنية التي مرت بين بعثة النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبين ظهور اليهود والديانة اليهودية على مسرح الحياة؛ إذ خلت - كما أسلفنا - أسفار شريعة النبي موسى الخمسة وأسفار يسوع والقضاة والملوك الأول من هذه التسمية، لتظهر في النصف الثاني من الألف الأول ق.م.

وفي هذا المجال يذهب الدكتور أحمد سوسة قائلًا: «بينما لم تتبلور الديانة اليهودية إلا في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، وانحصرت بين سكان إقليم الجودي من قبيلتي يهوذا وبنيامين وبعض اللاويين»<sup>(٢)</sup>.

(١) الفاروقي، إسماعيل راجي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، معهد البحوث والدراسات

الإسلامية، جامعة الدول العربية، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٥.

(٢) سوسة، أحمد (دكتور)، العرب واليهود في التاريخ، ط ٥، منشورات دار الرشيد ودار

الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص ٤١١.

ومن خلاصة هذه الآراء نستطيع أن نرجح القائلين بأن من بقي في بابل من أهل السبي اجتمعوا بعد أن حلت بهم النوازل والويلات، وقرروا أن يعيدوا النظر في أمرهم، وأن السبب الذي أوصلهم إلى هذه الحال لا يتعدى انحرافاتهم وبعدهم عن التعاليم السماوية، وقتلهم الأنبياء، ونكث العهود مع الله، وشذوذ معتقداتهم، مما يوجب عليهم التوبة وإعلان العودة إلى توراة موسى وتعاليمها، فكان لهم أن يعلنوا -ولأول مرة- الدين الجديد تحت اسم اليهودية، وهذا الاسم جاء مناسباً لما قرروه، إذ إن اليهودية تعني آنذاك التوبة والعودة عن الكفر أو الباطل<sup>(١)</sup>.

إن أواسط الألف الأول ق.م. بعد موسى بزمن طويل هو الوقت الذي تبلورت فيه هذه الديانة وعزي ذلك إلى زمن (يوشيا) ٦٤٠-٦٠٩ ق.م، وهو الوقت الذي اكتشف فيه سفر الشريعة (تنثية الاشتراع)، ولم يكن بنو إسرائيل قد عرفوا بهذا السفر أو علموا به قبل ذلك.

ونسب إلى (عزرا الكاتب)<sup>(٢)</sup> أنه قرأ كتب الشريعة الخمسة في القدس في عام ٤٥٨ ق.م، أو ٤٢٨ ق.م، أو ٣٩٨

(١) ابن كثير، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن محمد القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج١، ط٢، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٨٧، ص ٩٩.

(٢) عزرا الكاتب أو (الكاهن)، كان كاهناً بابلياً يصله النسابون بهارون أخي موسى عليهما السلام، وهو الذي كان أكثر تشدداً بتحويل الشريعة الموسوية إلى اليهودية، وإليه تعود معظم تحويرات وتوفيقات. بشور، وديع (دكتور)، صهاينة الخزر، بلاد دار نشر، دمشق، ٢٠٠١، ص ٥٣، وغنيم، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

ق.م، أي في زمن لاحق للإعلان عن سفر تثنية الاشتراع. كما أن الأسفار الأخرى جرى إنجازها في المدة ما بين ٤٠٠ - ٣٥٠ ق.م. ولاسيما أسفار ملاخي أيوب والمزامير ويونان وأخبار لاياح وعزرا ونحميا، والذين اعتنقوا الديانة اليهودية اعتمدوا هذه الأسفار، وقد اقتصررت على أهل يهوذا فقط؛ إذ رفضت الأسباط العشرة الانضمام إلى هذه الديانة وانفصلت عن اليهودية إلى يومنا هذا، ويلاحظ أن سفر تثنية الاشتراع يتوجه بخطابه إلى (إسرائيل) حصراً ولا إشارة فيه إلى اليهود أو اليهودية.

وهذا يرجح الاعتقاد بأن صفة اليهودية صفة دينية وسياسية برزت فقط بعد السبي البابلي لمملكة يهوذا، وفي القرآن الكريم ما يرجح هذا القول: ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ... ﴾ [الأعراف: ١٦٨-١٦٩]، والمقصود بقوله تعالى ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ ﴾ هو السبب البابلي ﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ [الحج: ١٧] هم الذين ورثوا الكتاب بعد ذلك في زمن عزرا للكاتب. أما الآيات القرآنية التي تلفت نظر الجميع بعدم يهودية أي من الرسالة التي بعث بها أنبياء بني إسرائيل أو حتى الذين جاؤوا قبلهم فهي كثيرة ولا تحتاج نصوصها إلى تفسير أو تأويل، وأن الخطاب

القرآني جاء متسلسلاً مع الأحداث التاريخية لتلك الأمم سواء أكان الأنبياء من بني إسرائيل أم من غيرهم<sup>(١)</sup>، ومن المصادر

(١) يقول تعالى في كتابه العزيز على لسان نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَنَا سَائِغٌ مِّنْ آجُرٍ إِنِ اجْتَرَىٰ عَلَىٰ آلِيَّ عَلَىٰ اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]. ويقول تعالى عن لسان سيدنا إبراهيم: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ۖ ﴿٧٨﴾. ويقول أيضاً: ﴿وَمَنْ يُرَغِبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٣]. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة: ١٣٠-١٣٢﴾. ويقول أيضاً على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ويسير تسلسل الآيات ليصل إلى النبي يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُنَا وَجَدْنَا لَهُمُ مُّسْلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٣]. أما يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ - وهو أحد أبناء يعقوب - فيقول القرآن على لسانه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. ثم نفس القرآن الكريم عن أنبيائه اليهودية أو النصرانية إذ يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]. والآية الآتية تشمل معظم الأنبياء والرسول بالإسلام وتنفي عنهم اليهودية والنصرانية، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَانِيًّا يَتَّبِعُوا فُلَّ بَل مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا مَا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِلَّا الْكِتَابُ وَالْحَقُّ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٥-١٣٦] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُعْرَفُ إِنَّ كُنْتُمْ مَّامِنًا بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] وعن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْغَوَارِيُّونَ مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ مَا آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَنْتَ هَدَىٰ وَإِنَّا مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ =

الأجنبية التي تعرض عدم سماوية الديانة اليهودية وتأخرها عن زمن النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنها محض اسم أو مصطلح لتجمع ديني سياسي ظهر في عصور ليست بالقديمة بحسب ما يقدره أصحاب هذه المعلومة، يورد لنا بنيامين فريدمان<sup>(١)</sup> في كتابه (يهود اليوم ليسوا يهوداً): «يقول الراييان المعروفان ه.غ. أنيلو وأدولف موسى وهما كفوءان جداً ومرجعاً ثقة في العالم حول هذه المسألة في كتابهما (اليهودية ومقالات أخرى) Discourses Yahrism & Other الذي نشرته سنة ١٩٠٣م دائرة لويسفيل لمجلس السيدات اليهوديات: «بين المحن غير المعدودة التي وقعت... يعدُّ أشدها هلاكاً بعواقبه هو اسم اليهودية... Judaism، إنها أسوأ المحن

= الْحَوَارِثِينَ أَنْ ءَامِنُوا بِى وَرَسُولِى قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّآ مُسْلِمُونَ ﴿ [الثالثة: ١١١] . وما جاء على لسان السحرة حين أبطل موسى سحرهم وأعلنوا إسلامهم ﴿ وَمَا نَقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّقْنَا مَسْلُومِينَ ﴿ . [الأعراف: ١١٢٦] . وحتى فرعون الذي أعلن إسلامه وقت إدراكه الغرق قال: ﴿ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِى ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ [يونس: ٩٠]، وينتقل الخطاب إلى النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث يقول على لسانه القرآن الكريم في رسالته إلى بلقيس: ﴿ أَلَّا تَعْلَمُوْا عَلَيَّ وَأَتُونِيْ مُسْلِمِينَ ﴿ [النمل: ٣١]، وهذا دليل آخر يبعد اليهودية عن زمن أنبياء بني إسرائيل؛ فسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو إلى الإسلام وهو من أنبياء بني إسرائيل، وقد جاء بعد النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل إن ملكة سبأ نفسها تعلن إسلامها مع سليمان حين يقول القرآن على لسانها: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمٰنَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿ . [النمل: ٤٤] . كما أنه دحض ادعاءات اليهود أن الله ربهم لوحدهم حين تقول بلقيس: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمٰنَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿ .

(١) فريدمان، بنيامين، يهود اليوم ليسوا يهوداً، إعداد زهدي الفاتح، دار النفائس

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٢٥ - ٢٨ .

حتى اليوم تدريجياً أضحت ديانتهم (اليهودية) فوق ذلك، فإنه لم يسمع أبداً في العصر التوراتي ولا في الأزمنة المتأخرة جداً بمصطلح اليهودية»<sup>(١)</sup>.

يتحدث الكتاب المقدس (العهدان القديم والجديد) عن الدين (كتوراة يهوه) وقانونه الأخلاقي الموحى به أو تعاليم يهوه في مواضع كثيرة أخرى، وظل مصطلح اليهودية غير معروف (عند اليهود قطعاً)، لكنه عرف بعض الشيء في عصور حديثة فقط بعدما حَسُنَ اطلاع -من يُدعون يهود اليوم- على الأدب المسيحي الحديث، إذ ذاك شرعوا يسمون دينهم باليهودية Jadaism.

اختصاصيون ثقات رفيعو المستوى في هذا الموضوع أيدوا أنيلو وموسى واتفقوا معهما في الرأي تماماً على أن مصطلح (اليهودية) ابتكره المؤرخ حوزيفوس فلافيوس في القرن الأول الميلادي.

لقد كشف الرابيان في كتابهما (اليهودية ومقالات أخرى) عن كثير من الحقائق الجيدة الجديدة بالملاحظة عن هذه المسألة<sup>(٢)</sup>، والمجال هنا لا يسمح بغير اقتطاف الوجيز من كتابهما المشار إليه!

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠ - ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨ - ٢٩.

كتب جوزيف فلافيوس عن تعاليم اليونانيين الرومان وهو الذي ابتكر مصطلح اليهودية لكي يثيرها ضد الهيلينية، وكان يفهم من الهيلينية مجموعة الحضارة المؤلفة من الشعر واللغة والدين والعلوم وعادات الشعب والأنماط الراسخة (كالزواج والرق) التي انطلقت من اليونان موطنها الأصلي، منتشرة عبر أقسام واسعة من أوروبا وآسيا وإفريقيا... أمسك المسيحيون بهذا المصطلح في تلهف كبير... بينما اليهود -الذين مقتوا الخائن جوزيف- بشدة أحجموا عن قراءته، إذن الذي اخترع مصطلح (اليهودية) هو جوزيفوس، وهو الذي ظل مجهولاً عندهم إلى أن اطلعوا على الأدب المسيحي فبدؤوا بتسمية ديانتهم (باليهودية) <sup>(١)</sup>.



---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩.

## المبحث الثاني

### اليهود عبر العصور

من خلال الدراسة للمفاهيم العامة يتبين لنا حداثة العهد الذي بدأ التعامل به مع مصطلح اليهودية، ولم تفلح محاولات اليهود أنفسهم لربط التاريخ التوراتي القديم بتاريخ هذه الديانة، فضلاً عن الأدلة الدامغة التي أثبتت عكس ما يدعي اليهود بأن ما بين أيديهم من توراة أو تعاليم إنما هي ما أخذوه عن رسالة النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولما كانت دراستنا من الناحية العقائدية قد بينت الحقائق من الجانب الديني فنرى من الحاجة الماسة أن نوضح ذلك تاريخياً، إذ إن ربط تاريخ أمة مع عقيدتها وأصل تلك العقيدة يعطي موضوعاً متكاملًا علمياً، ولاسيما في حال تطابق الدراسات التاريخية مع الحقائق الدينية.

ونحن قد توصلنا إلى أن اليهود الذين اعتنقوا أو الذين انتسبوا إلى الديانة اليهودية كانوا ممن انتسب إلى مملكة يهوذا الجنوبية<sup>(١)</sup>، وحين نرجع إلى تاريخ هذه المملكة فإننا سوف لن نختلف مع أحد بأنها نشأت نتيجة انقسام مملكة إسرائيل إلى

---

(١) همو، عبد المجيد، جذر اليهود أمام النقد التاريخي، دار الحافظ، دمشق، سوريا،

شمالية سميت مملكة (إسرائيل)، وجنوبية سميت مملكة (يهوذا)، وهذا حدث في أواخر النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، أي بعد ٩٧٥ ق.م؛ وهذا الحدث جاء بعد بعثة النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمدة ليست بالقصيرة، وعليه فتاريخ اليهود هنا يجب أن لا ترجع أصوله إلى أبعد من هذه الحقبة.

وقبل أن نتحدث عن التاريخ اليهودي آنف الذكر، نود أن نرجع إلى الوراء لنعطي دراسة طبوغرافية للمنطقة العربية التي تعد مسرح الأحداث؛ لنزيل اللبس التاريخي الذي سيمر بنا من خلال معالجة الموضوع.

إن ادعاء السامية من قبل اليهود يُكزمن القول بالحقائق الآتية:

١- إن الوجود العربي كما هو ثابت موغل بالقدم، ويمتد إلى عشرة آلاف عام على الأقل وقبل اختراع الكتابة، ولم يُعثر في أي من المكتشفات الأثرية في المنطقة على مصطلح (السامية) في تلك الحقبة الزمنية الواردة، وإن المصدر الوحيد لخارطة النسب السامي هي مدونات التوراة التي نقلها مدونها من تراث المنطقة العربية<sup>(١)</sup>.

---

(١) داود أحمد، العرب والساميون وبنو إسرائيل واليهود، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩١، ص ٦٣.

٢ - إن سام حسب خط النسب هو ابن نوح الذي أجمع المؤرخون على أنه عاش بحدود سنة ٣٠٠٠ ق.م، وعليه فإن العرب الذين توزعوا على الأرض العربية وأقاموا مدنهم فيها من أعالي الفرات إلى أعالي النيل، ومن الخليج إلى البحر منذ الألف التاسع ق.م. إن هؤلاء سابقون لسام بن نوح، ومن ثم فإنه لا يصح أن نعدهم ساميون؛ إذ لا ينسب الأجداد إلى الأبناء، وإنما العكس هو الصحيح، ويذكر لنا الطبري أن هؤلاء الأجداد وأحفادهم كانت مساكنهم جزيرة العرب، ومنهم عابر وعليم آشور وأفحشاد ولاوذ وآرام؛ حيث كان موطنهم المجدل سرّة الأرض، وهي ما بين ساتيما إلى البحر، وما بين اليمن إلى الشام، وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والأدمة البيضاء فيهم؛ (والنبوة) هي بيت القصيد الذي دفع أتباع الديانات الثلاثة للاهتمام بنسب الأنبياء، وكان جل اهتمامهم بنسب فروع سام ولاسيما فرع (آرام) وأولاده (جديس وجاشر - وهو أبو ثمود - وعبيل وعوص - وهو أبو عاد -، وجميع هؤلاء أكدت المصادر أنهم من العرب البائدة<sup>(١)</sup>، أما ماش

---

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين، الكامل في التاريخ، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨، ص ١٢٠ - ١٢٨.

ابن آرام بن سام وهو أبو النبيط؛ حيث كان مسكنهم في كوئي عند باب المحطة في شبه جزيرة العرب<sup>(١)</sup>. ويقول ابن الأثير: «كانوا عرباً يتكلمون بهذا اللسان المضري، وكانت تقول لهذه الأمم ولجرهم العرب العاربة؛ فكانت عاد بهذا الرحل إلى حضرموت، وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى، ولحقت جديس بطسم، وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين، واسم اليمامة إلى ذلك (حو)، وسكنت جاثم عمان، والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آرام بن سام»<sup>(٢)</sup>. ويقول الطبري: «فلما هلكت عاد قيل لثمود آرام أو إرم، فلما هلكت قيل لسائر بني آرام منهم النبيط»<sup>(٣)</sup>.

٣- إن إسماعيل هو ابن إبراهيم البكر من هاجر، وإن إسحق ولده من ساره، وإسماعيل هو الجد الأكبر لعننان الذي هو الجد الأكبر لهاشم، الذي هو الجد الأكبر لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) داود، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

(٢) ابن الأثير، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠ - ١٢٨.

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، قصص الأنبياء، تقديم مصطفى عبد القادر،

دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣١٨.

وفي لسان العرب في باب (كوثى) أن علياً بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سئل من أنتم نسباً؟ فقال: نحن قوم من نبيط في كوثر. وهذا تأكيد على نسب سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى نسب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى نبيط بن ماش بن آرام بن سام ابن نوح<sup>(١)</sup>. أما إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام فقد ولد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي هو إسرائيل أي عبد الله، وله الأسباط الاثنا عشر وجميعهم من العرب الأراميين، وإلى ذلك الحين ليس على الأرض ثمة شيء اسمه يهودي أو يهودية<sup>(٢)</sup>.

إذن فالسامية بدعة يهودية حديثة ولدت على يد اللاهوتي اليهودي النمساوي (شلتوتز)، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في محاولة لإضفاء القدسية على لغة (الكتاب المقدس)، مفترضاً أن ثمة (اللغة العبرية) هي اللغة التي نزلت بها التوراة، وهذا عندما ألهم حماس كثير من المستشرقين لدراسة اللغات الشرقية القديمة، ثم ما لبث أن عبر بنظريته وفكرته القائلة: «من البحر المتوسط إلى الفرات، ومن أرض الرافدين إلى بلاد العرب جنوباً سادت لغة واحدة؛ ولهذا كان السومريون والبابليون والعبرانيون شعباً واحداً يتكلم اللغة السامية»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن منظور، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٩.

(٢) داود، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣ - ٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٥.

ثم ما لبث اللاهوتيون اليهود في بداية القرن التاسع عشر أن يتلقفوا هذه الدعوة أو البدعة ويضعوا نصب أعينهم تبني هذه (الفرية) ونشرها، وأخذوا على عاتقهم كتابة تاريخ الشرق العربي القديم والإسلامي بصورة يبرزون فيها ما دعوه بالعبرانيين واليهود، ويسفهون العرب وتاريخهم ومحمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقرآن الكريم، وكان من أبرز هؤلاء المستشرق الألماني اليهودي (إبراهام جيغر) والمستشرق الروسي اليهودي (دانيال سولسون) وآخرون<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك قامت مؤسسات ومنظمات استشراقية كان ديدنها تشويه التاريخ العربي الإسلامي والنيل من الحضارة العربية الإسلامية وتهميش دورها في حياة البشرية، فضلاً عن التزوير الفادح في تفسير أحداث التوراة وفي جغرافيتها؛ ليتحول التاريخ العربي إلى تاريخ عبري أو تاريخ دولة عبرية مزعومة.

ودلائل أخرى يمكننا الاعتماد عليها بخصوص المغالطات والتزوير اليهودي لتاريخ المنطقة، وإضفاء الوجود التاريخي والديني وتوارث الحضارة، فالتسميات التي يتشدد بها مدونو التوراة لا تعد حقيقية، أما ما هو واقع فنرى أن القبائل التي

---

(١) بوكاي، موريس، (دكتور)، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٨١، ص ٢٤٦ - ٢٤٩.

سكنت المنطقة العربية بمن فيهم البدو وأنصاف المستقرين أو المدن الزراعية تتمثل بـ:

١- بقايا الآراميين.

٢- بعض العشائر من أبناء حام.

٣- عشائر بني لاوذ بن سام<sup>(١)</sup>.

يقول العالم الألماني (وينكلر) في مواقع تلك العشائر: «إن أرض كوش تقابل مصر التي هي في القسم الشمالي الشرقي من جزيرة العرب، وعلى هذا فإن ذكر (مصر وكوش) في التوراة لا يقصد بها الحبشة ووادي النيل؛ بل يقصد فيهما مكانين في جزيرة العرب». ويعلق على هذا القول الدكتور جواد علي بقوله: «فقد جاء وينكلر بأمثلة من العهد القديم ذكر أنه من الصعب أن يكون المراد بها مصر أو الحبشة، وقد ألف وينكلر رسالة بعنوان (مصر وملوفا ومعين) بين رأيه في أن مصر المذكورة في التوراة هي في بلاد العرب لا في إفريقيا». ويؤكد الدكتور جواد علي بأن «علماء الآثار في جميع أرجاء الوطن العربي لم يعثروا على ما يدعم ادعاءات أو أقوال اليهود، وأن ما ورد محض تزوير وتضليل تدحضها التناقضات التوراتية الواضحة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الطبري مصدر سبق ذكره، ج ١ ص ٨١.

(٢) علي، جواد، (دكتور) مصدر سبق ذكره، ص ١٩٧.

ثم إن النبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبُّ لسلسلة طويلة من الأنبياء والعرب، وقد تطابقت سيرة حياته واسمه وكنيته لدى الدراسات كافة، فلم نجد ما يطابق ادعاءات اليهود التي تقول بصلتهم به دينياً أو تاريخياً، وأن الأحداث المتسلسلة بعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر واقع سواء بما يخص هجرته وأسبابها أو علاقته بأرض كنعان والحالة الدينية التي كانت سائدة في حياته، وكل هذه المعلومات واضحة من دون لبس حتى ظهرت اليهودية في بابل؛ مما يجعل اليهود خارج دائرة التاريخ الخاص بتلك الحقبة الزمنية المزعومة.

ونعود إلى القول أن بداية التاريخ اليهودي هو استقرار سببا دول يهوذا على يد نبوخذنصر في أواسط الألف الأول قبل الميلاد في بابل، وقيام التجمع اليهودي الديني.

وفي ذلك يقول الباحث شفيق مقار: ففي ذلك الزمان وفي ذلك المكان صنعت الديانة اليهودية، آخذة عن المسمى السياسي للكيان الذي دعا إلى إزالة البابليين عن الوجود باسم مملكة يهوذا، وافتعل القوم تجمعاً سائباً من عشائر بدوية أطلق عليها روائياً اسم الشعب، كما أعطوا ذلك الشعب نسباً خيالياً بغية إعطائه عمقاً تاريخياً وأصلاً عرقياً ودينياً عن طريق الروايات

وإن انحدر من أصلاب أسلاف عريقين سموا بالآباء في سياق عملية شاسعة من إعادة النصوص وتأليف لنصوص منشئة للاهوتية، وقد بدا لمن اصطالحوا في المهمة أنهم كانوا عن طريقها ينفذون ما أمكن العمل على إنقاذه»<sup>(١)</sup>.

ومن خلال دراسة رأي (مقار) نستنتج الآتي:

- ١- اليهودية نشأت بحسب رأيه في القرن السادس.
  - ٢- أكد بأن النصوص مؤلفة في هذا العهد.
  - ٣- التأكيد على أن لا علاقة لهم بالآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب.
  - ٤- لم تكن كلمة اليهودية كدين معروفة قبل هذه المدة<sup>(٢)</sup>.
- أما الدكتور شلبي فيقول: «وحقيقة القول أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية؛ لأنها كانت تختلف مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨٥.

(٢) همو، عبدالمجيد، هل اليهودية ديانة سماوية؟ دار غار حراء، دمشق، سوريا، ١٩٩٩، ص ٨٩٢.

(٣) شلبي، أحمد، (دكتور)، مقارنة الأديان (اليهودية)، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٢٩.

ويورد شلبي بعض النصوص التي تؤكد كلامه في ذلك:

١- أسفار موسى تقرر أنه لا يوجد بها من قريب أو من بعيد ما يفيد أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي جاء بها وأنزلت عليه؛ بل العكس؛ حيث ما يقرر خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الآتي:

أ- جاء في سفر التثنية: «فمات موسى عند الرب في أرض موآب ولم يعرف إنسان قبره». فكيف يكتب موسى عن نفسه؟

ب- جاء في سفر التكوين: «وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض آرام ملك بني إسرائيل».

ج- إن سفر الخروج لم يكتب إلا بعد مدة طويلة من الأحداث الواردة فيه.

٢- يرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه أرميا، وبينها أكثر من ثمانية قرون.

٣- سفر القضاة ينسبه بعضهم إلى فنحاص، وبينه وبين عزرا تسعة قرون.

٤- سفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كتب في ذلك الزمن البعيد الذي يروى أنه عاش دانيال فيه، أي عندما سقطت بابل في يد (كورش الفارسي) عام ٥٣٨ ق.م.

لا بل كتب هذا السفر بعد ثلاثة أو أربعة قرون  
للأسباب الآتية:

أ- يتضمن هذا السفر كلمات مقدونية، مع أن اليهود في  
الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونان ولا حكمت  
أسماعهم للغة اليونانية.

ب- فيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق  
على عصر الإسكندر.

ج- اقتبس أقوالاً من أرميا و حزقيال و زكريا مع أن هؤلاء  
عاشوا في أزمان متفرقة ومتباعدة<sup>(١)</sup>.

مما تقدم من الأدلة والبراهين التي أثبتت لنا حقيقة  
التاريخ اليهودي نقول: إن من عاد من هؤلاء المتهودين إلى  
فلسطين وبعد سقوط بابل على يد كورش الفارسي لم يفلح هؤلاء  
في بناء دولتهم اليهودية أو ينجحوا في إقناع العالم الذي حولهم  
بأن ما بين أيديهم هي الديانة الموسوية أو الشريعة السماوية  
التي جاء بها النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَام<sup>(٢)</sup>.

✽✽✽

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

(٢) عبدالحليم، مصطفى كمال، (دكتور). وراشد، سيد فرج (دكتور)، اليهود في العالم  
القديم، دار القلم، لبنان، ١٩٩٥م، ص ١٦٩.

## المبحث الثالث

### أصول المجتمع اليهودي القديم

يحاول اليهود أن يدخلوا التاريخ القديم ضمن التاريخ الإسرائيلي، لكن الذي يقف حائلاً أمام هذه المحاولة هي الحقائق التي باتت ترقى إلى مستوى لا يقبل الجدل فيه، إذ إن تاريخ هؤلاء لم يكن بالصورة التي يعرضها مفكروهم وروادهم، أو الصورة التي تقدمها التوراة المحرفة في القرن الخامس قبل الميلاد.

فقد تعرضنا إلى جميع الاحتمالات والفرضيات التي تماشت مع الروايات التوراتية الحالية، إلا أنها لم تنهض بحجة تؤيد مضمونها الذي يشوبه التوفيق والتزوير، مما أعطانا الحق في أن نعتد الأسر البابلي بداية لحياة المجتمع اليهودي (خاصة)، ولنأخذ مثلاً مما قالته التوراة في النص الآتي<sup>(١)</sup>:

«كَانَ يَهُوْيَاكِينُ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ فِي أُورُشَلِيمَ. وَعَمَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَي الرَّبِّ، وَعِنْدَ رُجُوعِ السَّنَةِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ نَبُوخَذْنَصَّرُ فَآتَى بِهِ إِلَى بَابِلَ مَعَ أَنْيَّةِ بَيْتِ الرَّبِّ التَّمِينَةِ، وَمَلَكَ صِدْقِيًّا أَخَاهُ عَلَى يَهُودًا وَأُورُشَلِيمَ، كَانَ

(١) الكتاب المقدس، إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط٤ لبنان ١٩٩٥، :

صَدَقِيَّا ابْنَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ إِحْدَى  
عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهِهِ، وَلَمْ  
يَتَوَاضَعْ أَمَامَ إِرْمِيَا النَّبِيِّ مِنْ قَبْلِ الرَّبِّ، وَتَمَرَّدَ أَيْضًا عَلَى الْمَلِكِ  
نَبُوخَذَنْصَرِ الَّذِي حَلَفَهُ بِاللَّهِ، وَصَلَّبَ عُنُقَهُ وَقَوَّى قَلْبَهُ عَنِ الرَّجُوعِ  
إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ، حَتَّى إِنَّ جَمِيعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشَّعْبِ  
أَكْثَرُوا الْخِيَانَةَ حَسَبَ كُلِّ رَجَاسَاتِ الْأُمَّمِ، وَنَجَسُوا بَيْتَ الرَّبِّ  
الَّذِي قَدَّسَهُ فِي أُورُشَلِيمَ، فَأَرْسَلَ الرَّبُّ إِلَهَ آبَائِهِمْ إِلَيْهِمْ عَنْ يَدِ  
رُسُلِهِ مُبَكَّرًا وَمُرْسَلًا لِأَنَّهُ شَفَقَ عَلَى شَعْبِهِ وَعَلَى مَسْكَنِهِ، فَكَانُوا  
يَهْزَأُونَ بِرُسُلِ اللَّهِ، وَرَدَّلُوا كَلَامَهُ وَتَهَاوَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ حَتَّى تَارَ  
غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ شِفَاءً، فَأَصْعَدَ عَلَيْهِمْ  
مَلِكَ الْكَلْدَانِيِّينَ فَقَتَلَ مُحْتَارِيهِمْ بِالسَّيْفِ فِي بَيْتِ مَقْدَسِهِمْ. وَلَمْ  
يَشْفَقْ عَلَى فِتْيٍ أَوْ عَذْرَاءٍ، وَلَا عَلَى شَيْخٍ أَوْ أَسِيبٍ، بَلْ دَفَعَ الْجَمِيعَ  
لِيَدِهِ، وَجَمِيعُ أُنْيَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ وَخَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ  
وَخَزَائِنِ الْمَلِكِ وَرُؤَسَائِهِ أَتَى بِهَا جَمِيعًا إِلَى بَابِلَ، وَأَحْرَقُوا بَيْتَ  
اللَّهِ، وَهَدَمُوا سُورَ أُورُشَلِيمَ وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ قُصُورِهَا بِالنَّارِ،  
وَأَهْلَكُوا جَمِيعَ أُنْيَتِهَا الثَّمِينَةَ، وَسَبَى الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السَّيْفِ إِلَى  
بَابِلَ، فَكَانُوا لَهُ وَلِبَنِيهِ عِبِيدًا إِلَى أَنْ مَلَكَتْ مَمْلَكَةُ فَارِسَ»<sup>(١)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ٣٦ - ٩ - ٢٠.

لوناقتنا النص الوارد فإننا سنخرج بالنقاط الآتية:

- ١- اعتراف صريح بالسبي البابلي على يد نبوخذنصر.
  - ٢- اعتراف بأن ملوك بني إسرائيل كانوا يمارسون الخطيئة ويخالفون الرب.
  - ٣- استمرار الخيانات والمفاسد حتى في بابل.
  - ٤- اعتراف بأن بني إسرائيل كلنوا يهزؤون بالرسل ويتجاوزون عليهم.
  - ٥- فيه إخبار بأن ملك بابل لم يبق في عملية الغزو شعباً أو تراثاً أو ملكاً أو مقومات للمجتمع إلا وأتلفها، مع قتل الشعب بأكمله وحرقة بيت الله وما فيه من الكتب والآنية.
- يقول أحد الباحثين: «ومن هنا بدأت الدعوة إلى قيام تكتل جديد من الأسرى ضد الدولة البابلية، وكان هذا التكتل بداية تشكيل الدين اليهودي»<sup>(١)</sup>.

ثم إننا نتابع هذا التكتل السياسي الديني مع ما ورد في سفر أشعيا لنرى أثر الفكر الفارسي في نشوء هذه الديانة، وليصبح الأمر مما لا شك فيه بأنه خليط من أفكار الأحبار

---

(١) همو، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

وأفكار الفرس أنتج الديانة اليهودية المتكونة من اتحاد الإلهين ليخرج اسم (يهوه)، الذي هو اسم الرب الجديد عند اليهود في بابل، ومما يوضح هذه الفرية ما أوردته التوراة المنسوبة إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم، فإذا قالوا ما اسمه، فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: أهية الذي أهية، وقال: هكذا تقول لبني إسرائيل أهية أرسلني إليكم»<sup>(١)</sup>.

ويعني الله أن يطلب من بني إسرائيل أن يتركوا هذا الطلب، وأن الله يقول لهم: «أكون من أكون أنا»، لكن هذا النص سرعان ما يأتي عليه التزوير والتوفيق البابلي فيكشف حقيقته المزيفة، تقول التوراة: «وقال الله لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم إله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد، وهنا ذكرني إلى دور فدور»<sup>(٢)</sup>. فأى من النصين يعتمد عند اليهود؟

ويؤكد لنا ما ورد من تحريف ما يقوله السامرة عن اليهود وما يدلون به من حجج ودلائل على عدم صحة التوراة التي بين يدي اليهود، وهذا الأمر حدث في أيام ظهور اليهودية.

(١) الكتاب المقدس، مصدر سبق ذكره خروج ٣ - ١٢ - ١٤.

(٢) المصدر نفسه، ٣ - ٢ - ١٤.

إذن فأصول المجتمع اليهودي بالذات قد بدأت من بابل وتأسلت القيم السياسية الدينية هناك لتبدأ حياة جديدة في وطن العودة فلسطين، لكن كيف كان هذا الوطن؟ ومتى عاد المتهودون إلى هناك؟ أم هي مجرد محاولة؟

هذه التساؤلات تجيب عنها مصادر عديدة، فالمكتشفات الأثرية والروايات التوراتية قد أدت دوراً مهماً في إثبات عدم وجود دولة يهودية أو مؤشرات لدولة يهودية قبل تاريخ عودة اليهود الذين سبوا في بابل، يقول أحد الباحثين: «فاليهود هم حصراً بقية سبي يهوذا الذين عادوا إلى أورشليم في أوائل القرن السادس قبل الميلاد، وشكلوا القاعدة السكانية للمقاطعة الصغيرة (يهوذا)، وفي هذه المقاطعة الصغيرة قام كهنوت أورشليم بتدوين أسفار التوراة خلال الحقبة الواقعة بين القرن الخامس والثاني قبل الميلاد، وهنا نشأت وتطورت الديانة المدعوة باليهودية»<sup>(١)</sup>، ويؤيد الباحث كلامه بما قاله الأركيولوجي الهولندي H. Franken: «إن مسألة غياب الشواهد الأثرية عن وجود الجماعات أعطى دعماً مادياً للآراء التي تنفي الوجود اليهودي في فلسطين قبل المدة التي عاد فيها سببا

(١) سركيس، خليل، تاريخ أورشليم القدس، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،

دمشق، سوريا، ٢٠٠١، ص ٨٣.

بابل وعن موجودات الآثار التي تعود لأقوام تختلف ثقافاتهم عن هؤلاء، مما جعل الجزم بالقول بذلك»<sup>(١)</sup>.

ولما سقطت بابل بيد (كورش) الفارسي ٥٣٩ - ٥٣٨ ق.م. وجد اليهود أن ثمة ضرورة للعودة إلى ديارهم، لا سيما وأنهم قد عملوا طابوراً خامساً لصالح الفرس سهل عليهم دخول المدينة، ويقول (عزراً)<sup>(٢)</sup>: إن أقل من خمسين ألفاً قد عادوا من المسبيين بقيادة زرو بابل ويشوع بن صاداق وغيرهم، وبعد تعثر طال سنين عديدة استطاع هؤلاء العائدون بناء بعضاً مما حاولوا بناءه، وكان ذلك بمساعدة الفرس مادياً»<sup>(٣)</sup>.

وبعد هذه التطورات التي أعطت الفرس حكماً ذاتياً لليهود وأخذت هذه المجتمعات بالتحرك نحو توسيع حجمها السكاني ورقتها الجغرافية، فقامت هناك حملات تهويد جماعية كتهويد الأدوميين وتهويد الجليل، بل امتدت إلى إقليم سوريا واليمن والحبيشة، ونرى الآن أحفادهم من يهود الفلاشا (الأحباش)،

---

(١) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود والصهيونية، ج ٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٦٩.

(٢) سرقيس، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥. ٥٩. بشور، وديع (دكتور)، صهينة الخزر، ص ٥٢ - ٥٥، وبرااستد، هنري جيمس، العصور القديمة، نقله إلى العربية داود قربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣، ص ٢٣٤.

(٣) سرقيس، خليل، تاريخ أورشليم القدس، دار علاء الدين، للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سوريا، ٢٠٠١، ص ٨٣.

ثم انتشرت اليهودية في جزيرة العرب، فكانت هناك يثرب وسهل الأوس والخزرج وخبير، حيث التجمع حول الواحات كبني النضير و بني قريظة وبني بهدل<sup>(١)</sup>.

وهكذا استقرت هذه المجمعات اليهودية في أماكنها التي ذكرناها مكونة مراكز بشرية حاولت السيطرة على مناحي الحياة الزراعية والتجارية لما تتمتع به من أساليب الاستغلال والمراباة، واستغلال الفرص السياسية، وكان خضوعهم السياسي تابعاً للنظم السياسية للمدن التي يقطنوها حتى ظهر الإسلام<sup>(٢)</sup>.

## أما الأوضاع العامة

يمكننا توضيح ذلك في الآتي:

### ١ - الأوضاع الثقافية

للتعرف على الأوضاع الثقافية للمجتمع المتهود لا بد لنا من عودة إلى خلفية هذا المجتمع من حيث أصوله العرقية و موطن نشأته... ومن البدهي القول إنها كانت ثقافة بدوية زراعية، إذ كانت الزراعة المهنة الساسية التي يعتمد عليها

(١) أمين، أحمد، (دكتور)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٧٥.

(٢) بشور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤.

المجتمع الاسرائيلي في أرض فلسطين. وهذا ما أكدت عليه جميع المصادر التاريخية<sup>(١)</sup>.

أما بعد هجرة النبي يعقوب وأولاده إلى مصر فإن الحياة هناك كانت أكثر مدنية؛ إذ تعدد نشاطات الحياة هناك، بالرغم من أن العائلة المهاجرة فضلت البقاء على وضعها الاقتصادي وممارسة الحياة البدوية التي كانت تمارسها في فلسطين. وهذا ما يدعونا إلى القول إن احتكاك المجتمع الضيف بالمجتمع المصري سيكون محدوداً وبقدر ما تدعو إليه طبيعة التعايش بين مجتمع بدوي وآخر حضري؛ إلا أن مصادر مختلفة أوردت عكس هذا، مستندة بذلك إلى التغيرات التي طرأت على المجتمع الإسرائيلي في مصر من انصهار وتبدل في أساليب الحياة اليومية نتيجة للتزاوج والمصاهرة بين المجتمعين، وقد

---

(١) تقول التوراة: «فقد حمل بنو إسرائيل يعقوب آباءهم وأطفالهم ونساءهم... وأخذوا ماشيتهم وسرحهم الذي اقتنوه في أرض كنعان، وقدموا إلى مصر يعقوب وجميع نسله معه بنوه وبنو بنيه وبناته وبنات بنيه وسائر نسله جاؤوا معه إلى مصر، وهناك قال يوسف لفرعون: إن إخوتي وأل أبي الذين كانوا في أرض كنعان قد قدموا عليّ، والقوم رعاة غنم لأنهم كانوا أصحاب ماشية، وقد أتوا بغنمهم وبقرهم، فقالوا لفرعون عبديك رعاء غنم ونحن وأباؤنا جميعاً جئنا لننزل بأرضك إذ ليس لغنم عبديك مرعى من اشتداد الجوع. فقال فرعون ليوسف... هذه أرض مصر بين يديك أنزلهم بأوديتها... ليقموا بأرض جاسان، وإن كنت تعلم أن فيهم أهل حذق فأقمهم وكلاء على ماشيتي». راجع الكتاب المقدس، مصدر سبق ذكره، خروج، وراجع د. أحمد داود، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧.

حدا ببعض الباحثين إلى القول بأن المجتمع الإسرائيلي المهاجر قد ذاب في المجتمع المصري<sup>(١)</sup>؛ نتيجة الاختلاط، أما بعد عودة الإسرائيليين إلى فلسطين واستقرارهم فيها فإننا شاهدنا أن تغييراً كبيراً وواضحاً في ثقافة المجتمع العائد عند استقراره واختلاطه في الحياة اليومية لشعب فلسطين؛ لاسيما بعد قيام الحكومات المتعاقبة والتفاعل الحضاري مع ثقافة الشعوب الزائرة للمنطقة سواء أكانت غازية أم تحمل طابع المتاجرة؛ كون المنطقة جسراً تعبر عليه الأمم المجاورة إلى البلدان الأخرى، فضلاً عما تجده من حاجاتها التجارية في فلسطين، وبهذا تمتزج الثقافات البابلية والمصرية والفينيقية وبلاد إيجيه بهذا الاحتكاك<sup>(٢)</sup>، ويرى باحث في هذا الموضوع أن المجتمع الإسرائيلي الذي عاد إلى فلسطين من مصر لم يكن المجتمع العائد وحده، إذ كان خليطاً من المصريين والهكسوس والأقباط وغيرهم من أطراف الشعب المصري، وواضح أن سبب هجرتها هي استجابتها لدعوة النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أمره الله بالعودة، والهجرة من مصر، ولو أن الخطاب القرآني كان يوجه إلى بني إسرائيل إلا أن ذلك لا يمنع وجود هؤلاء الذين ذكرناهم

(١) الفاروقي، إسماعيل راجي (دكتور)، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، مطبعة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٣٣.

(٢) براستد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢١.

آنفاً ضمن الفئة المهاجرة<sup>(١)</sup>، ويفيدنا هذا بأن ما حصل من عمران في بناء هيكل مملكة إسرائيل وما تطورت به الزراعة والجيش وما شيدت به المعابد كان بفعل هؤلاء المهاجرين مع بني إسرائيل الذين كانوا يمتنون الرعي والزراعة في فلسطين وفي مصر، فضلاً عن ذلك فإن هذا التنوع المجتمعي النسيبائي كان يحتوي على ثقافات عديدة تختلف عن بعضها أحياناً، وتتوافق أحياناً أخرى مما ساعد على سرعة نهوض الحضارة الإسرائيلية من جهة، وسرعة انهيارها من جهة أخرى، وما الانقسامات والاختلافات وتأصل الطائفية والعنصرية إلا خير دليل على ذلك<sup>(٢)</sup>.

من ناحية أخرى، تدل سرعة انهيار الحضارة الإسرائيلية على هشاشة جسد تلك المملكة، ويرجع هذا إلى عدم تأصل تلك الثقافات في نفوس الشعب الإسرائيلي، بل وعد استعداده استبدال الطباع المتحضرة بترسبات الماضي والثقافات الجديدة مما جعل المملكة محط أنظار الطامعين فيها من الفرس والرومان واليونان والبابليين، ويعطينا القرآن الكريم خير دليل على ذلك من خلال ما ذكر عن النبي داود والنبي

(١) الفاروقي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

(٢) همو، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

سليمان عليهما السلام<sup>(١)</sup>، وما توصلنا إليه من قوة وسلطان؛ ولم يذكر ذلك لغيرهما إلا ما ندر من الأحداث التاريخية التي أحيطت بالكثير من الغموض<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - العادات والتقاليد الاجتماعية

تتأثر العادات والتقاليد الاجتماعية بطبيعة الثقافة التي يحملها كل مجتمع، وقد مررنا من خلال العرض لثقافات المجتمع الإسرائيلي أنها كانت متأثرة بالأطياف المتعددة لأصول المجتمع المهاجر من مصر، إذ تنتقل تلك المجتمعات المهاجرة بما تحمله من ثقافات إلى المجتمع الجديد المضيف لها، وهذا بلا ريب يكون عاملاً مهماً في تأثيره على العادات والقيم الاجتماعية. وبما أن المجتمع الإسرائيلي كما أسلفنا مجتمع له أصوله البدوية فمما لا شك فيه أن ذلك التأثير سيكون سطحياً يمكن أن يتغير بطارئ آخر أو بظروف معينة، كما أن الأوضاع الدينية للمجتمع الإسرائيلي آنذاك لها دورها الخاص في بناء المجتمع والتحكم في البنية الاجتماعية له، وعلى هذا فإن الانحرافات العقائدية

---

(١) راجع سورة البقرة الآية ٢٥١، وسورة سبأ الآية ١٠ - ١١، وسورة النمل الآية ٣١، وسورة ص الآيات ١٧ - ٢٠، وسورة النمل الآية ١٦.

(٢) الفرناطي، عبد الرحيم بن سلمان بن ربيع القيس الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إدريس إسماعيل المغربي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٣٤٣ - ٣٦٠.

والتقليد العمياء لشعوب أخرى والسير وراء معتقداتهم لم تكن إلا من تلك الإفرازات السلبية لثقافة المجتمع الإسرائيلي<sup>(١)</sup>.

لقد كانت الأواصر الاجتماعية للمجتمع الإسرائيلي مفككة بفعل التنوع الأصولي لشرائح المجتمع واختلاف ثقافته، أما بعد عودة سبايا بابل وبديانة جديدة (اليهودية)، حاول هؤلاء أن يؤدوا دوراً جديداً في إعادة بناء الدولة التي لم يبق من تراثها شيء، وكان ممن تزعم هذا الطموح اثنان هما: عزرا الكاتب ونحميا اللذين نجحا بعض الشيء في ترميم بعض أركان الدولة، لكنهم لم يفلحوا في إعلاء نفوذهم؛ بل عاشوا تحت سلطة الاحتلال الفارسي، مما جعل الأوضاع الاجتماعية تتراجع نحو الأسوأ؛ إذ ظهرت الانقسامات والخلافات، وعمّ التناحر الاجتماعي الذي عطل معظم مناحي الحياة؛ ليسود الجهل والفقر وفقدان الأمن وعدم توازن السلطة وفشل ما كان يحلم به يهود بابل من إقامة مجتمع يهودي يختلف عن مجتمعاتهم المنهارة، وبقي الأمر هكذا إلى أن احتل الرومان المنطقة لتصبح دولة اليهود تابعة لحكم روما عام ٦٣ ق.م.، وساد البطش والتنكيل بأفراد المجتمع اليهودي الذي استمرت حياته من دون استقرار أو هدوء<sup>(٢)</sup>.

---

(١) تقول التوراة: «وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب». قض: ١٠٢ - ١٢. وتقول التوراة: «وقد عبد بنو إسرائيل إله غزة وأشقلون وجبرون وعقرون وإله البيبوسيين والحثيين». ٣: ٢ - ٦ راجع الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، مطبعة علاء، ١٩٧٩، ص ٥٧.

(٢) سقوط، داود عبد العفو، أبناء يهود في الخفاء - جذور الفكر اليهودي، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٣، ص ١٢٦.

### ٣ - الحالة السياسية

إن التركيبة المعقدة للشخصية اليهودية أعطت للحياة السياسية عدم الاستقرار؛ مما تسبب في تعطيل أي تقدم تحرزه المجتمعات اليهودية التي تتطلع إلى بناء دولة لها كياناتها سلطانها في المنطقة، وكذلك كانت الشخصيات المتزعمة لقيادة المجتمع اليهودي تطمح إلى إقامة دولة آمنة تستطيع أن تدافع عن نفسها، وأن تتخلص من الاستعمار المتناوب على حكمها، إلا أن ذلك لم يحدث، إذ من البدهي أن تكون المجتمعات المجاورة متفاعلة مع هذا المجتمع ومساعدة له للخروج من أزماته، وكان المجتمع اليهودي يفتقر إلى عنصر الألفة والتعايش مع المجتمعات الأخرى، بل هو يحمل نظرة التعالي والخصوصية التي أصلها فيه كتبة التوراة البابلية من أنهم شعب الله المختار، وأن (يهوه) هو الإله لهم فقط، وأنه يأتهم بأمرهم ويسمع لقولهم، فقد كانت كل هذه الصفات مدعاة لعزل الشعب اليهودي عن غيره من المجتمعات المجاورة.

وقد حاول العائدون من بابل أن يعطوا للسياسة ثوباً جديداً من خلال تعيين رجال الدين قادة لهم، لكن هذا لم يزد الوضع إلا تدهوراً<sup>(١)</sup>؛ بسبب الخلافات بين هؤلاء القادة الجدد، مما

(١) الفاروقي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩.

لفت أنظار الإغريق الذين بسطوا سيطرتهم على فلسطين، وسيطروا على حكم البلاد في عام ٣٣٢ ق.م بقيادة الإسكندر المقدوني<sup>(١)</sup>.

وحدث أن انقسمت الدولة اليونانية فاستغل اليهود ذلك واتصلوا بأحد شطريها ليحصلوا على بعض التسامح الديني وبعض الحريات التي سمحت لهم بممارسة نشاطهم الديني من بناء المعابد والدعوة إلى اليهودية.

لكن ذلك لم يستمر؛ إذ لم يلبثوا أن غرر بهم فاتصلوا بالرومان ليقعوا بالدولة اليونانية، وعندما انكشف أمرهم وكيدهم جرت عليهم ويلات اليونان، فهدموا معابدهم وأحرقوها وقتلوا وشردوا كثيراً منهم، واستمر الوضع هكذا إلى أن دخلت الجيوش الرومانية فلسطين التي ربطت مصير اليهود بروما مباشرة، ودخل اليهود حقبةً سياسيةً جديدةً قاسوا خلالها مرارة العيش والقسر من خلال تعاقب ملوك الرومان لحقب طويلة<sup>(٢)</sup>.



(١) المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٢) طنطاوي، محمد سعيد، (دكتور)، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، ج ١، مطبعة حامد خير، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٦٧ - ٦٨.



## الفصل الثاني

### يهود الخزر

#### المبحث الأول:

- أولاً: المفاهيم والمصطلحات.
- ثانياً: الموقع الجغرافي لإقليم الخزر.
- ثالثاً: الأصول العرقية لشعوب الخزر.
- رابعاً: الحالات العامة للخزر:
  - أ- الحالة السكانية والاجتماعية.
  - ب- الحالة السياسية.
  - ج- الحالة الدينية.
  - د- الحالة الاقتصادية.

#### المبحث الثاني:

تحول الخزر إلى الديانة اليهودية.

#### المبحث الثالث:

الخزر ودول الجوار:

- ١- العلاقات العربية الخزرية.
- ٢- العلاقات الخزرية البيزنطية.
- ٣- العلاقات الخزرية الروسية.
- ٤- العلاقات الخزرية والأندلس.
- ٥- علاقات الخزر بالسلاجقة.



## المبحث الأول

### أولاً المفاهيم والمصطلحات

من خلال دراستنا لليهود واليهودية في الفصل السابق توصلنا إلى صغر حجم المجتمع اليهودي الذي انطوى تحت ديانته وما حوته التوراة المزعومة من التضليل الذي يسري تحت رداء التوفيق والتزوير، وعلى الرغم من ذلك فلم تفلح الأعداد المتواضعة لتلك الشريحة بالنجاح في تكوين دولة لها كيانه السياسي أو قوتها العسكرية بين شعوب العالم، وظلت تلك الأقلية اليهودية تعيش تحت سلطة الدول المتعاقبة على استعمار المنطقة واحتلالها.

لكن الذي فاجأ العالم السياسي منه والديني وفي القرن الثامن الميلادي ظهور إمبراطوية لليهود في بلاد ليس لها علاقة بمسرح الأحداث التاريخية والدينية لما يسمى باليهودية، لقد ظهرت مملكة أو إمبراطورية تدين بالديانة اليهودية سميت (بمملكة الخزر)<sup>(١)</sup>، أو إمبراطورية الخزر، وأطلق المؤرخون

(١) الخزر: لغة خزر الرجل يخزر خزرًا نظر بلحظ عينيه وتباهى وهرب، وخزر يخزر خزرًا كسرت عينه بصره حلقة، أو صارت ضيقة وصغيرة، أو نظر كأنه بأحد الشقين، أو كأنه يفتح عينيه ويغمضها، أو كانت إحدى عينيه حوله فهو أخزر وهي خزراء. وتخازر الرجل ضيق جفونه ليحدد النظر، أو أن يري من نفسه الخزر وليس به، وهو أن ينظر بمؤخرة عينه؛ وذلك كقولهم تعامى وتجاهل، قال الراجز: =

على سكان هذه الإمبراطورية اسم (يهود الخزر)، فمن هؤلاء الخزر؟ ومن أين جاءت تسميتهم؟ وكيف اعتنقوا الديانة اليهودية؟ وما يتعلق في نشاط هذه الإمبراطورية؟ سنتعرض لكل ذلك في دراستنا بهذا الفصل.

### إذا تخازرت وما بي من خزر

والخازر الرجل الداهية، والخزر مصدر وجيل من الناس خُزر العيون، ومنه بحر الخزر، والخزور الشاب القوي. راجع البستاني، المعلم بطرس محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٣٩.

وقيل: الخزر بالتحريك وآخره راء، وهو انقلاب في الحدة نحو اللحاظ، وهو قبح الحال، وهي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدريند قريب من سد القرنين. ويقولون: الخزر نسبة إلى خزر بن يافث بن نوح عليه السلام، وقال في كتاب العين: الخزر جيل، خزر العيون. راجع الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٦٨، ص ٣٦٧٠، وخزر بالتحريك بلاد الترك خلف باب الأبواب، وهم صنف من الترك، وهو في إقليم من قسبة تسمى آتل، وأتل نهر يجري إليهم من الروس، قال دعبل يمدح آل البيت عليهم السلام:

وليس حي من الأحياء نعرفه      من ذي يمان ولا بكر ولا مضر  
إلا وهم شركاء في دمائهم      كما تشارك أيسار على خزر  
قتل وأسار وتحريق ومنهبة      قتل الغزاة بأهل الروم والخزر

راجع البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد علي البجاوي، المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (١٣٧٣ هـ-١٩٥٤ م)، ص ٤٦٥. والخزر يقال لهم الخزرة أيضاً، وهم اسم لجيل من كفرة الترك، وقيل من العجم، وقيل من التتار، وقيل من الأكراد من ولد خزر بن يافث بن نوح عليه السلام، وقيل هم ولد كاشح ابن يافث، وقيل هم الصقالبة من ولد ثوبال بن يافث، وفي حديث حذيفة «كأنني بهم خُنس الأنوف خزر العيون»، ورجل خزري وقوم خزر... إلخ. راجع الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم الفرباوي، ج ١١، ص ١٥٥.

يقول د.م. دنلوب: «ومما يوضح أن الرسائل التي كانت ترسل في القرن العاشر من عاصمة البوسفور إلى ملك الخزر الذي عرف باسم (الخاقان) حملت ختمًا ذهبيًا أوسع وأرشق من أختام الرسائل التي أرسلت إلى البابا في روما وإلى خلفاء شارلمان»<sup>(١)</sup>.

هذه العبارة تعطينا معنى أن «ملك الخزر كان يحكم مملكة لها من الأهمية أن يميزها الملوك أو الحكام بدبلوماسية أكبر قدرًا من غيرها، وهذا يدل لنا حقيقة ما سيرد عن قوة وشكيمة هذا الشعب الخزري. لقد اختلفت المصادر التاريخية في أصل هذه التسمية وتباينت من رأي إلى آخر، وكلُّ له ما يعتمد عليه في رأيه، فمن قائل أن أصل كلمة الخزر مما ذهب إليه علماء اللغة، أي أن تسمية البلاد جاءت من صفة الشعوب التي تسكنها، إذ إن اسم الخزر كان بسبب ضيق عيونهم التي يسمى صاحبها أخزر العين»<sup>(٢)</sup>.

أما من يرى أنه جاء من اشتقاق لغوي فيذهب إلى أن (الخزر) معناه البداوة، إذ يرجع الكلمة إلى الفعل (خزر)

---

(١) دنلوب، د.م. تاريخ يهود الخزر، نقله إلى العربية وقدم له د. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط٢، دمشق، سوريا، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠، ص ١١.

(٢) البستاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٩، والحموي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٧، والزبيدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥.

ومعناه في التركية (قز)، ويعني هذا الفعل (يتجول) أو (يبتدئ) من البداوة، أو قد يكون (قزماك)<sup>(١)</sup>.

وهذا الرأي قد يكون مما يؤخذ به، باعتبار أن شعب الخزر شعب بدوي يمارس الرعي والتجوال طلباً لفرص العيش، إلا أننا نرى غير هذا؛ إذ إن الدراسات الجغرافية والبشرية أعطت طابعاً آخر، فهم شعب مستقر قد يمارس بعض الرعي، إلا أن طابع الزراعة والاستقرار هو الطابع الرئيس للخزر.

ومما يؤيد هذا ما يقوله المقدسي: «وتكثر في بلاد الخزر قطعان الأغنام، وتنتج من العسل كميات وفيرة، ويعيش فيها العديد من اليهود»<sup>(٢)</sup>.

ويرى ج. ديني J. Deny أن اسم (خزر) جاءت من Quzer أو Quazar ومعناه طرف الجبل المواجهة لجهة الشمال، وإذا زدنا عليه (eri) فإنه يصبح شعب الشمال.

هذا وإن كان ما يعضد رأيه أن في لغة أرمنيا القديمة ولغة جورجيا غالباً ما يطلق على ملك الخزر (بملك الشمال)، لكن الوثائق الخاصة بمراسلات الخزر والتي تعرف بوثائق كمبرج كان فيها (Kazar)، وهذا يقرأ (قزر)<sup>(٣)</sup>.

(١) دتلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(٢) المقدسي، المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه د. محمد مخزوم، دار التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ص ١٤٨.

(٣) دتلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠ - ٢١.



## ثانياً الموقع الجغرافي لإقليم الخزر

الخزر اسم إقليم من قسبة تسمى (أتل)، وأتل اسم لنهر يجري إليها من الروس والبلغار، وأتل مدينة، والخزر اسم المملكة لا اسم المدينة، والأتل قطعتان، قطعة على غربي النهر وهي الكبيرة، وقطعة شرقية، والمملك يسكن الغربي منها، ويسمى الملك بلسانهم (يلك)<sup>(١)</sup>.

وذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم قوله: «وقد جعلناه خمسة كور، أولها من قبل خراسان قومس ثم جرجان ثم طبرستان ثم الديلمان ثم الخزر...»، حتى يصل إلى قوله: «أتل قسبة كبيرة على نهر يمتد إلى البحيرة التي يقال لها أتل، وإليه أضيف اسم البلد، وكان ملكهم يهودي»، ويستمر بوصفهم إلى أن يصف مدنهم وهي سمندر، وبلقاء وباب

---

(١) حماد، أحمد أحمد بن فضلان بن العباسي بن راشد، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، (د.ت)، ص ١٦٩ - ١٧١. وأحمد بن فضلان هورسول الخليفة العباسي المقتدر إلى ملك البلغار الذي توجه بخطاب إلى أمير المؤمنين العباسي يطلب منه أن يبعث إليه من يفقهه في الدين الإسلامي ويسأله عن بناء حصن يتحصن به من هجمات ملوك الخزر، وكان ذلك عام (٣٠٩ هـ) الموافق (٨٨٨ م)، ودامت الرحلة عاماً كاملاً، كتب ابن فضلان ما لاقاه ورجاله في رحلته من المصاعب والنوازل، وذكر ما شاهده من الأراضي والأقاليم وتضاريسها والشعوب التي مرَّ بها وعاداتهم وتقاليدهم وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسة، وكانت رحلته هذه مرجعاً تاريخياً رئيساً في دراسة المناطق التي مرَّ بها. والبغدادي مصدر سبق ذكره ص ٤٦٥.

الأبواب، ويصف نهرهم الذي سماه (نهر الخزر)، ويضم إقليم الخزر ضمن إقليم الخزر ضمن إقليم، إلا أنها لا تخرج بعضها عن موقعها الجغرافي فيقول: «هو إقليم حار الإقومس، كثير المياه والأمطار، ليس فيه نهر تجري فيه السفن إلا بناحية الخزر»<sup>(١)</sup>.

ويذكر لنا ابن الفقيه في وصفه لبلاد أرمينيا التي قسمها على أربعة أقاليم: «إن مملكة الخزر تقع ضمن أرمينيا الرابعة، وذكر فيما وصفه ما طابق غيره من أسماء المدن وأهلها والأقاليم وطبيعتها»<sup>(٢)</sup>. ولم نجد اختلافًا بين المؤرخين الذين

(١) المقدسي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧١ - ٢٧٧.

(٢) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ٢٤٨ - ٢٧٩، وبالطريقة نفسها يذكر البلاذري في حديثه عن وصف بلاد الخزر في كتابه (البلدان)، فيقول: «والمسافات بين بلاد بحر الخزر ونواحيها من أبسكون إلى بلاد الخزر عن اليمين نحو ٣٠٠ فرسخ وعن اليسار ٣٠٠ فرسخ أيضاً، ومن أبسلكون إلى دهستان ٦ مراحل، ويقطع هذا البحر إذا طابت الرياح من طبرستان إلى باب الأبواب في أسبوع، ومن أتل إلى سمندر في ٣ أيام، ومن أتل إلى برطاس ٢٠ يوماً، ومن أول برطاس إلى آخره ١٥ يوماً، ومن برطاس إلى بجنك نحو ١٠ مراحل، ومن أتل إلى بجنك مسيرة شهر، ومن أتل إلى بلغار نحو شهر، ومن بلغار إلى حد الروم نحو ١٠ مراحل، ثم يستمر في وصف البلاد فيصف نهر أتل فيقول إنه يخرج من قرب خرخير، ثم يجري بين الكيماكية والفضية ويتجه غرباً على ظهر بلغار ويعود شرقاً حتى يجوز الروس، ثم يعود راجعاً داخل البلغار، ثم على برطاس، ويبقى عمود النهر يجري في الخزر حتى يقع في البحر، وللخزر مدينة تسمى سمندر، فيما بينها وبين باب الأبواب، فيها بساتين كثيرة، ويقال إنها تشتمل على نحو أربعة آلاف كرم إلى حد السرير، والسرير اسم مدينة سميت على اسم سرير من ذهب كان لبعض ملوك الفرس، وأهلها نصارى، ويقال إن السرير تم عمله في سنين طويلة. =

اختلفت أجناسهم ومصادرهم وأزمان دراستهم بأن الخزر هم الشعب الذي يسكن بلاد القوقاز وحوض بحر قزوين ونهر الفولغا، وقد جرت دراسات حديثة متنوعة، جغرافية كانت أم تاريخية طابقت ما جاء به المؤرخون في القرون المتقدمة؛ فترى قول الشمالي بهذا الخصوص «في مناطق القوقاز في الرقعة الممتدة بين نهري الفولغا والدون وحتى شواطئ بحر الخزر والبحر الأسود، كانت هناك في القرن الثامن الميلادي (مملكة) يهودية عاشت قوية ومنتعشة مدة طويلة من الزمن، ولقد كان أهل تلك المملكة خليط يعود بأصوله إلى أواسط آسيا وشرقها، وهم يعدون من أكبر الجماعات التي اعتنقت الديانة اليهودية خلال العصور المتعاقبة»<sup>(١)</sup>.

== وبرطاس مدينة متاخمة للخزر، ولسانهم لسان الخزر، والخزر اسم الإقليم، وقصته أتل... إلخ». راجع البلاذري، الإمام أحمد بن يحيى بن جابر، البلدان وفتوحاتها وأحكامها، تحقيق سهل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م، ص ١٢٢ - ١٢٧.

ويصف لنا المغربي بقوله: «ويقع هذا الباب (باب الأبواب) في مضيق يتكون من شاطئ بحر الخزر ومن الطرف الشرقي لجبال القوقاز، بينما يتصل بالأسوار التي ذكرها الكتاب العرب وقالوا إنها تمتد حتى شواطئ البحر الأحمر»، وذكر الأمير (كانتامير CANTAMIR) بأنها تمتد مسافة فرسخ ونصف، وأنها مبنية بأحجار مرصوفة دون الإسمنت والحديد، وأنها بنيت في أيام الخليفة هارون الرشيد عام (١٨٠ هـ - ٧٩٦ م). راجع بذلك المغربي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد كتاب الجغرافية، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل المغربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ت)، ص ١٧٧.

(١) الشمالي، نصر، ملاحظات أساسية حول المسألة اليهودية، ط ٢، مكتب الخدمات للطباعة دمشق، ص ٧٢. وليلنتال، الفريد، ثمن إسرائيل، ترجمة حبيب غولي وياسر هوراي، كتاب الملايين، ١٩٥٤، ص ٢٢٩.

أما كيستلر فيقول: «إن الغالبية العظمى من اليهود الباقين في العالم (المعاصر) هم من أصل أوربي شرقي، ومن ثم من أصل خزري، وإذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن أسلاف معظم اليهود المعاصرين لم يأتوا من وادي الأردن، وإنما من الفولغا، ولم ينحدروا من كنعان، وإنما من القوقاز»<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً: «حتى القرن التاسع الميلادي لم يكن للخزر منافس لسيادتهم على الأقاليم الواقعة شمال بحر قزوين وأقاليم السهوب والغابات المتاخمة لنهر الدنيبر؛ بل كانوا أصحاب السيادة العليا في النصف الجنوبي من أوروبا الشرقية طيلة قرن ونصف من الزمان، وشكلوا سدًّا منيعاً يحول دون أي زحف قادم من آسيا وأوروبا عبر المدخل القادم من أورال وبحر قزوين، واستطاعوا طيلة هذه المدة صد الهجمات القادمة من الشرق»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) كيستلر، آرثر، القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم، ترجمة أحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢٦. وكيستلر هذا مفكر صهيوني ولد في هنغاريا عام ١٩٠٥ م، وانتقل إلى بريطانيا حيث عاش فيها منذ عام ١٩٤١، وقام بإعداد كتابه إمبراطورية الخزر وميراثها، ويعد هذا مرجعاً مهماً يفي فيه بالوقائع التاريخية لانتماء معظم يهود العالم إلى يهود أوروبا، وينفي علاقتهم بالعرق السامي، بل ويكشف أصولهم التركية دون أن يعني هذا تبديلاً في موقفه المؤيد لوجود إسرائيل.

(٢) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مجلد ٢، عالم الكتاب للنشر، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ص ٨٢٤ - ٨٢٧.

ويذكر اليعقوبي: «وكانت الخزر المتغلبة على عامة بلاد أرمينيا، وعليها ملك يقال له خاقان، وله خليفة يقال له (يزيد بلاش)، يحكم الران وحرزان والسفرجان والسيحان، وكانت هذه الكور تسمى أرمينيا الرابعة التي افتتحها قباذ ملك الفرس، ثم صارت إلى أنوشروان، إلى باب اللان مئة فرسخ، وفيها ثلث مئة وستون مدينة، وغلب ملك الفرس على الباب والأبواب (دربند) وطبرسران والبلنجر، وبنى مدينة قاليقلا ومدناً كثيرة»<sup>(١)</sup>.

ويروي لنا الطبري: «أن أنوشروان قسّم إمبراطوريته إلى أربع مقاطعات كبيرة أو (اصيهزين)، وكان من بينها أصبهبز أذربيجان وما والاها من بلاد الخزر، وقد كان منشغلاً في الحرب مع إحدى الأمم التي عرفت باسم (صول)، وهم بالتأكيد سكان الأصقاع الشمالية الشرقية القصوى لجبال القوقاز، وفي أحواز حمر صول (دربند)، وقهر أمة باسم (بلنجر)، وأمة عرفت (بنجر)، وهم البلغار وأمة أخرى لربما كانت هي الخزر»<sup>(٢)</sup>.

ويذكر لنا أيضاً الدينوري بأن أنوشروان خلف ابنه هرمز [٥٧٩ - ٥٩٠ م]، وهرمز هذا شارك بالحرب ضد تحالف كبير كان يضم الخزر والإغريق<sup>(٣)</sup>.

(١) اليعقوبي، أحمد بن واضح الكاتب، تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف، ١٩٦٤، ص ١٦٨.

(٢) الطبري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٤ - ٢٦٦.

(٣) الدينوري، أبوحنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، المكتبة الأزهرية، مطبعة

السعادة، القاهرة، مصر، ص ٣١٤ - ٣١٨.

ويضيف في حديث آخر... إن الاسكندر الكبير -والذي سماه الفاتح الكبير- عندما رجع من فتوحاته في شمال إفريقيا عزم الرجوع إلى الشرق، لكن وزراءه حذروه من الصعوبات التي سيواجهها عند عبوره البحر الصفر ذي المياه الآسنة، لكن على الرغم من تحذيرات وزرائه اجتاز الأراضي الإغريقية ووصل بلاد الخزر واستمر حتى أراضي الترك<sup>(١)</sup>.

وأورد المسعودي أن الخزر كان موطنهم القوقاز وحوض الفولغا والأجزاء الجنوبية لروسيا<sup>(٢)</sup>.

ويذكر ابن الفقيه عن الري ومكانتها الجغرافية والتجارية، وكيف كانت عروس البلدان، ويسرد لنا أسماء الأقاليم التي تليها فيقول: «فهي عروس الأرض، وواسطه خراسان وجرجان والعراق وطبرستان، وهي أحسن الأرض مخلوقة، ولها السُّرُّ والسربان، وإليها تقع تجارات أرمينيا وأذربيجان وخراسان والخزر وبلاد بركان؛ لأن تجار البحر يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق، حتى يذكر لنا أنهم يجيئون إلى خليج الخزر فيعشرهم ملك الخزر»، وكتب ابن سعيد المغربي<sup>(٣)</sup>

(١) المصدر نفسه ص ٣٢٥.

(٢) المسعودي أبو الحسن علي بن أبي الحسين بن علي مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ دار الأندلس بيروت ١٩٦٩ ص ٢١٢.

(٣) المغربي مصدر سبق ذكره ص ١٧٧.

وهو مؤرخ إخباري عربي يقول: «أما عن الخزر فهم ينزلون شمال الأرض المأهولة قرب الإقليم السابع بحيث يقع برج الدب الأكبر فوق رؤوسهم وبلادهم باردة مطيرة؛ ولذلك فإن بشرتهم بيضاء، وعيونهم زرقاء، وشعرهم كثيف ضارب إلى الحمرة في الغالب، وأجسادهم ضخمة، وطباعهم باردة، وينم مظهرهم العام عن كونهم غلاظاً همجاً...»، يصف بلادهم بقوله: «يقع هذا الباب (باب الأبواب)<sup>(١)</sup> في مضيق يتكون من شاطئ بحر الخزر ومن الطرف الشرقي لسلسلة جبال القوقاز، بينما يتصل بالأسوار التي ذكرها الكتاب العرب، وقالوا إنها تمتد من الباب حتى شواطئ البحر الأسود، وذكر الأمير كانتامير Cantamir الذي عاين هذه الأسوار ابتداءً من مدينة دربند مسافة فرسخ ونصف غرباً، وقد ذكر أنها تمر بقمم الجبال وإنها مبنية بأحجار مرصوفة بدون إسمنت أو حديد، وكذلك لاحظ إنها لا يوجد لها أي أثر، إن هذه الأسوار تمتد حتى شواطئ البحر الأسود.

(١) القزويني، الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للنشر، بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠ م، ص ٥٠٦، ويستطرد القزويني بحديثه عن مدينة (باب الأبواب) فيصفها بأنها مدينة عجيبة على ضفة بحر الخزر، مبنية بالصخور يصيب ماء البحر حائطها، طولها مقدار ثلثي فرسخ، وعرضها غلوة سهم، عليها أبواب من الحديد، ولها أبراج كثيرة، ولها سور، وعلى السور حراس تحرس من العدو. بناها أنوشروان كسرى الخير، وهي أحد الثغور العظيمة؛ لأنها كثيرة الأعداء من أمم شتى، وإلى جانب المدينة جبل أرعن يجمع عليه حطب كثير، يُشعمل عند إنذار أهل آران وأذربيجان وأرمينية بمجيء العدو، وكانت الأكاسرة شديدة الاهتمام بهذا المكان لعظم خطره وشدة خوفه.

أما هذا الباب فقد بني في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد عام ١٨٠هـ - ٧٩٦م<sup>(١)</sup>.

ويصف ابن العبري بلاد الخزر حتى يصل إلى باب الأبواب، ويرى أن هذه من آثار (السد العظيم)<sup>(٢)</sup>، وأن موضع السد العظيم هو نفسه (باب الأبواب)، ويقع في مروج بلدان القنجا، وقد تم حفر موضع الأساس في الجبال حتى ألحق في بحر الروم، ولم تزل ملوك فارس في طلب هذا الأساس، وكذلك حكام وملوك جميع الأقاليم المجاورة من بلاد العراق وأذربيجان وآران وأرمينيا<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: الأصول العرقية لشعوب الخزر

تباينت آراء المؤرخين ونتائج الباحثين في أصول الخزر العرقية وانتمائهم لأي جنس، وانقسمت تلك البحوث والنتائج إلى قسمين:

**القسم الأول:** كان يشكل نظريات يضع أصحابها احتمالات مستندة إما على روايات أو أحداث تاريخية، أو على أمور توصلوا إليها عن طريق دراسة شعوب أخرى، ومثل ذلك ما كان يأتي

(١) المصدر نفسه ص ١٧٨.

(٢) يقصد بالسد العظيم سد يأجوج ومأجوج المصدر نفسه ص ١٧٩.

(٣) ابن العبري العلامة غريغوريوس الملطي تاريخ مختصر الدول دار الآفاق العربية القاهرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ص ٥٨.

من روايات عن علاقة الخزر بالإيغور<sup>(١)</sup>، أو بقباثل الهون أو عن أساطير ورد ذكرها أحداث تاريخية كالغزو والحروب، وقد يكون ذلك من خلال دراسة عن تنقل قبائل أو شعوب من مكان واستقرارها في مكان آخر، وهذه الطريقة لم تكن صالحة لأن يعتمد عليها الباحثون في موضوع مثل هذا؛ إذ إن شعباً أدى دوراً مهماً في التاريخ السياسي والديني لم تكن طبيعته من الشعوب المتنقلة أو المبتدئة، وهذا ما سنراه في دراستنا من خلال نشاط هذه الإمبراطورية في حقبة زمنية قد تتعدى ستة قرون.

(١) الإيغور قبائل مختلفة كانت تسكن مناطق مختلفة من أراضي الترك لاسيما الغربية منها، وهؤلاء الأقوام كان وجودهم قبل ظهور الترك، وبعد ظهورهم إذ اتحد الأتراك الشرقيون مع الغربيين آنذاك، وكان للإيغور أدوار سياسية بالمنطقة بخصوص النزاعات الإقليمية، وقد ورد هذا في المصادر الصينية، وأشارت تلك المصادر إلى علاقة هؤلاء بالروم وجيرانهم العرب، وقد أطلق عليهم في بعض المصادر الأتراك الغربيون، وتورد بعض المصادر أن الإيغور كان لهم دور في تقويض سلطة الأتراك الشرقيين وإقامة حكمهم على ضفاف نهر أورخون حتى عام (٨٤٠م)، وقد سبق القول عن قبائل إيغورية تسكن غرب نهر الفولكا، وأنهم شكلوا هجرات متتابعة استقرت غرب الأتراك، وهو أنهم لم ينسحبوا جميعهم نحو الغرب، إلا أننا نعرف أن شعباً غربياً كان يقطن هذه المناطق ويخضع لسلطة الأتراك، وقد كان هذا الشعب جزءاً مهماً في إتحاف قبضة الإمبراطورية التركية بشقيها الشرقي والغربي، كان ذلك في القرن السادس الميلادي، وربما كان ذلك الائتلاف مع الخزر أنفسهم. وتذكر المصادر أن الخزر قد حلوا مكان الأتراك الغربيين أوقات عديدة نتيجة غارات يشنها البعض على الآخر.

راجع دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ - ٦٥، والساداتي، حسن أحمد محمود (دكتور)، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٦٢ - ٦٣.

القسم الثاني: وهي الدراسات التاريخية المعتمدة على الأحداث والوقائع الموثقة التي كانت بحد ذاتها شواهد تاريخية تدل على حياة ونشاط الشعوب -مدار البحث- مثل: روايات الرحالة أو وقائع الحروب التي كانت تدور في المنطقة، ومن ثم ما تركته تلك الشعوب من موروث سياسي أو مادي أو ديني نستطيع بوساطته أن نتوصل إلى نتائج أقرب إلى الواقع؛ فاليعقوبي يرى أن الخزر هم أولاد يافث ثالث أولاد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن استقرارهم في هذا الركن من المعمورة جاء من خلال تقسيم فالخ بن عابر للأرض بين أولاد نوح، فقسمها فصار لأولاد يافث الصين والهند والسند والترک والخز والتبيت والبلغار والديلم وخراسان<sup>(١)</sup>.

ويؤيد الطبري ما ذكره اليعقوبي في كتابه، إلا أننا لا نرى في هذا الرأي حجة قاطعة نستطيع أن نميل إلى ترجيحها، والدليل هو عدم تطابق أو توافق الأجناس البشرية للأماكن التي ذكرها اليعقوبي، ونحن نرى أن الأشكال البشرية في الصين تختلف اختلافاً كبيراً عما هو موجود في الهند، كذلك التباين عند أهل الصين مع البلغار وأهل خراسان، ولا يوجد هناك ربط في لون البشرة أو معالم الوجوه وحتى المزايا والأطباع، فنحن نرى أن هذا الرأي لا يحتاج إلى أن نقف عنده، فلو نظرنا إلى العرب

(١) اليعقوبي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠ - ٤٢.

مثلاً فإننا نجد هناك تقارباً كبيراً في شكل أجسامهم و ألوان جلودهم وما إلى ذلك، وهذا ما يدعونا إلى القول بأنهم على وفق ما ورد بانتمائهم لسلالة واحدة ولأب واحد<sup>(١)</sup>.

ويروي لنا دنلوب<sup>(٢)</sup> عما يرويه جيبون بأن هناك معلومات وصلت إليه عن طريق السجلات الصينية والمنقوشات التركية القديمة وبعض المقاطع من كتب البيزنطيين تحدثت عن وجود الإيغور في الغرب، وقد سبق لنا أن هناك علاقة بين هؤلاء والخزر؛ بل إن العلاقة لم تكن علاقة طارئة، بل ربما تكون علاقة نسب مع القبائل الخزرية، حيث إنه قد ورد بأن قبائل الخزر كان من الأسماء التي أطلقت عليها (كوسا) أو (كوسا الخزر)، ولما كان أحد أسماء قبائل الإيغور التسعة كوسا فهذا قد يدعونا إلى الوقوف على أنه ربما يكون هؤلاء الخزر أحد قبائل الإيغور التي وردت في الكتابات الصينية أو التي ذكرها الأسير الصيني الذي وقع في أيدي العرب عام ٧٥١م، والذي ذكر أنه كان يسمع أن الخزر جيران العرب من الشمال.

وبما أنه هناك رواية بهذا الصدد جاءت في كتاب تانغ شو Tang – shu الصيني ترجع إلى عام ٩٥٤م مفادها أن الكوسا ترك مقيمون في شمال الإمبراطورية البيزنطية وخوارزم وبلاد

(١) الطبري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٢٥.

(٢) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.



وننقل هنا رأياً لابن فضلان يقول فيه: «ويمكن أن يُعد هذا الوضع حالة من حالات الهجرات المتتابعة لمجموعات من الإيغور جاءت قبل عام ١٦٥ م نزحوا بها غرباً حتى اقتربوا من حدود أوروبا، ونحن نقرأ عن قبائل إيغورية في غرب نهر الفولغا عام ٥٦٩ م، وعن قوة من الإيغور تحاصر البوسفور عام ٥٧٦ م، وفي كلا الحالتين فإن هؤلاء أتباع للأتراك الغربيين<sup>(١)</sup>.

لكن دنلوب يقول: إن الإيغور لم ينسحبوا غرباً، لكن هناك شعب غريب كان يقطن في الأرض التي سيطر عليها الأتراك، وربما وراءها، وقد عانى هذا الشعب من هزائم ومذابح كان يتوق بسببها إلى الانتقام، ولم يكن من قبيل الصدفة أن تم القضاء على الأتراك الغربيين بين عامي ٦٥٢ - ٦٥٧ م، وكذلك القضاء على الأتراك الشرقيين فيما بعد على يد ائتلاف كَوْن الإيغور جزءاً مهمّاً منه، وبالوقت نفسه نحن نعلم أن الخزر قد حلوا محل الأتراك فيما يخص السلطة بعد ذلك بقليل<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الخزر كانت تدعمهم مجموعات أخرى مثل الزبندر (سمندر) والبلغار، وأنهم أصبحوا يسيرون بخطى حثيثة نحو إنشاء إمبراطورية، ومن المفهوم أن فرض زعامة الخزر والإقرار بها عام ٦٥٧ م أو بعده ما كان ليتم لولا أن

(١) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧١.

(٢) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦.

هؤلاء الخزر كانوا يمثلون قبيلة كوسا التي انتمت إلى شعب قديم حاكم، وعلى هذا فإن انتماءهم العرقي يجب أن يكون إلى أسلاف أقل أصالة من ذلك<sup>(١)</sup>.

إن الرأي الذي يقول إن الخزر هم كوسا (إيغور) يعوزه الإثبات والبرهان الحازم، لكننا مع هذا نجد اعتبارات تدعم هذا الرأي، مما يدعونا إلى الوقوف عنده في الوقت الذي نكتشف طوراً من أطوار النمو القديم للإيغور في المنطقة المدعوة ببلاد الخزر، فقد كان هناك شعب يدعى (بوغوريا) أو (بانغوريا)، وهو أحد الشعوب التي احتلت أوروبا الشرقية قبل قدوم الخزر والبلغار، وقد بُذلت جهود كبيرة لإثبات صحة هذه الفرضية؛ إذ إننا نجد ناشري كتاب ابن العبري الأوائل برنز Bruns وكيرسش Kirsch يقدمان اسم (الهنغار)، وأما ولس بدج Waillis Budge فيقدم اسم البنغوريين، في حين يقترح ماركوت تعديلاً للنص بحيث يصبح شعب بلنجر، ويبدو أن هذا الرأي الأخير هو التفسير الأكثر معقولة وقبولاً، لكن بما أن ابن العبري يذكر كلمة مشابهة عند الإشارة إلى الإيغور؛ لذلك لا يسعنا إلا إثباتها هنا، فقد جاء فيها ما يعني أن الإيغور هم الذي استقروا في أوروبا حسبما نجدهم في المصادر الإغريقية<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٢) مرقوارت، نقلاً عن دتلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

هذا وإننا نجد بين أسماء الأعيان والشخصيات البارزة في دولة الخزر حامل لقب جاوشيفر، وذلك طبقاً لما ذكره ابن فضلان، ومن المحتمل أن يكون آخر جزء من هذا اللقب هو (إيفور).

وقد فسر هذا اللقب بـ (شاووش إيفور) الذي قد يكون معناه (مقدم الإيفور)، وهذا من التفسيرات البديلة التي تبدو مصنفة بشكل مفرد<sup>(١)</sup>.

وهناك بعض التشابه بين المراسم المتبعة لدى خاقان الخزر كما يصفها ابن فضلان<sup>(٢)</sup> وبين بعض القصص التي تروى عن ملك الطغز أوغز التي سوف نقدمها هنا؛ فالمصادر العربية على العموم تجيز إطلاق اسم شعب الطغز أو غز على الإيفور، وبصورة خاصة على أيفورتان، شأن الذين تعنيهم هذه القصص منذ نحو سنة ٨٦٠م، فملكهم شأنه شأن ملك الخزر لا يحكم بنفسه بل «جميع شؤون مملكته كان يتم تصريفها على أيدي الوزراء والحجاب» وكان خاقان الخزر يمتلك ستين جارية، أما ملك الطغز أو (الغز) فكان يمتلك ثلاث مئة وستين جارية<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن العبري، نقلاً عن دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

(٢) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

وكان ملك الطغز أو (الغز) يظهر أمام شعبه مرة كل سنة، أما خاقان الخزر فطبقاً لابن فضلان كان يظهر لشعبه علناً كل أربعة أشهر، وكان يتقبل عند ظهوره خضوع شعبه واحترامهم عندما يسجدون أمامه، كما أن شعب الطغز أو (الغز) كان يسجد أيضاً. وإذا كان ما ذكرناه ممارساً حقيقة بين (التيان شان) أيغور، علينا كما يبدو أن نفهم بأن هناك علاقةً وطيدةً بينهم وبين الخزر<sup>(١)</sup>.

مما تقدم من الآراء والنظريات في أصول الخزر نجد أن هنالك اختلافاً كبيراً في نظريات أصولهم، فمن ذهب إلى أنهم من الإيغور، وآخرون يرون أنهم أتراك غربيون، وقال قسم آخر إنهم من المغول، وكثير من الآراء والاحتمالات التي تبدو للقارئ في بدايتها أنها هي الصواب ثم تحيد عن ذلك في نهاية الكلام عندما يلتقي هذا الرأي بما يعارضه أو يفنده بنظرية أخرى، فالمساحة التي امتدت إليها الفرضيات وصلت من الدانمارك غرباً إلى الصين شرقاً، وتحدث بعضهم عن هؤلاء الأقوام بأنهم اعتنقوا الإسلام في بعض الأوقات أو المسيحية، وقال آخرون إنهم كانوا يدينون بالوثنية، ثم إنهم استقرت ديانتهم على اليهودية، وخلاصة القول بأنه لم يكن هناك قول قاطع يذهب بالخزر إلى جهة محددة، ولكن من خلال تمحيص

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

الآراء وترجيحها يمكننا أن نرجح الرأي القائل أن الخزر هم من الأتراك الغربيين؛ وذلك لكثرة ميل المصادر وما أوردته من الأخبار التي تعضد آراءهم بأنهم من الأتراك؛ فعادات شعوبهم، وألقاب ملوكهم، وتقاليدهم كلها تتشابه مع العادات والتقاليد والمراسم عند الأتراك، ثم إن العلاقات السياسية مع الكيانات المجاورة من غير الأتراك -والتي وضعت الاحتمالات أن يكون الخزر منهم<sup>(١)</sup> كانت هذه العلاقات بمثابة دحض لأي رأي يقول إنهم مغول، أو إنهم من الهون أو من الإيغور، فطالما تعرضت مملكة الخزر إلى غارات هذه الشعوب وحروبها المستمرة، فيقول الأستاذ زكريا كتاجي في كتابه الترك في مؤلفات الجاحظ نقلًا عن بروكلمان في نشأة الأتراك: «إنه بين سكان التبت والصين في الشرق، والجنس الآسيوي القديم (السيبيري) في الشمال والشعوب الفنلندية والأغروية في الغرب نشأ الشعب التركي فوق سهول سيبيريا الشمالية الواسعة والبوادي القائمة هناك وبين بحر الخزر (قزوين) وجبال التالي». وهنا نرى أن بروكلمان قد شمل هذه المناطق ولم يستثن منها أحدًا من الشعوب، فهو قد عدّهم ضمن الأتراك طالما كان الحديث عن نشأة الأتراك، ثم يعود صاحب الكتاب نفسه وهو يتكلم في موضوع عنوانه قبائل

(١) العاني، رشدي محمود، الحقيقة التاريخية لعلاقة يهود الخزر والدونمة بيني إسرائيل، منشورات شركة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٦٨.

الأتراك فيقول: «أما قبائل الأتراك وبطونهم، فإن كثيراً من مؤلفي العرب قد عنوا بالحديث عنها منذ بداية القرن الثالث الهجري، ولم يفت البعض منهم أن يسيحوا بين القبائل التركية ويصرفوا أياماً من عمرهم ويكتبوا أشياء غريبة عن عقائدهم وعاداتهم، ونخلص من أقوالهم إلى قبائل الأتراك المشهورة بين العرب هي الغز، والقرغز، والخرخر، والخرلوخ، والخزر، والبنجاكبة وغيرهم، وهكذا فإن جميع المعلومات أو أغلبها تؤكد لنا أن أصول الخزر تعود إلى العراق التركي»<sup>(١)</sup>.

## رابعاً الحالات العامة للخزر

### أ - الحالة السكانية والاجتماعية

لابد لنا أن ندرس حالات هذه الشعوب منذ بداية ظهورها على مسرح الحياة لكي نطلع على الأوضاع المشتملة لمناحي الحياة التي كانت سبباً في ظهور هذه الشعوب وتأديتها لأدوار مهمة في حقب خلت من الزمن الماضي، إذ إن أساليب العيش والمستويات المعاشية لكل مجتمع لها أهمية في قوة ذلك المجتمع أو ضعفه؛ فكان للموقع الجغرافي الذي شغلته قبائل الخزر أهمية كبيرة في قوة ومركزية هذه القبائل في المنطقة، إذ كانت

---

(١) البلاذري، الإمام أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٤٢.

مسرّحاً لتفاعل نشاطات مختلفة بينهم وبين الذين يرتادون هذه المناطق من التجار القادمين عبر البلدان المجاورة؛ فضلاً عن نشاط السكان الأصليين.

جاءت رواية الأصبخري<sup>(١)</sup>: «وأما الخزر فإنه اسم لإقليم وقصبته تسمى (أتل)، وهو اسم النهر الذي يجري إليه من الروس والبلغار، و(أتل) قطعتان غربية وشرقية، والملك يسكن الغربي منها ويسمى الملك بلسانهم (بك) ويسمى أيضاً (باك)، وأبنيتهم فركاهات لبود إلا شيئاً يسيراً من الطين، ولهم أسواق وحمّامات وفيها خلق من المسلمين يقال إنهم يزيدون على عشرة آلاف مسلم، ولهم نحو ثلاثين مسجداً، وقصر الملك بعيد من شط النهر، وهو من الآجر، وليس لأحد بناء من آجر غيره، ولا يسوّغ الملك لأحد أن يبني بالآجر غيره، ولهذا القصر سور له أربعة أبواب، والملك يهودي يقال إن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل، والخزر مسلمون ونصارى ويهود، وفيهم عبدة أوثان، وأقل الفرق يهود وأكثرهم المسلمون والنصارى، إلا أن الملك وحاشيته من اليهود، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم، وللملك من الجيش اثنا عشر ألفاً، يجمعون إذا كان لهم حرب أو حزب لهم أمر،

(١) الأصبخري، أبو إسحق محمد بن إبراهيم الفارسي، المسالك والممالك، بريل،

ليدن، ١٩٢٧، ص ٢٦٩.

وأبواب مال الملك من الأرصاد وعشور التجارة التي كانت توضع علي كل طريق من البر أو البحر.

وللملك سبعة من الحكام اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان، إذا عرضت للناس خصومة قضى فيها هؤلاء ولا يصل من هذه الحوائج إلى الملك شيء منها.

وللخزر قرى فيها مزارع مفترشة يخرجون في الصيف لزراعتها، وتجتمع بعضها على النهر، والأخرى على الصحاري، وقوتهم الأرز والأسماك، وكما يُذكر أن العسل والسمن كان ينقل منها إلى البلدان المجاورة لكثرة ما فيها من الأغنام والأبقار<sup>(١)</sup>. كما أن الروس والبلغار كانوا يحملون إليهم الجلود والخز فتُحمل إلى آفاق أخرى عبر أنهار الخزر؛ أما الأوبار والدقيق فإنها تُحمل إليهم من نواحي جرجان وطبرستان وأرمينيا وأذربيجان والروم<sup>(٢)</sup>.

وللخزر عظيم أجُلُّ من الملك يسمى (خاقان الخزر)، وهو الذي يقوم بتعيين الملك وقيمه الشعب إذا أراد، إذ يخنقونه بحريرة، حتى إذا قارب أن ينقطع نفسه قالوا له كم تشتهي أن تعيش؟ فيقول كذا سنة. فإن مات دونها كان هكذا والإقتل إذا بلغ تلك السنة<sup>(٣)</sup>.

(١) المقدسي، مصدر سبق، ذكره ص ٦٨.

(٢) دتلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

(٣) فواز، مدهش، في الرواية الصينية العائدة إلى (تو - طويا) تردمت في سان جوليان،

المجلة الآسيوية، ١٩٦٤/٣/٦، ص ٣٣٢.

ولا تصلح الخاقانية إلا في أهل بيت معروفين، وليس للخاقان من أمر البلاد شيء سوى الذي ذكرنا في تعيين الملك. ويُعظَّم الخاقان ويُسجَد له إذا دخل عليه أحد، ولا يصل إليه أحد إلا نفر قليل مثل الملك ومن في طبقته، والملك لا يدخل عليه إلا في حادثة، فإذا دخل عليه تمرغ في التراب وسجد ولم يقم إلا أن يؤذن له. ولا يخرج الخاقان إلا لحادثة تلمُّ بالبلاد، أو أمر عظيم يحزُّ بها، فإذا قابله عدوُّه انصرف عنه ولم يقاتله تعظيمًا له. ويُدفن الخاقان بعد موته في مقبرة خاصة، ولن يمر بقبره أحد إلا ترجل وسجد، ولن يركب حتى يغيب عن قبره، وبلغ من طاعتهم له أن أحدهم ربما يجب عليه القتل فيأمره أن يقتل نفسه فينصرف إلى بيته ويقتل نفسه هناك، ولا تعقد الخاقانية إلا لمن يدين باليهودية ويسكن في أرفع مكان في البلاد، وتُضرب فوق بيته قبة من ذهب<sup>(١)</sup>.

يقول ابن فضلان: «أما فيما يخص ملك الخزر الذي يلقب بالخاقان فهو يظهر للجمهور مرة كل أربعة أشهر، ويطلق عليه اسم الخاقان العظيم. أما مساعده فيطلق عليه خاقان بك، وهو الذي يقود الجيوش ويمونُّها ويدير أمور الدولة ويظهر أمام الجمهور، وهو القائد في الحروب، ويُطاع من قبل ملوك

(١) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.

جيرانه، ثم هو يمثل أمام الخاقان يومياً في احترام وتواضع وهو حافي القدمين يحمل في يده عصا من الخشب، وعندما يدخل على الخاقان ينحني أمامه ويشعل العصا ولا يرفع رأسه حتى تحترق تماماً، ويجلس إلى يمين الخاقان، ثم يليه رجلٌ يطلق عليه<sup>(١)</sup> (كندر خاقان)، ثم يليه رجل آخر يدعى (جاویش غر خاقان). ومن عادات الخاقان العظيم أن لا تكون له علاقات اجتماعية مع الشعب، ولا يتكلم معهم، ولا يسمح لأحد بالدخول سوى الذين ذكرناهم.

أما سلطة اعتقال الناس وإطلاق سراحهم وفرض العقوبات وحكم البلاد فقد كانت من اختصاص مساعده (الخاقان بك)، ومن عادات الخزر أنهم إذا مات الخاقان العظيم يُشيد له مبنى عظيم يحوي عشرين حجرة، وتحضر في كل منها مقبرة له، وتفتت أحجار حتى تصبح مسحوقاً يُنثر على الأرضية ويغطى بالقار، ويجري تحت المبنى نهر كبير تتدفق مياهه بسرعة، ويحولون ماء النهر إلى فوق القبر ويقولون إنما يفعلون هذا لئلا يصل إلى القبر شيطان أو إنسان أو دودة أو أي كائنات زاحفة، وبعد أن يتم دفن الملك تضرب أعناق من دفنوه حتى لا يعرف أحد في أي حجرة يقع قبره،

(١) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٩.

ويطلق على القبر اسم الجنة. ولهم في ذلك مأثور: «إنه دخل الجنة»، وكل الحجرات مكسوة بقماش مقصَّب يتخلله نسيج من خيوط الذهب<sup>(١)</sup>.

واعتماد الملك أن يكون له خمسٌ وعشرون امرأة، كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه يأخذها طوعاً أو كرهاً، وله من الجواري والسراري لفراشه ستون ما منهن إلا فائقة الجمال، وكل واحدة منهن في قصر مُفرد له قبة مغطاة بالساج، وحول كل قبة مضرب، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها، فإذا أراد أن يطاءً بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيؤا في بها في أسرع من لمح البصر حتى يجعلها في فراشه، ويقف على باب قبة الملك، فإذا وطأها أخذها بيدها وانصرف<sup>(٢)</sup>.

وإذا ركب الملك الكبير ركبت سائر الجيوش لركوبه، ويكون بينه وبين الموكب مسافة ميل فلا يراه أحد من رعيته إلا خسر على وجهه ساجداً، ولا يرفع رأسه حتى يجوزه، ومدة ملكه أربعون سنة إذا جاوزه يوماً قتلتته الرعية، وقالوا: «هذا نقص عقله واضطرب رأيه»<sup>(٣)</sup>.

وللملك مدينة كبيرة على ضفتي نهر آتل (القولغا) يعيش المسلمون على إحدى الضفتين ويعيش على الضفة الأخرى الملك

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٣ - ١٧٥.

(٢) كيسستلر مصدر سبق ذكره ص ١٤٨.

(٣) ابن العبري مصدر سبق ذكره ص ٥٨.

وحاشيته، ويتولى حكم المسلمين موظف مسلم من موظفي الملك، يسهر على قضايا المسلمين المقيمين في عاصمة الخزر وكذلك قضايا التجار الوافدين إليها من الخارج، ولا يسمح لغيره في التدخل في أمورهم، أو الفصل في قضاياهم».

وينتهي تقرير ابن فضلان بقوله: «وإن الخزر وملكهم هم جميعاً من اليهود، ويخضع له البلغار وجميع جيرانهم وييجلونهم ويطيعونه طاعة عمياء، ويرى البعض أن يأجوج ومأجوج هم من الخزر، وفي الأقاليم تمتد ضياعهم والمساحات المزروعة على نحو متصل لمسافة تزيد على ستين أو سبعين ميلاً، وكما أن لهم مزارع كروم منتشرة وبساتين من الفواكه والحدائق تكسو الريف الممتد من داربند إلى سرير<sup>(١)</sup>. وكانت التجارة الخارجية المصدر الرئيس لدخل الخزانة الملكية، وقد أشار ابن فضلان إلى حجم القوافل التي تزرع طريقها بين آسيا الوسطى وإقليم الفولغا أورال.

ونذكر أن القافلة التي انضمت إليها بعثته في جرجان كانت من خمسة آلاف رجل، وثلاثة آلاف دابة، وإن هذا الحجم الكبير من القوافل لطالما كانت تنتقل من مكان إلى آخر محملة بالسلع من المنسوجات والفواكه المجففة والعسل والشموع

(١) ابن فضلان مصدر سبق ذكره ص ٢١٧ - ص ٢٢٢.

والتوابل، وكان هناك طريق آخر كانت تقطعه هذه القوافل عبر القوقاز إلى أرمينيا وجورجيا وفارس وبيزنطة، والطريق الثالث الذي كان ينحدر من الروس عبر الفولغا إلى شواطئ بحر الخزر الشرقية حيث الفراء الثمينة التي كان يتهافت على شرائها صفوة من المسلمين، كما كانت تلك الأساطيل تحمل الرقيق من الشمال لبيعهم في سوق العاصمة آتل، ويذكر أن حاكم الخزر كان يُعشّر جميع السلع المارة في بلاده بما في ذلك الرقيق<sup>(١)</sup>.

كما أن البلغار والمجريين والبورتا كانوا جميعاً يدفعون الضريبة المفروضة على البضائع التي ترد إلى بلاد الخزر، مما جعل هذا البلد أكثر ازدهاراً من غيرها، مما ساعد على نمو قوتها العسكرية وما أضفته من هيبة ووقار على رجالها من محصلي الضرائب وموظفي الجمارك. وبصرف النظر عن الأقاليم الخصبة في الجنوب بكرومها وبساتينها إذ يسد ذلك ما في البلاد من نقص في مواردها الطبيعية.

ويعد غراء السمك من المحاصيل المهمة التي كانت تُصدر إلى بلدان العالم، والتي كانت في متناول يد التجار العرب، حيث غالباً ما تُشاهد هذه البضائع والسلع في أسواق بغداد وسامراء، مما يدل على أن بلاد الخزر لم تكن معزولة عن

(١) الأندلسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٧.

العالم المتمدن؛ بل كانت بلاداً متحررة إذا ما قورنت بجيرانها، وعلى الرغم من تفاعل هذه الشعوب مع الثقافات والأديان للبلاد التي تتعامل معها فإنها ظلت تدافع عن استقلالها ضد القوتين العظيمةتين للدولة الإسلامية والدولة البيزنطية، وهذا ما سنراه في الفصول القادمة سبباً للتطور المفاجئ والمثير الذي أرسى اليهودية ديناً رسمياً للدولة<sup>(١)</sup>.

#### ب - الحالة السياسية

إن ما توافر لدينا من معلومات عن القوة الاقتصادية للخزر يعطينا بلا شك وضوحاً بأنها السبب الرئيس في تأدية هذا الشعوب أدواراً سياسية مهمة في بلاد الخزر وما جاورها، كما كان ذلك مؤهلاً لها للاستقلال وعدم التبعية لغيرها من الدول المجاورة، فنرى الروايات التاريخية تشير إلى حضور الدور السياسي لإمبراطورية الخزر بين القوى الأخرى الموجودة في العالم المجاور مثل الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية، كما أن الوقائع التاريخية التي تسجل حدوث سفارات متبادلة مع الدول المجاورة خير دليل على وجود الدور السياسي لإمبراطورية الخزر عندما يخبرنا المؤرخ ثيوخيلاكت أن وقائع لهذه السفارات قد حصلت بحلول عام ٥٩٨ م مع أقاليم آسيا وأوروبا<sup>(٢)</sup>.

(١) الأستطخري، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣. وابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٩.

(٢) الساداتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢ - ٦٣.

وكان لانهييار إمبراطورية الهون فراغاً كبيراً في ميدان القوى الموجودة في شرق أوروبا، مما ساعد هو الآخر استغلال الخزر لهذه الفرصة التي وفرت لهم سهولة الغزو للأقاليم الغنية عبر القوقاز، مثل جورجيا وأرمينيا؛ إذ أصبحتا خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادي السلطة المهيمنة على المنطقة، وبين قبائل القوقاز مثل السايبر والساجور والسامندر والبلان جار، لقد خضع هؤلاء جميعاً لحكم الخزر وامتصت خيراتهم، ويذكر أن البلغار الأقوياء قاموا بمقاومة عنيفة ضد هذه الهيمنة ولكنهم لقوا المصير نفسه؛ فهزموا هزيمة ساحقة حوالي عام ٦٤١م<sup>(١)</sup>.

وكان هناك اتحاد ضم قبائل توحدت على يد حاكم الخزر (الخاقان) استمر اتحادها أكثر من قرن من الزمان، إلا أنه تفكك دون أن يترك أثراً يُذكر، ثم إن الخزر قد استفادوا من أفول سلطة الأتراك في منتصف القرن السابع الميلادي؛ مما ساعدهم على أن يأخذوا دور الأتراك في حكم الأقاليم الشمالية، ويؤيد هذا ما ورد أن الملك الفارسي (خسرو أنوشروان) خصص ثلاثة عروش ذهبية في قصره لضيوف أباطرة ثلاث هم: إمبراطور بيزنطة، وإمبراطور الصين، وإمبراطور الخزر<sup>(٢)(٣)</sup>.

(١) اليعقوبي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩.

(2) Bernard Lewis the jews of Islam London 1984. P.61

(٣) وهناك مناظرة جرت في حقبة سبقت عصر النبي ﷺ يتحدث فيها ملك الحيرة النعمان بن المنذر عن كسرى أنوشروان، وقد أعلن الملك الفارسي بأنه =

الإآن هناك مفارقةً تاريخيةً تتحدث عن زحف الخزر نحو الفرس، وإن الإمبراطور فيروز قد بنى دفاعات من الحجر لحماية بلاده من الهجمات القادمة من الشمال، كما أن الأخبار سافت إلينا اتصال الخزر بالإمبراطور الإغريقي هرقل؛ إذ تذكر المصادر الإغريقية والأرمنية والجورجية أنه في عام ٦٢٧م كان هرقل في مدينة تفليس في إحدى حملاته ضد بلاد فارس؛ إذ استقبله الخزر بأربعين ألف رجل أوقفوا تحت خدمته للانقراض على الأراضي الفارسية، إلا أن حلول فصل الشتاء ساعد الفرس على صد هذا التحالف العسكري الذي اضطر إلى أن يتراجع وينسحب، بل إن مصادر أخرى تقول: إن الانسحاب كان بسبب الأسلوب الإغريقي البطيء في إدارة دفة القتال، ومع ذلك فإن هرقل عاود زحفه حتى وصل إلى مسافة ثلاثة أيام من (المدائن) العاصمة الفارسية<sup>(١)</sup>.

ويقول نصر شمالي إن في مناطق القوقاز وفي الرقعة الممتدة بين نهري الفولغا والدون وحتى شواطئ بحر الخزر

---

= يرى أن الإغريق والهنود والصينيين والترك والخزر أرقى من العرب، وأوضح أن الخزر، كانت لهم مؤسسات ومنظمات خاصة للموكرم، ويلاحظ هنا أن الخزر قد جرى تصنيفهم مع الدول الشرقية العظمى، وتذكر الرواية أيضًا احتفاظ أنوشروان بالعروش الذهبية الثلاثة المخصصة للموك الروم والصين والخزر. راجع الطبري، مصدر سبق ذكره، ص ٩١.

(١) لانجر، وليام، موسوعة تاريخ العالم، ج ٢، أشرف على الترجمة د. محمد مصطفى زيادة، مكتب النهضة المصرية ١٩٥٢ م ص ٤٨٣.

والبحر الأسود كانت هناك مملكة قوية ومنتعشة عاشت مدة طويلة من الزمن، وقد أدت أدواراً سياسية مهمة بين القوى المحيطة في المنطقة<sup>(١)</sup>.

ويذكر لنا المسعودي في رواية مفادها أن الملك شيرازويه قد سال أحد رجاله إذا كان يروي الخدعة الحربية الشهيرة التي قام بها جده أرداشير بن بابك في حربه مع ملك الخزر، وقد قام الآخر بروايتها كاملة، مما يدل لنا أن الخزر كانوا موجودين في زمن أرداشير، أي بالمدة المحصورة بين ٢٢٦ - ٢٤٠ م، وإن لهم آنذاك كيأناً، وقد كانوا بالفعل قوة معادلة أو منافسة للقوى الموجودة في المنطقة مثل الفارسية كما ورد أنفاً، ولو أن المسعودي تفرد بهذه الرواية إلا أنه لن يُستبعد أن يكون للخزر وجود في ذلك الحين.

ثم إن الطبري قد أورد لنا أخباراً تأخرت أحداثها بما يقارب قرنين من الزمن دلت على وجود الخزر، وهي عندما بنى الإمبراطور فيروز دفعات من الحجر قرب (صول) (والآن) بهدف حماية بلاده من الأمم الشمالية. ويذكر المؤلف الإغريقي برسكوس أن الإمبراطور فيروز قد أرسل في نحو ٤٦٥م رسالة إلى ملك الهون القيداريين<sup>(٢)</sup> (قون خان) يرغب مسألمته ومحالفته

(١) الشمالي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

(٢) القيداريون هم قبائل الهون والهياطلة الذين يرتبط نسبهم بالخزر. راجع دنلوبن

مصدر سبق ذكره، ص ٤٤.

إلى آخر الرواية، وقد ربط المؤرخون بين هذه الرواية ورواية المسعودي، مما يدل لنا على القناعة بوجود الخزر آنذاك<sup>(١)</sup>.

أما برسكوس فإنه يذكر لنا أنه في عام ٤٦٨م التقى السرغور والفرس عند بوابة بحر الخزر، وهذا المكان قد سبق للفرس أن أوقفوا فيه زحف القيداريين، والرواية هذه تقول بأن هذا الحدث قد كان بالمدة نفسها التي كان يعيشها الإمبراطور فيروز، كما أن اليعقوبي المتوفى بعد عام ٢٧٨هـ - ٨٩٢م يروي لنا تغلب الخزر على جميع بلاد أرمينيا والسفرجان والسيسجان التي كانت تسمى أرمينيا الرابعة التي فتحها ملك الفرس (قُباز)، وبسط نفوذه على دربند وطبرستان والبلنجر ومدن كثيرة أخرى، وجلب من فارس أناسًا أسكنهم فيها، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، إذ تغلبت الخزر على فارس فأعادت كل شيء إلى أوله<sup>(٢)</sup>.

ومن ناحية أخرى، كان للخزر موقع إستراتيجي، في المدخل الحيوي للبحر الأسود وبحر قزوين، إذ كانت هيمنة الخزر ونفوذها حاجزاً يحمي بيزنطة من غارات البرابرة الذين ينحدرون من السهوب الشمالية كالبلغار والمجريين والبشنج والفاينجج والروس وحتى العرب - الذين كانت جيوشهم تطول

(١) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ص.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤.

شرقي البلاد وغربها- قد وجدوا صعوبة في اقتحام هذه المناطق الوعرة التي لو حصل لها ذلك لكان مفتاحاً لأوروبا الشرقية بأكملها<sup>(١)</sup>.

وكما أنّ الخزر قد ازدادوا قوة بتحالفهم مع البيزنطيين عندما تزوج قسطنطين الخامس من أميرة خزرية سنة ١٣٧م والتي أصبح ابنها (ليورابع) الذي اشتهر بـ (ليو الخزري) إمبراطوراً بعد أبيه<sup>(٢)</sup>.

وقد أثبتت التقنيات الأثرية أن مملكة الخزر كانت محاطة بسلسلة من الحصون لحماية حدودها الشمالية المواجهة للسهوب المفتوحة وعبر السهول المنبسطة عند نهرى الدوندى والدون وحتى نهر الفولغا، كما كان لىبال القوقاز أثرها في حماية المملكة من الجنوب، وكذلك البحر الأسود وبحر الخزر وبحر قزوين من الجهات الأخرى؛ إلا أن هذه التحصينات يتذبذب فائدتها تبعاً للظروف الداخلية السياسية وتبعاً لعلاقة المملكة مع القبائل الأخرى التي تسكن أطرافها كمناطق القوقاز وبحر آرال ولىبال آرال ومدينة كييف والسهول الأوكرانية<sup>(٣)</sup>.

(١) كىستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

(٢) لانجر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٨٤.

## ج - الحالة الدينية

قبل ظهور الإسلام وانتشاره في العالم على أيدي المسلمين الفاتحين أو الدعاة، كانت الديانات السائدة تتعدد وتختلف من بلد إلى آخر ومن شعب لشعب آخر، فهناك النصرانية واليهودية، وهناك الوثنية التي تتعدد اتجاهاتها من الأصنام إلى الطواهر الكونية والأنواء؛ بل تعدى ذلك إلى لعبادة الحيوانات أو الجمادات والأشخاص، وانتشر الإسلام بتوفيق من الله لدعاته وحمله أويته وتعاليمه؛ إلا أن هناك أماكن تأخر وصول الإسلام إليها بسبب أو لآخر.

وقد أوردنا أن قبائل الخزر كانت تقف حائلاً دون عبور المسلمين إلى ما وراء تلك المناطق، أو بالأحرى الوصول إلى أركان تلك المملكة الخزرية وتبديد ظلماتها، وما كانت عليها من العقائد الدينية بعقيدة الإسلام؛ لتتعم به كما حدث لأرجاء كبيرة من المعمورة؛ ففي الأيام التي تتعم بها بلاد الأندلس وأرجاء إفريقيا وأرض فارس وما جاورها بنعمة الدين الجديد الذي جاء للعالم يحمل الحرية ووحدة المعتقد ونزاهته من المعتقدات الجاهلية، وإبدال حياة العبودية بحياة الحرية والتعايش واحترام حقوق الإنسان؛ بل السموبها فوق ما لم يكن بحسبان البشر أنفسهم... كانت هناك معتقدات لدى

قبائل الخزر يدينون بها شعوباً وحكاماً، وقد أوردت إلينا بعض المصادر التاريخية أن الخزر كانوا قبائل وثنية يعبدون قضيب الذكر إذ يعبدونه رمزاً لآلهة الخصب<sup>(١)</sup>.

وكانوا يعظمون ملوكهم ويسجدون لهم، وأن القدسية التي يفضونها عليهم تبقى حتى بعد وفاتهم، ويذكر لنا ابن فضلان أن الملك عندما يموت يشيد له مبنى عظيم يحوي عشرين غرفة، وتحفر في كل غرفة منها مقبرة له، وتفتت أحجار حتى تصبح مسحوقاً ينثر على الأرض ويغطى بالقار، ويجري تحت المبنى نهر كبير تتدفق مياهه بسرعة، ويحولون ماء النهر فوق القبر ويقولون إنهم يعملون هذا حتى لا يستطيع أن يصل إلى القبر شيطان أو إنسان أو دودة أو أي كائنات زاحفة، وبعد أن يتم دفن الملك تضرب أعناق من دفنوه حتى لا يُعرف قبره ويطلق عليه الجنة<sup>(٢)</sup>.

#### د - الحالة الاقتصادية

يقول المسعودي: «وتتكاثر في بلاد الخزر قطعان الأغنام وتنتج من العسل كمية وفيرة، ويعيش فيها العديد من اليهود»<sup>(٣)</sup>.

كان الموقع الجغرافي لبلاد الخزر يؤدي دوراً مهماً في قوة الحالة الاقتصادية لسكان وشعوب المنطقة، حيث وفرة المياه،

(١) الأضطخري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٠.

(٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسن بن علي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص ١٦٨.

(٣) المقدسي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢.

وخصوبة الأرض، واعتدال المناخ جعلت للزراعة الحظ الأوفر للاقتصاد الخزري إن صح التعبير. يقول الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: «يتفرع من نهر آسل نيف و سبعون نهراً، ويبقى عمود النهر يجري إلى بحر الخزر، ويقال إن هذه المياه المفترقة إذا تجمعت تزيد على مياه جيحان ونهر بلخ حيث تعمر الأشجار والكروم أراضي الخزر بأعداد لا تحصى، كما أن التجار يركبون بأمعتهم مياه هذا النهر ويسافرون إلى جرجان وغيرها من البلدان الساحلية ثم يرجعون إلى آسل، ويركبون في مراكب خفاف مستعملين النهر نفسه حتى يصعدون فيه إلى البلغار، ثم ينحدرون في أحد شعبه حتى يصلوا إلى بحر بنطس، وهناك عدد كبير من عيون الماء التي تساعد على تربية الأشجار والدواب حيث الأراضي الشاسعة التي تسرح فيها المواشي للتسمين. كما أن أهل تلك الأماكن يكثرون من صيد السمك الذي يُعد من أهم وجبات طعامهم، كما أنهم يدخرونه ويبيعونه إلى البلدان المجاورة<sup>(١)</sup>.

ويقول البلاذري: «وللخزر مدينة تسمى سمندر، فيما بينها وبين باب الأبواب، لها بساتين كثيرة، ويقال: إنها تشتمل على نحو أربعة آلاف كرم إلى حد مدينة السرير، والغالب على أثمارها الأعناب، ويرتفع من بلاد الخزر العسل والفراء وأنواع

(١) الإدريسي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣١ - ٨٣٧.

الجلود والشمع، ويحمل إليها الخرزُّ والأوبار وأنواع الملابس وأنواع من الدواب التي تُحمل إليها في السفن، ويقصد بلاد الخزر خلقٌ كثير من النواحي يقيمون بها للصيد، ويأتي إليهم خلقٌ من الأتراك يقيمون في هذه البلاد ويتخذون منها مراعي لمواشيهم قرب العيون»<sup>(١)</sup>.

لقد عاش شعب الخزر حياة تداخلت فيها أساليب العيش بين البداوة والحضارة، فهم قبائل محاربون رحل، وبالوقت نفسه نراهم من الفلاحين ومربي الماشية وصيادي السمك وزرّاع الغنّب، وتجاراً نشيطين وحرفيين مهرة. وقد كشف علماء الآثار السوفيت عن أدلة تثبت وجود حضارة متقدمة نوعاً ما، إذ عثروا على آثار قرى تتساح أميالاً عدة، فيها منازل متصلة بأروقة تؤدي إلى سقائف فسيحة للماشية وحظائر الغنم، وأخرى للجياذ، وهناك من المحارث التي تجرها الثيران ما يدل على تقدم في الصناعة، وكما يتضح من المصنوعات الصغيرة التي وجدت مثل الأبازيم والأشباك والسروج والأواني المزخرفة، وتدل آثار بيوتهم على أن هؤلاء الشعوب يتحركون وراء العيش؛ إذ يتركون بيوتهم المبنية ليسكنوا في السهوب التي يقيمون فيها خيامهم حول حقول القمح والكروم التابعة لهم، كما أن قوة سلطانهم قد جعلتهم يفرضون الجزية على القبائل المختلفة والأقاليم الشاسعة الواقعة

(١) البلاذري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨ - ١٣٥.

بين القوقاز وبحر آرال وجبال أورال ومدينة كييف والسهول الأوكرانية، وقد خضعت لسيادة الخزر شعوب البلغار والبورتا والغز والمجريين والقوت والإغريق والقبائل السقلبية، وهذا كله أعطى للحياة الاقتصادية نشاطاً كبيراً ميزهم عن الشعوب الأخرى، وكان ملك البلغار يدفع الجزية السنوية إلى ملك الجزر بحدود خمسة آلاف (فراء سمور)، وهذا له قيمة باهظة، مما يجعل هذه الجزية أتاوة سخية يجمعها الخزر، ويمتد عندهم الريف لمسافة تزيد على ستين أو سبعين ميلاً، تكسوه حدائق ومزارع تنتشر حتى تصل إلى مدينة سرير.

ونظراً لخصوبة أرضهم ووفرة محاصيلها فإن استغلالها بصورة مستمرة يعطي سكانها وافرًا من الغلة والمحاصيل<sup>(١)</sup>، ومع ذلك كله فإن التجارة الداخلية تعدُّ مصدرًا رئيسًا لدخل الخزانة الخزرية، وقد أشار ابن فضلان إلى حجم قوافل التجارة التي تقطع طريقها بين آسيا الوسطى وإقليم الفولغا تحمل معها السلع والمنسوجات والفواكه المجففة والعسل والشمع والتوابل، فضلاً عما يقوم به التجار الروس من نشاط في شواطئ بحر الخزر الشرقية ببيع أنواع الفراء الثمينة والرقيق والبضائع الأخرى، مما دفع حاكم الخزر إلى أن يفرض ضريبة قدرها

(١) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥.

عشرة بالمئة من قيمة هذه السلع المارة في بلاده، وينطبق ذلك على التجار البلغار والمجريين والبورتا<sup>(١)</sup>.

ويذكر الأسطخري قائلاً: «إن غراء السمك كان المحصول المحلي الوحيد الذي يُصدَّر من بلاد الخزر»<sup>(٢)</sup>، ومن جهة أخرى تشير مصادر عديدة إلى سلع خززية شوهدت في بغداد، وكذلك وجود تجار خزر في القسطنطينية والإسكندرية بل في جهات نائية مثل سامراء وعانة، ويبدو أن للفنون والحرف والأزياء الرفيعة المبتكرة حظها في النشاط الاقتصادي الخزري، حيث تذكر المصادر أن الامبراطور قسطنطين الخامس عندما تزوج ابنة خاقان الحرير أحضرت مع مهرها ثوباً رائعاً بلغ من إعجاب الحاشية البيزنطية أن اتخذته أعضاء رداءً طقسياً، ويضيف العلامة توينبي بأن الأميرة الخززية التي تزوجها حاكم أرمينيا المسلم قد تضمن موكبها عشر خيام رُكبت على عجلات، وقد صنعت من أرقى أنواع الحرير، ولها أبواب مكسوة بالذهب والفضة، وأرضيتها مكسوة بفراء السمور، وكان معها من الآنية المزينة ما يدل على تقدم الصناعة والفن لدى شعوب الخزر<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٧.

(٢) الأسطخري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٥.

(٣) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠ - ٥٤.

وكانت تُحملُ الفنون الخزرية نحو أقطار الشمال وبلاد فارس والبلدان المجاورة، وقد وصف العلماء الروس مكتشفات كثيرة من هذا القبيل صنعت في ورش الخزر التي اكتشفت أطلالها على مقربة من الحصن الخزري القديم.

وكان الخاقان يضع بنفسه مفتشين للإشراف على صناعة المنتجات من الذهب والفضة والحديد والنحاس. كذلك كانت الأسواق والتجارة ومواطن صيد السمك تخضع لمراقبته أيضاً وما يرد إلى البلاد من سلع وبضائع مختلفة.

واستناداً لما تقدم لدينا فإن الحالة الاقتصادية للخزر كانت متميزة عن غيرهم من الشعوب المجاورة، مما ساعدت المملكة بصورة عامة أن تفرض لنفسها موقفاً سياسياً وعسكرياً لعدة قرون<sup>(١)</sup>.



---

(١) ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة لبنان، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٩٨.

## المبحث الثاني

### تحول الخزر إلى الديانة اليهودية

لقد ترامت أطراف الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً، واستظل العالم المجاور للبلاد العربية بظل الإسلام؛ إذ دخلت هذه الشعوب في دين الله تترى إلى أن أصبح نفوذ الخلافة الإسلامية يطول شمال إفريقيا وبلاد الأندلس غرباً وما بعد بلاد فارس شرقاً، وأصبح للخلافة الإسلامية من القوة والنفوذ ما يؤهلها للوصول إلى أبعد من ذلك<sup>(١)</sup>، بينما تسيطر المسيحية على أرض بيزنطة وتقف حائلاً أمام انتشار الدين الإسلامي من خلال أسلوبها الادعائي والتبشيري، نرى هناك قوة لا يستهان بها لطالما أوقفت زحف المسلمين نحو الشمال، وهذه القوة تتمثل بشعوب لم تكن لديها ديانة سماوية؛ بل كانت شعوباً وثنية بعيدة كل البعد عن معتقدات المسلمين وأهل الكتاب، على الرغم من وجود أعدادٍ ليست بالقليلة من المسلمين

---

(١) توقف العرب المسلمون في فتوحاتهم الأولية عند جبال طوروس، وبقيت حدودهم على تخومها حتى القرن الحادي عشر الميلادي. وكانت جبال طوروس تفصل العالم الإسلامي عن العالم المسيحي آنذاك. وعندما جاء العثمانيون اجتازوا هذا الحاجز، إذ تم الاستيلاء على بلاد البلقان كله ومحاصرتهم عام ١٥٢٩ م.

وغيرهم من الديانات على أراضيها؛ ألا وهي إمبراطورية (الخزر)، أو ما سميت بمملكة الخزر، وكانت هذه المملكة تحتفظ باستقلالها، بل وتبسط نفوذها على المناطق المجاورة من خلال ممارسات أهلتها لها إمكانياتها وقوتها كفرض الضرائب والأتاوات، ولم يكن في خلد القائمين على السلطة في هذه الدولة التحالف أو الخضوع بطريقة أو بأخرى لأي من الكتلتين الإسلامية أو المسيحية، وقد حصلت هناك محاولات عدة من قبل الخلافة الإسلامية وبيزنطة على السواء لإخضاع أو تغيير معتقدات شعوب الخزر، إلا أن ذلك لم يأت بنتيجة، في الوقت الذي أصبحت فيه الديانات السماوية تحظى باحترام الشعوب وإضفاء الهيبة على معتقبيها من قادة الأمم بما لا يقارن مع الوثنية، وبما أن مملكة الخزر كانت تعتمد على قوتها العسكرية التي أهلتها أن تكون ثقلاً سياسياً مستقلاً؛ فقد سعى القائمون عليها أن يغيروا تلك المعتقدات الوثنية إلى ديانة تحافظ لهم على استقلالهم العقائدي كما هو الحال في استقلالهم السياسي فتحوّلت تلك الوثنية إلى ديانة يهودية؛ إذ أصبح ملك الخزر وحاشيته يدينون باليهودية ويتبعهم في ذلك شعوب الخزر كافة<sup>(١)</sup>.

---

(١) زعرور، إبراهيم محمود، وأحمد، علي سلمان، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٥١ - ١٨٧.

وقد تباينت الآراء والنظريات في أسباب الانتقال السريع للخزر إلى الديانة اليهودية، وعلى الرغم من عدم وجود رأي قاطع لذلك، فإننا نستطيع القول بأن الأسباب التي دعت ملك الخزر وحاشيته إلى اعتناق اليهودية هي أسباب سياسية بحتة، وإن تعددت الطروحات بخصوص ذلك أو ربما قال آخرون إنها أسباب اقتصادية أو اجتماعية أيضاً<sup>(١)</sup>.

يروى لنا المسعودي في كتابه مروج الذهب: «وفي هذه المدينة يعني (آتل عاصمة دولة الخزر على الفولغا) خلق من المسلمين والنصارى واليهود والوثنيين، فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه، وكان قد تهوّد ملك الخزر في خلافة هارون الرشيد، وقد أضيف إليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم، وذلك أن ملك الروم في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة للهجرة - وهو أرمنيوس (يعني رومانوس ليكابينوس) نقل من كان في ملكه من اليهود إلى دين النصرانية وأكرههم، فهاجر خلق من اليهود

(١) كيسلتر، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ - ٦٢، وهو الذي يقول: «إن الغالبية العظمى من اليهود الباقيين في العالم هم من أصل أوروبي شرقي، ومن ثم من أصل خزري، وإذا كان الأمر كذلك فإن أسلاف هؤلاء اليهود لم يأتوا من وادي الأردن، وإنما من الفولغا، ولم ينحدروا من كنعان بل من القوقاز، ويصير من المعتقد أنهم يمثلون بدايات الجنس الآري، وأنهم أوثق انتماءً إلى قبائل الهون والبوجر والمجر منهم إلى ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب. وإذ صارت القضية على النحو الآتي ألا يصير معاداة السامية خاويًا من المعنى... المصدر نفسه، ص ١١٤ - ١١٥.

من أرض الروم إلى أرضه على ما وصفناه، وكان اليهود مع ملك الخزر في خبر ليس هذا موضع ذكره، وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا»<sup>(١)</sup>.

ويرى العلامة بيوري أن أسباب تهوُّد ملك الخزر كان ببواعث سياسية؛ إذ يرى أن اعتناق الإسلام سيجعله التابع الروحي للخلافة الإسلامية، ويمثل ذلك يكون تابعاً كنسياً للإمبراطورية الشرقية إذا اعتنق المسيحية، وأن اليهودية في نظره ديانة لها كتبٌ مقدسة يحترمها المسلمون والمسيحيون على حد سواء، وهو بذلك يرتفع عن الوثنية من جهة ويصون مملكته من تدخل الخليفة أو الإمبراطور البيزنطي من جهة أخرى، وهكذا سمح لعامة شعبه باعتناق اليهودية مع بقائهم في عالمهم الوثني وشامانيتهم المزيفة<sup>(٢)</sup>.

(١) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢.

(٢) الشامانية ديانة تركية قديمة تقوم على السحر والشعوذة، كان الخزر يؤمنون بالشامانية في الوقت الذي اعتنقت الطبقة العليا وأركان السراي اليهودية، فضلاً عن وجود المسيحية الأرثوذكسية بين صفوفهم والتي وردت إليهم من القوقاز، وليس من بيزنطة، ومما يلفت النظر أن أياً من ملوك الترك لم يعتنق اليهودية سوى (ملك الخزر)، والتي وردت إليهم أيضاً من الجنوب عن طريق القوقاز، ويرى الباحثون أن اليهود قد تعرضوا بين سنتي (٧٣٠ - ٧٤٠ م) في بيزنطة والدولة العباسية إلى ملاحظات شديدة لجزوا بسببها إلى بلاد الخزر والقوقاز، وفي هذه الأثناء بالذات تمكن اليهود الذين وفدوا إلى هذه البلاد من التأثير على كبار الخزر وأدخلوهم في اليهودية، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض المصادر تذكر أن سبب تحول الخزر إلى اليهودية هم الحيادية بين الإسلام والمسيحية، والبعد عن النفوذ السياسي لبيزنطة وبغداد، وعلى الرغم من ذلك فإن مصادر أخرى ذكرت اعتناق يهود الخزر للإسلام إثر هزيمتهم أمام العرب المسلمين، إلا أن تاريخ ذلك قد اختلف =

إلا أن شبهات المؤرخين تدور حول سرعة انتقال هذه الأمة الكبيرة إلى ديانة كانت معتقداتها مجهولة لديهم في الوقت الذي يرفضون دخول الإسلام الذي يقدمه بين أيديهم دُعائه، فضلاً عما يرونه من مزايا للدين الإسلامي، كما أنهم في الوقت نفسه يرفضون المسيحية التي تنادي بها الحملات التبشيرية القادمة من روما، ولا يجد المؤرخون سبباً لذلك إلا دوافع انتهازية قد توصف بأنها مناورة سياسية بارعة أدت إلى تغيير وجه السياسة القائمة آنذاك<sup>(١)</sup>.

ويذكر لنا البكري الأندلسي في كتابه (الممالك والمسالك) أن سبب تحول ملك الخزر إلى اليهودية بعد أن كان وثنيًا يتلخص في ما يأتي: كان الملك قد اعتنق المسيحية، ثم أدرك بهتانها، فناقش هذه المسألة مع أحد كبار موظفيه فأجابه قائلاً: «أيها الملك، إن من لهم كتب مقدسة ينقسمون إلى جماعات ثلاث، فأرسل في استدعائهم واطلب إليهم أن يوضحوا قضيتهم، ثم اتبع من يمتلك الحقيقة». وعلى هذا

= فيه ما بين السنوات (٧٤٠ - ٨٠٠ - ٨٦٣)، ثم عادوا إلى اليهودية مرة أخرى. وإذا أخذنا بالحسبان أن اليهودية قد انحسرت في الطبقة العليا في الخزر فإن الدولة الخزرية لا يمكننا أن نعدّها دولة يهودية، وهذا في نظرنا خلاف للواقع؛ إذ إن الديانة اليهودية قد شملت جميع طبقات المجتمع الخزري.. راجع ذلك في:

Akdes Nimet Kurat IV - XIII yu2yillarda Karda Karadeniz  
Kuzeyindki Turk Kamimleri Ve Devletteri Anb 1972 (p.37).

(١) د.م دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦.

الأساس استدعى ملك الخزر أسقفًا ويهوديًا وأدخلهما في مناظرة، فسأل اليهودي الأسقف: «ماذا تقول في موسى بن عمران والتوراة التي نزلت عليه؟ فأجاب الأسقف: «إن موسى رسولٌ وإن التوراة تنطق بالحقيقة»، وعند ذلك قال اليهودي للملك: «لقد اعترف فعلاً بصدق عقيدتي، فلتسأله الآن بما ذا يؤمن هو، فسأله الملك، وأجاب الأسقف: «أقول عيسى بن مريم هو الكلمة، وأنه أوحى بالأسرار باسم الرب»، وهنا قال اليهودي للملك: «إنه يبشر بمذهب لا أعرفه علي حين يقرأ أقوالي»، لكن الأسقف لم يكن قوياً في إبراز حجته، بعدها أرسل الملك في طلب مسلم ليسأله عن الإسلام، فأرسلوا له عالماً ذكياً بارعاً في المناقشات، لكن اليهودي أستأجر شخصاً دس له السم فمات وهو في طريقه إلى الملك. وهكذا نجح اليهودي في كسب ملك الخزر إلى عقيدته اليهودية<sup>(١)</sup>.

من هذه الرواية نستدل على أن النفوذ اليهودي قد تغلغل في بلاط الملك الخزري، ونرى أثره واضحاً في عدم تراث الملك أو التردد في قبول اليهودية من دون أن يتحرى مبادئ هذه الديانة أو أن يحرص على سماع من يعرض له الدين الإسلامي، فيقارن بين ما دخل فيه والإسلام، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه

(١) الأصبخري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨.

يدل على سذاجة الملك وعدم جديته في البحث عن الحقيقة وأماكن وجودها، وإن الرأي القائل بأن اعتناق ملك الخزر لليهودية سببٌ سياسيٌّ هو الرأي الأقرب للصواب، يعضد ذلك ما قيل عن اعتناق الخزر للإسلام حين انكسروا أمام المسلمين ثم عادوا إلى اليهودية، وإن التخلص من الشامانية البدائية (الوثنية) هو الهدف الرئيس كذلك فيه محاولته إضفاء الهيبة الروحية والشرعية على رجال الحكم كما هو الحال عند المسلمين والمسيحية<sup>(١)</sup>.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن سبب اعتناق (خاقانات) الخزر لليهودية لم تكن إلا طلباً للحيادية وخوفاً من ذوبان سيادتهم أمام الخلافة العباسية الإسلامية والدولة المسيحية، وإن اعتناق ديانة سماوية تجعلهم أكثر احتراماً من عبادة (الذَّكْر)، وفي الوقت نفسه فإنهم سيحتفظون بكيان متميز مستقل عن الدولتين العظيمنتين، وهذا ما يؤيده الدكتور أحمد سوسة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) والذي يرجح حدوثه سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة للهجرة<sup>(٢)</sup>.

ولعل ما وصل إلينا من معلومات بهذا الشأن عن الرحالة العربي أحمد بن فضلان الذي أوفده الخليفة العباسي المقتدر

(١) الأضطخري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨.

(٢) سوسة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٥.

بالله سنة ٣٠٩ هجرية - ٩٢١م في بعثة إلى ملك البلغار والتي عُدت بعثته هذه وما دونه فيها من أخبار أفضل ما يُعتمد عليه مؤرخو العالم، إذ أخبرنا أن الملك وحاشيته وإن كانوا يهوداً لكن الغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، وهذا القول إن دلَّ على شيء فإنه يدل على أن الهدف الذي سعى إليه الخزر في تهودهم هو هدف سياسي بدليل أنهم احتفظوا بعبادتهم وتقاليدهم وثقافتهم الوثنية، ونرى أن هناك تبايناً فيما أورده المؤرخون حول السنة التي انتقل بها الخزر إلى اليهودية، لكن الذي نرجحه ما أورده المسعودي بأن ذلك حدث بين عامي ١٧٠هـ - ١٩٣هـ، أي ما يوافق ٧٨٦ - ٨٠٩م، وأن هذه البلاد قد أصبحت مأوى لليهود الفارين من اضطهاد إمبراطورية الروم لهم، إذ إن أعداداً كبيرة قد جاءت إلى الخزر في عهد الإمبراطور (ريمانوس) ٩١٩ - ٩٤٤م<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور حسن حدة في كتابه (الجدور اليهودية) في يهود الخزر: «لقد كان الصراع بين الدولة العربية التي مركزها بغداد والبيزنطية التي مركزها القسطنطينية داعياً لقلق ملوك الخزر من أن يبسط أحد هاتين القوتين سيادتهما على المنطقة، مما حدا بملوك الخزر أن يفضلوا الديانة اليهودية المتمثلة بالتوراة البابلية التي انخدعت بها كثير من الشعوب، فأصبحت

(1) D.N.Dunlop "The Jewish Khazavs" N Y (Sscheckeb Books) 1967. p. 57.

نتيجة ذلك أن احتفظ الخزر بأنفسهم من أن يقعوا فريسةً لإحدى القوتين، وهذا ما يدعوننا لأن نجعل أسباب ذهاب الخزر إلى اليهودية سياسية وعسكرية واجتماعية، فضلاً عن استمرار السلطة المطلقة لملك الخزر الذي كان لسقوط الدولة الأموية عاملاً مهماً من عوامل ظهور الخزر»<sup>(١)</sup>.

أما ما وصل إلينا من معلومات بهذا الخصوص عن طريق الخزر أنفسهم وكيف كانت عملية انتقالهم من الوثنية إلى اليهودية ما نصت عليه الرسائل المتبادلة بين حسداي بن شبروط<sup>(٢)</sup> وزير الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر في الأندلس

(١) حدة، حسن (دكتور)، الجذور اليهودية (تاريخ اليهود)، العربي للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، بلا سنة طبع، ص ١٩٤.

(٢) هو أبو يوسف حسداي بن إسحق بن شبروط، من كبار يهود الأندلس، ولد سنة ٩١٠م، وتثقف ثقافة عالية في اللغة العربية وآدابها، وإلى جانب ذلك فقد كان طبيباً ماهراً جذب انتباه الخليفة إليه تلك الأدوية الشافية التي كان يصفها لمرضاه وهو يمارس مهنة الطب، فعينه الخليفة الناصر طبيباً في بلاطه، ووثق به ثقة تامة إلى حد أنه طلب إليه أن ينظم شؤون الدولة المالية، ثم جعله وزيراً للخارجية، وخبيراً لحل المنازعات الدبلوماسية بين الخلافة الجديدة وبيزنطة وقشتالة ونافاراً وأرجوان وغيرها من الممالك المسيحية في شمال إسبانيا، وكان حسداي صاحب نزعة عالمية سبق عصر النهضة بقرون، واستطاع وسط زحمة شؤون الدولة أن يجد وقتاً لترجمة بعض الكتب الطبية إلى اللغة العربية، وأن يرأس العلماء من أحياء اليهود في بغداد، وكان شخصية مستتيرة على نحويين، كما أنه كان يهودياً متعصباً استغل اتصالاته الدبلوماسية بجمع معلومات عن الجماعات اليهودية في العالم، وكثيراً ما كان يتدخل لصالحهم إن أمكنه ذلك، ثم إنه كان مهتماً بشكل خاص بموضوع اضطهاد اليهود في الإمبراطورية البيزنطية على عهد الإمبراطور (ريمانوسي)، ويذكر أنه كان ذا نفوذ كبير في البلاط البيزنطي الذي كان مهتماً =

فقد كتب حسداي إلى ملك الخزر عندما علم من بعض القوافل التجارية الواردة من نواحي خراسان بأن هناك مملكة يهودية مستقلة، لكنه لم يصدق هذا الخبر، حتى راح يسأل أعضاء بعثة دبلوماسية بيزنطية وردوا إلى قرطبة، فأكدوا له صحة ذلك وقدموا له قدرًا كبيرًا من التفاصيل عن المملكة الخزرية بما في ذلك اسم ملكها (يوسف)، وعلى هذا الأساس قرر أن يبعث رُسلًا يحملون خطابًا منه إلى الملك (يوسف)، يحتوي هذا الخطاب جملة من الأسئلة عن دولة الخزر، وشعبها ونظام حكمها، وعن جيشها، وإلى أي سبطٍ من الأسباط الاثني عشر ينتمي الملك وشعبه، وقد ظن حسداي أن هؤلاء اليهود هم أصلًا من فلسطين، وإن شأنهم شأن اليهود الإسبان، بل ربما يمثلون إحدى قبائل بني إسرائيل الضائعة.

إلا أن جواب الملك يوسف لم يكن جوابًا شافيًا للوزير حسداي بسبب عدم استعداد الملك يوسف لمثل هذه الأسئلة، بل إنه لم يكن يتوقع أن يقف في موقف إخراج يوجب عليه أجوبةً مقنعةً لاسيما عندما علم مكانة الوزير حسداي واهتماماته بهذا،

---

= كثيرًا يجعل قرطبة موقفًا محايدًا في أثناء الحملة البيزنطية ضد المسلمين في الشرق. راجع: مؤنس، حسين (دكتور) معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٣٢١.

إذ كان عليه أن يُعَدَّ أجوبة مقنعة تصبح قواعد يستند عليها أبناء وأجيال الخزر لتمرير هذا الانقلاب العقائدي السريع<sup>(١)</sup>.

إن الرواية التي يقدمها الملك يوسف في رسالته إلى حسداي تخبر أن الملك قد رأى فيما يراه النائب مرات عديدة أن ملكاً كان يخبره بقبول الخالق لنواياه، إلا أن أعماله التي كان يمارسها مع شعبه الوثني من أعمال تعبدية وتقديم للأضاحي مرفوضة، ثم يؤكد له أن هذا الملاك قد ظهر له ليلاً وهو منشغل بتعبده وأكد له قائلاً: «نواياك مقبولة، ولكن أعمالك مرفوضة» مما حدا به أن يبحث عن الإيمان الصحيح والديانة الحقّة، وهكذا أصبح يهودياً ومعه جميع الخزر.

ثم أفاد بأنه عرض على أحد مستشاريه ما كان يراه في منامه أو ما سمعه من الملاك عندما قابله ليلاً، فأجابته بأنه سيسأل له أصحاب الديانات الثلاث لعله يجد ضالته عند أحدهم، وهكذا حدثت المناورة التي وردت قبل قليل في هذا الفصل<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر نفسه ودنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٩، وكيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.  
 (٢) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٩، وعبد المجيد محمد بحر (دكتور) اليهود في الأندلس، ص ٧٤ - ٧٦ نقلاً عن كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٨١، ولنا أن نذكر هنا بعض الروايات التي تعضد ما ورد من عدم استيعاب الخزر للديانة اليهودية، وأن اعتناقهم لها جاء ليس عن طريق الاعتقاد أو الاقتناع بسماوية هذا الدين؛ فيروى عن الرحالة اليهودي الألماني الحاخام بتاكيا (pe Tachia) الذي زار شرق أوروبا وغرب آسيا بين سنتي (١١٧٠ - ١١٨٥ م)، وذكر في وصفه لأسفاره في كتابه حول العالم كيف صُدم حين شاهد يهود الخزر يمارسون طقوساً بدائية عزاهما إلى =

وهناك رواية أخرى عن إجابة الملك يوسف للوزير حسداي، وهذه الرواية ترينا أن ملك الخزر يجيب بأسلوب يبعدُ كل البعد عما ابتغاه الوزير من خلال أسئلته، فهو يستطرد في مدح جده ويصفه بالعظمة والحكمة، وأنه هو الذي كان سبباً في اعتناقه لليهودية، إذ قام بطرد السحرة والأوثان من بلاده، وعلى أثر ذلك فإن الرب طلب من الملك يوسف أن يعبد الإله الصحيح الوحيد، وأنه سوف يبارك ذريته ويلقي بأعدائه بين يديه ويبقيه على مملكته حتى نهاية العالم.

وهكذا فإن ما قدمه الملك في رسالته إلى الوزير حسداي لم يكن إلا وقائع من نسج الخيال لا يملك غيرها، ومما يدعم هذا الكلام بأنها حقائق من نسج الخيال أن الملك يوسف بعد هذه الرسالة قد أرسل إلى عالم من علماء اليهود وصار يوجه له أسئلة عن مكونات الديانة اليهودية بما في ذلك أسئلة عن اسم الرب وكيونته وعن طبائع الديانة اليهودية وأسرارها، ويذكر أن العالم كان اسمه (إسحق سنجري)، وهو يهودي بيزنطي غادر

---

= تأثرها بهرطقة القرائين، ولما سألهم الحاخام عن سبب ذلك فأجابوا أن آباءنا لم يعلمونا أمور ديننا، مما يدل أن ذلك نتج عن عدم اهتمام الآباء بما اعتنقوه من ديانة، وإنما كان لأسباب سياسية، ويضيف الحاخام بأنه فعلاً قد وجد من عادات وتقاليد القرائين ما تأصل في المجتمعات اليهودية، وذكر أنه حين زار بغداد شاهد مبعوثين من مملكة الخزر يبحثون عن طلاب يهود فقراء يذهبوا معهم ليعلموا أطفالهم التوراة و التلمود.

الأراضي البيزنطية وذهب إلى الخزر، وكان له الأثر الكبير في عملية تهويد الخزر حسبما جاءت به المصادر اليهودية<sup>(١)</sup>، ولنا أن نذكر هنا ما كتبه (بنيامين فريدمان) في كتابه يهود اليوم ليس يهوداً إذ يقول: «قد تكون الظروف التي اعتنق في ظلها الخزر اليهودية زخرفت بخرافة، لكن الحقيقة ذاتها قد أثبتت على نحو واضح من جميع الأطراف لتحول من دون شك أي حول واقعها وصحتها... فاليهود العقلاء الذين أغووا نظموا حياة مستقرة، وكرروا كلماتهم السابقة؛ أنشؤوا مدارس ومعابد يهودية لتدريس الوصايا في الكتاب المقدس والتلمود، وأحدثوا طرازاً من الخدمة الدينية على غرار المنظمات القديمة؛ ووفقها للقانون الأساسي للدولة فإن لليهود وحدهم اعتلاء عرش مملكة الخزر، وظل يهود الدول الأخرى لبعض الوقت لا يعرفون تحول هذه المملكة الكبرى إلى اليهودية، وأخيراً انتشرت إشاعة غامضة عن هذا الواقع وامتدت إلى أسماع يهود العالم، واعتقد هؤلاء أن خزاريا؛ أي (مملكة اليهود) كانت أهلة ببقية القبائل العشر الساقطة»<sup>(٢)</sup>.

ويضيف فريدمان معلقاً: «من المستحسن عند هذه النقطة من دراستنا أن نفسر للقراء الذين قد يكونون غير محيطين كلياً

(١) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥١..

(٢) فريدمان، بنيامين، يهود اليوم ليسوا يهوداً، إعداد زهدي الفاتح، دار النفائس للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٧ - ١٩.

بهذا الموضوع أن نوضح لهم مصطلح (من يزعمون أنفسهم يهوداً) الذي استعمل تكررًا في هذه الدراسة، وأن دراسته ستكون مركز نشاط وفعالية لكل الحقائق الشاهدة على أسلوب (الكذبة الكبرى) للخداع المروع الذي لم يشهده التاريخ من قبل»<sup>(١)</sup>.

«إن مصطلح (من يزعمون أنهم يهود) يعترف به علماء اللاهوت والتاريخ على اعتبار أنه المصطلح الوحيد الذي يوصف به هؤلاء الذين (يزعمون أنهم يهود)؛ ففي القرن الثامن الميلادي سطا المنحدرون من سلالة الخزر على مصطلح (يهودي JEW)، وفرضوا أنفسهم بالحيلة والخداع، وفي حالة اللاوعي على مسيحيي العالم على أساس أنه عشيرة يسوع»<sup>(٢)</sup>.

ونرى الفريد ليلنتيال في كتابه (ثمن إسرائيل) يقول: «كانت الموجة التي اعتنقت اليهودية أكبر الموجات في التاريخ، والتي تمثلت (بمملكة الخزر)، ولا تزال هذه القصة عالقة في أذهان يهود العالم، فقد قامت هذه المملكة في القسم الجنوبي من روسيا بين نهري الفولغا والدون، وامتدت حتى شواطئ البحر الأسود وبحر قزوين، وعرفت بالمملكة الخزرية، وكان يحكمها ولاة حملوا لقب (خاقان)، وقد أدت هذه المملكة دورًا سياسيًا

(١) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠ - ٤٥.

في أوروبا الشرقية من القرن الرابع حتى الثامن الميلادي، وكان لها جيش قوي مدرب، وكانت ملجأ لليهود الفارين من حاكم بيزنطة (ليو الثالث)، وفي عام ٧٤٠م اعتنق بولان حاكم المملكة الديانة اليهودية، وتبعه أشراف دولته، ومن ثم شعبه، وقد شيّدت عشرات المعابد وأنشئت المدارس لتعليم التوراة والتلمود، كما أصبح لا يحق لغير اليهودي أن يعتلي عرش الحكم، وفي عام ٩٦٩م تعرضت الدولة لغزو من قبل بيزنطة وروسيا، فاقتمتا عاصمتها (أتيلا)، واقتسمتا أجزاءها بينهما، وتشتت أبناء الخزر في أنحاء أوروبا الشرقية والقوقاز»<sup>(١)</sup>.



---

(١) ليلينثال، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

## المبحث الثالث

### علاقة يهود الخزر بدول الجوار

#### أولاً العلاقات العربية الخزرية

لقد كان للموقع الجغرافي الذي تشغله بلاد الخزر أثر بالغ في توطيد أركان هذه الدولة وإعطائها القدرة على بناء كيان مستقل سياسياً واقتصادياً؛ بل تعدى الأمر إلى أن أصبحت مملكة الخزر قوة طالما وقفت في طريق الفتوحات الإسلامية، فقد توغل العرب والمسلمون بجيوشهم في الأطراف الجنوبية المجاورة للقوقاز خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، وكان لهم أن يصلوا إلى البلاد الواقعة في شمال المنطقة الجبلية لتلك الأقاليم، إلا أن نفوذ الخزر التي كانت تهيمن على تلك المناطق الواقعة شمال باب الأبواب (دربند) حال دون ذلك.

وقد نجح المسلمون في بعض الأحيان من توطيد أقدامهم في شمال تلك الجبال على الرغم من وعورتها؛ لكنهم لم يصلوا إلى حل نهائي للصراع مع الخزر؛ للأسباب التي أوردناها آنفاً من استقلال قوة الخزر وإمكانياتهم المادية والبشرية.

وكان أول القادة العرب المسلمين الذين وصلوا إلى مدينة باب الأبواب هو بكير بن عبد الله الذي أرسل سنة ٢١هـ - ٦٤١م) إلى أذربيجان، ثم تبعه سُراقَة بن عمرو وعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي<sup>(١)</sup>، وكان ذلك في عهد الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إذ تحقق للمسلمين نجاحات كبيرة في تلك المناطق، إذ أقر الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بولاية عبد الرحمن بن ربيعة للمناطق المفتوحة وأمره بمتابعة الزحف شمالاً ضد الخزر، ويروي لنا الطبري أن المسلمين آنذاك توغلو في تلك الأقاليم حتى وصلوا البيضاء التي كانت عاصمة للخزر، وهي نفسها (آتل)؛ إلا أن هذه الرواية يشك بها بعض المؤرخين، ودارت معارك ضارية بين الأطراف، وأبدى فيها المسلمون عجائب في القتال، دعت الخزر أن يفضوا عن قناعة بأن المسلمين لن يموتوا إذ لم يكونوا مخلوقات خارقة للطبيعة، واستمرت الحروب بين الخزر والمسلمين حتى وقعت معركة بلنجر العظمى التي استشهد فيها عبد الرحمن بن ربيعة وعُين مكانه الوليد بن عقبة، وقد قام الوليد بحملة داخل أذربيجان وأرمينيا، واستدعى معه سلمان بن ربيعة، وكان معهم نحو أربعين ألف مقاتل، لم يستمر زحفهم على ما كان عليه بسبب تعرضهم لهجمات كبيرة من قبل الخزر أثر تجمعات ونجدات حصلوا عليها، مما اضطر

(١) الطبري، مصدر سبق ذكره، الجزء الأول، ص ٢٦٤.

سلمان بن ربيعة إلى سحب جيوشه والنجاة بهم، وبهذا توقفت الفتوحات الإسلامية بهذا الاتجاه.

ويروي لنا الطبري أيضاً بأن مسلمة بن عبد الملك قام بالاستيلاء على عدد من القلاع والبلدان في أذربيجان، وشق طريقه حتى وصل مدينة باب الأبواب التي كانت تحت نفوذ الخزر، وهذا حدث سنة ٩٩ هـ - ٧١٧ م<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٧١٧ م أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قام الخزر بهجوم على المسلمين الذين كانوا يسيطرون على إقليم أذربيجان، إذ قُتل عدد كبير من المسلمين، اضطر الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى إرسال حاتم بن النعمان لنجدة المسلمين فهزمهم وأسر منهم العدد الكبير. وفي عام ١٠٣ هـ - ٧٢١ م قام الخزر في الهجوم على إقليم اللان، فقابلهم المسلمون بقيادة ثيب النهراي في مرج الحجارة في أرمينيا، إذ دار بينهم قتالٌ عنيفٌ كان الخزر في ثلاثين ألفاً من الجند استطاعوا أن يوقعوا الخسائر بالمسلمين الذين انسحبوا إلى بلاد الشام، مما اضطر الخليفة يزيد بن عبد الملك إلى تعيين الجراح بن عبد الله الحكمي والياً على أرمينيا، وأمره أن يحارب العدو من داخل أرضه، وكان ذلك سنة ١٠٤ هـ - ٧٢٢ م، وقد

(١) المدور، مروان، الأرمن عبر التاريخ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٩٧ - ٢٠٤.

زحف الجراح على رأس جيش قوي وأخذ يفتح البلاد حتى وصل إلى بلنجر وحاصرها واستولى عليها بعد قتال عنيف، وغنم المسلمون غنائم لم يسبق لها مثل من الأموال وغيرها. وزحف الجراح إلى حصن مدينة ويندر إذ استسلم أهلها دون قتال، وبعد وفاة يزيد قام خليفته هشام بإقرار الجراح في منصبه وبعث بعده بإرسال مساعدات لتقوية موقعه هناك، وبعد حملات ضد الخزر انتصر فيها الجراحتهم استدعاؤه من قبل الخليفة وإسناد ولاية أرمينيا وأذربيجان لأخيه مسلمة بن عبد الملك، فقام مسلمة بإنابة الحارث بن عمرو ليقود الجيوش ضد الخزر، وفعلاً قام عام ١٠٧هـ باحتلال بعض أراضيهم، إلا أنهم في عام ١٠٨هـ قاموا بحملة معاكسة<sup>(١)</sup> بقيادة ابن الخاقان هُزم الخزر وفتدوا خسائر كبيرة، وقتل منهم ما لا يُحصى<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ١١١هـ عاد الجراح إلى ولايته ثانية فزحف نحو عاصمة الخزر، وقام باحتلالها، إلا أن عام ١١٢هـ - ٧٣٠م كان عام نكبة على المسلمين، إذ قام الخزر بالهجوم على المسلمين بجيش تعداده أكثر من ثلاث مئة ألف رجل، دارت بين الطرفين معارك دامية استشهد فيها خلقٌ كثير من المسلمين ومن بينهم الجراح نفسه، وكانت تلك نكبة أثرت في نفوس المسلمين ودفعت

(١) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ج ٢ ص ٤٢، وكيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥ - ٩٠.

(٢) ابن أعتم، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٧ - ٢٧٩.

بالخزر للاستيلاء على أذربيجان وديار بكر وأطراف الموصل، عندها اضطر الخليفة إلى إرسال سعيد ابن عمرو الحرشي الذي قام برد الخزر والزحف نحو ديارهم ودمّر حصونهم، وتكررت انتصارات المسلمين على الخزر في مواقع عديدة، قُتل فيها من الخزر ما يزيد على عشرة آلاف، وهرب الباكون<sup>(١)</sup>، وهكذا استمر المسلمون بزحفهم باتجاه أقاليم الخزر حتى وصلوا إلى سمندر، وعند ذلك علم المسلمون بأن أعداداً لا تحصى من الخزر تجمعت لغزوهم، فأثروا الانسحاب ليتحصنوا بالمدن الإسلامية، وكان على رأس جيش الخزر الخاقان نفسه، إذ جُرح في المعركة وهرب بجيشه، وحُسم الموقف للمسلمين<sup>(٢)</sup>.

وكان حسم الموقف لصالح المسلمين عاملاً مشجعاً للتخطيط في السيطرة على الأقاليم المتاخمة لمناطق استقرار الجيوش الإسلامية؛ مما دفع مسلمة بن عبد الملك إلى إعادة تنظيم قواته بشكل كامل، وأوجد أحياناً خاصةً للدمشقيين والكوفيين والجزريين والحمصيين، وبنى مخازن للأغذية والأسلحة، وعين لها والياً، ووضع لها تحصينات وأبواب حديد تحسباً لحرب مقبلة مع الخزر، بعدها قام مسلمة بتسليم الأمور إلى مروان بن محمد وعاد إلى الشام. وفي عام ١١٤هـ قام مروان بن محمد بحشد جيش من أربعين ألف رجل وزحف

(١) ابن الأثير، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨، واليعقوبي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٦.

(٢) البلاذري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨ - ١٢٢.

مجتازاً بلنجر ومتوغلاً في بلاد الخزر مسيطراً على مدن عديدة بعد أن قتل وأسر الكثير وغنم أموالاً لا تُحصى.

بعدها عُين مروان والياً على أرمينا، وبعد عامين من ولايته واستقراره قام بإعداد جيش يتألف من مئة وخمسين ألف رجل، وبخطة مُحكمة زحف على رأسه عبر ممرات دريل، وبالوقت ذاته زحف جيش آخر تحت لواء أبي يزيد أسيد بن ظافر السُّلمي، والتقى الجيشان في سمندر، وجرى عرضٌ عظيم للقوات الزاحفة لاسيما بعد الانتصارات التي أحرزتها في هذه المناطق، مما اضطر خاقان الخزر إلى الهروب والانسحاب نحو الجبال، ووصل مروان إلى مشارف العاصمة، لكنه لم يدخلها، وانحرف نحو الشمال على طول الضفة اليمنى لنهر الفولغا التي تسكنها قبائل بلرطاس والبلغار؛ إذ سيطر المسلمون على هذه الأقاليم وأسروا عشرين ألف أسيرة<sup>(١)</sup>، وبعدها قاموا بإجلاء القبائل الأسيرة نحو الجنوب، واستمر المسلمون بملاحقة جيوش الخزر تحت قيادة (هزار طورخان) حتى عبروا نهر الفولغا<sup>(٢)</sup>، فاستعملها المسلمون للعبور؛ مستعملين الخطط والفتن العسكرية في التمويه والاستدلال على إمكانيات العدو

(١) ابن أعثم، العلامة أبو محمد أحمد الكوفي، الفتوح، مجلد (٧-٨)، دار الكتب

العلمية، بيروت، بلا سنة طبع، ص ٢٣٧.

(٢) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٧.

ومعسكراته، مما دفع بخاقان الخزر إلى طلب الصلح من المسلمين، فعرض عليه مروان خيارين واضحين للإسلام أو السيف، فاختر الخاقان الإسلام وطلب في رسالة إلى مروان أن يبعث من يعلمه الإسلام، فأرسل إليه نوح بن الثائب وعبد الرحمن الخولاني، عندها أعلن الخاقان إسلامه<sup>(١)</sup>، إلا أن عودة مروان إلى دمشق بعد ظهور الخلاف السري بين الأمويين والعباسيين ودخول الجيش الإسلامي بحروب دامية في شمال جبال البارانس وفيما وراء جبال القوقاز وخسارة المسلمين في معركة بلاط الشهداء أعطت هذه الأحداث للخزر الفرصة في استعادة قواهم وترتيب أوضاعهم العسكرية، لتقف الحملات الإسلامية الكبرى على الدون والدينبر وجميع مدن شرق أوروبا، ولعله من الممكن قوله إن إسلام الخزر لم يكن وقت ذلك إلا للضائقة السياسية والعسكرية التي أوقعوا بها أمام المسلمين<sup>(٢)</sup>.

وعندما تمكن العباسيون سنة ١٣٤هـ - ٧٥١م من توطيد أقدامهم في إقليم الهند النائي وألحقت الهزيمة بممثل الحكم السابق منصور بن جمهور فهرب خليفة منصور إلى بلاد الخزر، وهذا يدلنا على أن دولة الخزر كانت مستقلة بتلك الآونة، وفي

(١) البلعمي نقلًا عن دنلوب مصدر سبق ذكره ص ١٢٤ - ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤١، وابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٧ والبيلاذري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٩، وابن الأثير، السنة ١١٤، نقلًا عن دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤ - ١٢٥.

سنة ١٤١هـ - ٧٥١م تولى يزيد بن أسيد السلمي آرمينيا أيام المنصور العباسي، وقد شجع المنصور يزيد بمصاهرة ملك الخزر، وفعلاً تزوج يزيد من أميرة خزرية، إلا أنها توفيت في أثناء ولادتها، وأثارت هذه الحادثة شكوكاً لدى الخزر بأنها قتلت، فزحفوا نحو أراضي الخلافة العباسية، وانسحب يزيد تجنباً للصدام، إلا أن الخليفة المنصور بعث قوة قوامها عشرون ألفاً من أهل الشام وأهل الجزيرة، إلا أنها لم تُجد نفعاً، فعزز الخليفة الموقف بقوة أخرى استطاعت إيقاف الزحف الخزري، أما في زمن الخليفة هارون الرشيد والخلفاء الذين جاؤوا قبله فإن الهدوء كان يسود العلاقات الخزرية الإسلامية، وأن ثمة محاولات لتطبيع العلاقات بين الطرفين قد قامت من دون جدوى، وقد شهدت خلافة هارون الرشيد اضطرابات في أرمينيا عند ثورة الأرض إثر وفاة المهدي وتمردهم على حكم الهادي، إلا أن الخزر قد لزموا الهدوء ولم يصدر منهم حيال خلافة العباسية أي تمرد أو اضطراب<sup>(١)</sup>.

## ثانياً: العلاقات الخزرية البيزنطية

لقد مرّ بنا الحديث عن لجوء أعداد كبيرة من يهود بيزنطة إلى يهود الخزر، وكان السبب من هجرة هؤلاء ما يعانيه من

(١) ابن أعتم، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٥ - ٣٨٥.

ضغط عقائدي يتمثل في إجبارهم على اعتناق المسيحية، وتذكر لنا المصادر بأن أعداداً كبيرة قد تعرضت لمثل هذه الممارسات من ملك الروم، ويذكر لنا المسعودي قوله: «وحقيقة الأمر أن ملك الروم الحالي ٣٢٢هـ - ٩٤٣م أجبر اليهود في مملكته على اعتناق المسيحية، ومن ثمَّ فرَّ كثير من اليهود من بلاد الروم إلى بلاد الخزر»، وتشير هذه العبارة التي تذكر أحداثاً بعد مئتي سنة من تحول الخزر إلى اليهودية بأن بلاد الخزر كانت ملاذاً للفارين من اضطهاد روما لهم، وأن أعداداً كبيرة من اليهود كانت تلجأ إلى الخزر قبل سنين من هذا التاريخ، أي قبل انتقالهم إلى الديانة اليهودية، فكان لهؤلاء اللاجئين أثر كبير في موطنهم الجديد، لاسيما وهم يحملون ثقافات وفتوناً أرفع من ثقافات الشعوب المضيفة لهم، فكان لا بد لأثرهم أن يظهر بين طبقات المجتمع الخزري، إذ جلبوا معهم أنواعاً من الفنون والحرف البيزنطية والطرق المتقدمة في الزراعة، ويذكر لنا ابن النديم في كتابه الفهرست<sup>(١)</sup> أنهم جلبوا معهم الأحرف العبرية المتقنة، ويبدو أن الكتابة العبرية انتشرت من بلاد الخزر إلى البلاد المجاورة، وقد تحدث المؤرخون عن صلوات بين الخزر والبيزنطيين في حوالي ٦٩٥م أيام جستنيان الثاني بن قسطنطين الرابع الذي تم خلعه ونفيه إلى بلاد القرن، فاستطاع

(١) ابن النديم مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.

هناك أن يقابل خاقان الخزر وتزوج أخته، وبدأ يُعلن نواياه في استرداد عرشه في بيزنطة، مما دفع الإمبراطور البيزنطي أن يبعث برسائل متواليّة إلى خاقان الخزر يعرض فيها مكافآت سخية مقابل جستنيان حياً أو ميتاً، واستجاب خاقان الخزر إلى ذلك، إلا أن جستنيان شعر بالموامرة ففر ولجأ إلى ملك البلغار، ثم استطاع أن يعيد عرشه في روما، ويستدعي زوجته الخزرية وولده إلى بيزنطة.

ثم قام سنة ٧١٠م بتجهيز أسطول كبير حمل على ظهره مئة ألف مقاتل، وأمر به أن يتجه إلى منفاه الذي احتفظ له بمشاعر العدائية نتيجة المعاملة التي لقيها هناك، ولاسترداد أراضٍ انتقلت إلى أيدي الخزر، وعلى الرغم من انتصاراتهم التي حققوها من خلال هذا الغزو إلا أن غرق عدد كبير من الأسطول المحمل بالجند والأسرى الذين عادوا إلى بيزنطة، قد قلب النصر إلى هزيمة، ثم حدثت محاولات صلح بين الطرفين، إلا أنها باءت بالفشل.

واستمرت الغارات من الروم على هذه البلدان، إلا أن الخزر كانوا ثقلاً عسكرياً كبيراً أمام الروم، وتتوالى الأحداث في بيزنطة ليتولى عرش الإمبراطورية ليو الأيزوري الذي زوّج ابنه قسطنطين أميرة خزرية، وحكم قسطنطين سنة ٧٤٠م، ثم جاء بعد ولده (ليو الرابع) الذي لُقّب بالخزري، إذ كانت

أمه من الخزر، وقد تزوج هو أيضًا بأميرة خزرية وعقد حلف مصاهرة مع خاقان الخزر، تحسنت العلاقات إلى درجة كبيرة بين الدولتين إلى حد أن خاقان الخزر طلب من بيزنطة تقديم العون لبناء حصن على الدون، وقام الإمبراطور وقتها بتلبية طلبه وأرسل بعثة قامت ببناء الحصن، وتشير مصادر أخرى أنه في سنة ٨٢٢م قام رسول خزري بزيارة القسطنطينية يناشدون البيزنطيين لبناء ساركيل، وهو حصنٌ يحمي عاصمتهم من الشمال، كما وصل في أواخر القرن نفسه رسول من الخاقان إلى الإمبراطور ميخائيل الثالث يتساءل عن إمكانية إرسال رجل يشرح له المسيحية، فأرسل له رجلًا يدعي قسطنطين، إذ أقام قسطنطين مدة من الزمن لقي خلالها الخاقان وعاد إلى القسطنطينية، ونحن هنا نقول ربما كان استدعاء قسطنطين لأجل المناظرة مع اليهودي والمسلم التي أُشير إليها سابقًا عند تحول الخزر إلى اليهودية، لاسيما وأن المدة التي حدثت فيها المناظرة كانت قريبة من أيام تحول الخزر إلى اليهودية<sup>(١)</sup>.

### ثالثًا: العلاقات الخزرية الروسية

لم تكن هناك علاقات قائمة بين الشعب الخزري والشعب الروسي؛ ذلك لأن الفواصل الطبيعية والجغرافية قد تكون سببًا

(١) غريمال، بيار، وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام، ترجمة أنطون أ. الهاشم،

منشورات عويدات، لبنان، بيروت، ١٩٩٥، ص ٣٦٠ - ٣٧٠.

في ذلك، إذ لم تكن بين هذين الشعبين قواسم مشتركة أو امتداد عرقي يجمع بينهما، وقد مرَّ بنا الحديث عن طلب ملك الخزر من بيزنطة مساعدته في بناء حصون لبلادته من ناحية الشمال ليحتمي بها من هجمات الروس.

ومن هذا نستنتج أن بلاد الخزر كانت تتعرض لهجمات من قبل الروس مما دفعهم إلى بناء ما يحمون به أوطانهم، وقد وردت فقرة من رسالة ملك الخزر إلى الوزير حسداي يقول فيها: «بفضل معونة المولى جلَّ شأنه فإني أتولى حراسة مصب النهر (الفولغا)، ولا أسمح بالمرور للروس الذين يفدون في سفنهم لغزو أرض العرب...، وإني أقاتلهم -أي الروس- في حروب عنيفة؛ ذلك لأنني إذا تركت لهم الحبل على الغارب فسوف يدمرون أرض إسماعيل -يقصد العرب- حتى بغداد نفسها»<sup>(١)</sup>.

من هذه العبارة تبدو الخصومة واضحة ومتأصلة بين الخزر والروس، ويروي لنا توينبي قوله: «في القرن التاسع، وهو القرن الذي اعتدى فيه الروس على الخزر وعلى الروم الشرقيين، كان الإسكندنافيون يغيرون ويفتحون ويستعمرون جزءاً من الأرض شكلاً قوساً هائلاً امتد في نهاية الأمر نحو

(١) كيسلر، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨.

الجنوب الغربي إلى أمريكا الجنوبية، ونحو الجنوب الشرقي إلى بحر قزوين»<sup>(١)</sup>. ويبدو أن الشعوب التي تسكن شمال الخزر كانت خليطاً من الفايكنغ الشرقيين والفايكنغ الغربيين الذين أطلق الروم على قسم منهم بالروس، وهؤلاء كانوا يتغلغلون في المسالك المائية الرئيسة لأوروبا، ويغيرون على مدن الموانئ للنهب والسلب منحدرين في نهر الدينبر وعبر البحر الأسود، واختلفت التسميات بين ما أطلقه العرب على هؤلاء (الفرنجة) وما أطلقه الروم بأنهم الروس، ويبدو أن الروس كانوا مزيجاً فريداً حتى بين أشقائهم من الشعوب فقد جمعوا بين صفات القراصنة واللصوص وسمات التجار المخادعين الذين يتاجرون بشروط يفرضونها بالسيف، ولطالما كان الصقابة وغيرهم ضحايا لهؤلاء، وهكذا كانت قوافل الروس المبحرة جنوباً في فصل الصيف بمثابة أساطيل تجارية وحربية في الوقت نفسه؛ إذ تقوم بالعمليات معاً، ويحدثنا المسعودي عن قوة تألفت من خمس مئة سفينة، تحمل كل واحدة مئة شخص قد دخلت بحر قزوين من الفولغا سنة ٩١٢م<sup>(٢)</sup>.

وكان لهذه الممارسات من الروس دافعاً قوياً لقيام الخزر بمحاولات تفادي هؤلاء ببناء الحصون وتبادل السفارات، فقد

(١) توينبي، مصدر سبق ذكره ص ٣٦.

(٢) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٧

كانت العلاقات بين الطرفين تتحسن ببطء شديد، وقد اجتهد الخزر بطرائق عديدة لبناء العلاقات مع الروس في أروقة التجارة والقنوات السياسية، كما أن الخزر استطاعوا أن يؤثروا في ثقافات الروس تأثيراً كبيراً من خلال الاحتكاك الثقافي المتبادل، وأن تتحول سداجة الروس إلى ثقافات اجتماعية أفضل بكثير مما كانوا عليه، وقد ظهرت تلك الأمور من خلال العادات والتقاليد المكتسبة لدى الروس حتى شملت الألقاب والأسماء لحكامهم وملوكهم، فأصبحوا يقبلون حكامهم (خاقان الروس)<sup>(١)</sup>، ويذكر ابن فضلان أنه كان للروس مراكز للتجارة في آتل عاصمة الخزر، وكانت هناك جالية من اليهود الخزر في كيف<sup>(٢)</sup>.

ومما يؤيد لنا أن الشعب الروسي قد تأثر بالثقافة الخزرية ما يكتبه المؤرخون الروس أنفسهم بأن مدينة كيف القديمة تدين بالكثير للشعوب الخزرية، وهذا ما كان قد كتبه المؤرخ الروسي أرتامونوف في أحد كتبه سنة ١٩٣٧م، وهذا الكتاب كان قد نشرت فيه مقالات عدة من هذا القبيل؛ ومن خلال حديثه عن تاريخ الخزر القديم<sup>(٣)</sup>، كما أن العلاقات الروسية

(١) كيسلر، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢.

(٢) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨.

(٣) كيسلر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥ - ١١٨.

الخزرية بدأت بالتطور والاندماج بأسلوب يختلف عن الماضي الذي كان الهدف منه هو معاهدات الصلح وتجنب الحروب بين الطرفين<sup>(١)</sup>.

لذا فإننا نجد أن تطوراً قد حدث إلى حد ما في فرض الهيمنة على المناطق المحيطة للدولتين؛ فبعد أن كان الخزر وحدهم يفرضون الرسوم والآتاوات والضرائب على تجار الأقاليم المجاورة، نرى أن ذلك قد أصبح يتقاسمه الطرفان، لاسيما الآتاوات المفروضة على الشعوب السلافية، ثم إن هناك بعض المدن التي كانت تحت نفوذ الخزر قد تنازلوا عنها للروس أمثال المدن الواقعة على نهر الدنيبر ومن أهمها مدينة (كريف) التي أصبحت فيما بعد عاصمة الروس، واستمرت الأحوال في تقوية شأن الروس وعلى حساب الخزر حتى تغيرت العلاقة الروسية الخزرية التي كان لحروب الروس والبيزنطيين لها الأثر البعيد في ذلك، وتذكر سنة ٩٦٥م الحملة التي قام بها الروس على بلاد الخزر وسيطروا على كثير من المدن والإمارات التابعة لهم، مما أفقد سلطتهم عليها وعلى الأقاليم الممتدة أدنى نهر الفولغا وحول بحر قزوين مثال: أذربيجان وجيلان وشروان وطبرستان وجورجان، إلا أن بعض الطرق التي كانت تؤدي

---

(١) الشمالي، نصر والدجاني، هشام، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٠، ص ٢٥ - ٣٠.

إلى بحر قزوين عبر دلتا الفولغا بقيت تحت سيطرة الخزر<sup>(١)</sup>، ويروي لنا المسعودي وقائع حدث بالغ الأهمية والخطورة، هو أن الروس طلبوا من ملك الخزر أن يسمح لسفنهم بعبور البوغاز إلى بحر الخزر مقابل إعطائه نصف ما سيحصلون عليه من غنائم، وقد منحهم الإذن، «وسفك الروس الدماء وقتلوا النساء والأطفال، وسلبوا الغنائم»<sup>(٢)</sup>.

ومنذ تلك الغزوة - الروسية البيزنطية - التي أشار إليها المؤرخ البيزنطي (سيدرينوس)، فقدت خازاريا إلى الأبد ذلك الشكل البدائي الجنيني للدولة، وغاب ذكرها<sup>(٣)</sup>، وقد حدث ذلك عبر الانهيارات الكبرى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الإسلامي، وأمام الموجات المغولية العاصفة والمتتابة في أواسط آسيا وغربها، إذ اتجه تيار قوي من تلك الموجات المغولية إلى مناطق الأقاليم التركية والسلافية، وبلغ قلب روسيا وأوكرانيا؛ ونتيجة لذلك حدثت حركة كبرى من الهجرات من الأقاليم الواقعة على طريق الغزوات المغولية، ومن هذه الهجرات الكثيرة كانت هجرة يهود الخزر.

---

(١) شمالي، نصر، ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية، مصدر سبق ذكره، ص ١١٧ - ١١٨.

(٢) الشمالي والدجاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

(٣) شاكر، عبدالرحمن، دولة الخزر الجديدة (إسرائيل)، دار مصباح الفكر، لبنان، بيروت، ١٩٨١، ص ٣٥ - ٣٦.

لقد اندثرت خازاريا تمامًا، من دون أن ينتبه أحد لاندثارها، عندما انهار النظام الاقتصادي في المجتمعات الإسلامية، وفي المجتمع المسيحي البيزنطي أيضًا؛ لأنها كانت دولة تتنفس من رئة تلك المجتمعات المتحضرة، ولم تكن تمتلك رئتها الخاصة بها<sup>(١)</sup>.

### رابعًا: العلاقات الخزرية بالأندلس

لقد مرَّ بنا في المباحث السالفة ما جرى بين (حسداي ابن شبروط) وزير الخليفة الناصر في الأندلس، وبين (يوسف) ملك الخزر؛ إذ كان الحاخام (حسداي) من يهود الأندلس الذين يسمون (السفرديم)<sup>(٢)</sup>، وهذه التسمية جاءت

---

(١) بيتي، جون، الصهيونية لعبتها أمريكا، دار النشر للجامعيين، لبنان، بلا سنة طبع، ص ١٧ - ١٨.

(٢) يقسم اليهود في العالم إلى لى قسمين: سفارديم وأشكنازم يهود الشرق، وهم من رعايا الدولة العثمانية، وأصل هؤلاء من جزيرة إيبريا، وعندما طردوا منها لجؤوا إلى الدولة العثمانية واليونان وشمال إفريقيا، وكانوا يتكلمون (اللانديو)، ثم تكلموا العربية، والتحق بهم عدد كبير من يهود المسارانو بعد طردهم من إسبانيا، وكانت نسبة كبيرة منهم تمتلك رأس المال الذي يؤهلها لإقامة شبه تجارة دولية استطاعت من خلالها السيطرة على الحياة الاقتصادية في أوروبا وغيرها، وللسفارديم طقوس وعبادات تختلف عن غيرهم من اليهود، كما أن عبريتهم تختلف عن عبرية الأشكنازيم، وهناك عداء تقليدي بين الاثنين، إذ يمثل السفارديم الطبقة الاستقرائية للمجتمع اليهودي، وقد يتسبب الحرج لهم باستقرار الأشكنازيم في مناطق سكناهم، وكانوا لا يتعبدون معهم ولا يتزاجون بينهم، ويحلوهم الاحتفاظ بمسافة بينهم، إلا أن هذا الأمر قد انقلب على عقب لاسيما بعد قيام دولة إسرائيل وتحول السفارديم إلى أقلية تتسلط عليها الجماعات الإشكنازيمية. =

من أصل الكلمة بالعبرية (سفاراد)، وهؤلاء اليهود هم من سكان إسبانيا القدماء، ويتكلمون لغة إسبانية عبرية تسمى (الرادينو)، وهم يختلفون عن الصنف الآخر من اليهود الذين يسمون (الأشكنازي)، وهذا اللفظ ينطبق على اليهود الحديثي النشأة الذين جاؤوا من أقاليم نهر (الراين)، وهؤلاء طبقاً لرسالة يوسف يكون جدهم (بولان)<sup>(١)</sup>.

من هذه المقدمة يتبين لنا بأنه ليس ثمة علاقة بين يهود إسبانيا ويهود الخزر من النواحي العرقية أو المواطنة أو أي علاقة مشتركة قد تكون مصيرية أو شبه ذلك، لقد بدأت العلاقة برسالة من الوزير حسداي يستفسر بها عما فوجئ بسماعه من أن مملكة تسمى الخزر تُدين باليهودية، ومع أنه من اليهود المتزمتين والمتابعين لأخبار وأحوال الأقليات اليهودية

---

= أما الأشكنازيم فهم يهود الغرب، وهم أساساً يهود أوروبا (روسيا و بولندا) الذين يتحدثون (البيديش)، وتعود أصولهم إلى الألمانية، ويعد هؤلاء من الرعايا الأوربيين، وحينما يهاجر هؤلاء إلى هولندا وإنكلترا أو الولايات المتحدة كانت المجتمعات المضيفه لهم تنظر إليهم على أنهم متخلفون، فتحصر بهم المهن الواطئة كالعاملين والباعة المتجولين وصفار المرابين، وكانوا يحضرون معهم الأمراض الاجتماعية التي سببت لهم بغض تلك المجتمعات المضيفه كالدعارة والغش التجاري، وقد ظهرت جميع الحركات الفكرية الحديثة في صفوفهم مثل: حركة الاستنارة، واليهودية المحافظة، والرياسبورا، والبوندا، وأخيراً الصهيونية. راجع: النعيمي، أحمد نوري، اليهود والدولة العثمانية، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٠، ص ٧٢.

(١) كيستلر مصدر سبق ذكره ص ٦٧.

بالعالم، وبحكم وظيفته الدبلوماسية، فمن المفترض أن يكون له علمٌ بهذا الشعب اليهودي الكبير.

لكنه عندما وصله الخبر من قوافل تجارية بيزنطية نال هذا الخبر اهتمامه، فقام بإرسال اثنين من يهود الأندلس هما الحاخام يهودا بن مائير بن ناثن، والحاخام يوسف بن هجريس، وحملهما رسالة إلى ملك الخزر، وهناك رواية أخرى أنه أرسل رجلاً اسمه مار إسحق بن ناثن إلى القسطنطينية وأمره أن يتابع طريقه من هناك إلى الخزر، لكنه بحسب ما أوردت المصادر التاريخية لم يصل وعاد الأندلس<sup>(١)</sup>.

ثم قام حسداي بدراسة إمكانية توصيل الرسالة إلى بلاد الخزر عبر القدس، فبلاد الرافدين فأرمينيا، إلا أن حضور اثنين من اليهود السقالية سهل له ذلك، إذ عرضا له خدماتهما في إيصال ذلك، وبالفعل وصلت الرسالة وتسلمها ملك الخزر، وكان مضمونها أسئلة واستفهامات عن شعب الخزر ونظام حكومته وجيشه، ومن أي أسباط بني إسرائيل هم، حيث إنه كان يظن أن هؤلاء (إحدى قبائل بني إسرائيل الضائعة)، ولما كانت هذه الأسئلة في موقف إحراج لملك الخزر، فبلا شك إن أجوبتها كانت أجوبة غير شافية، وقيل إن فيها من عدم الصحة ما لا يحتاج إلى

(١) ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، نقلاً عن دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٠ - ١٩١.

نقاش أو عودة للماضي، فقد وردت بعض العبارات التي أدهشت الوزير حسداي عندما قال له الملك يوسف: «إن ما أخبرتنا عن بلادك (أي الأندلس) وأصل ونسب ملكك قد وصل إلينا من قبل، فلقد جرى تبادل الرسائل والأصداء الحضارية بين آبائنا، وهذه الأمور محفوظة في كتبنا ومعروفة من من جميع الشيوخ في بلادنا وفي جميع بلاد الشرق حسبما ذكرت، وكما أننا سنجدد الصداقة القديمة التي كانت قائمة بين آبائنا ونورثها لأبنائنا».

لقد حاول الملك يوسف أن يجيب عن أسئلة الحاخام حسداي بطريقة فيها شيء من التمويه عن واقع مملكته وأصول شعبه، فجاءت الإجابة تحتوي على فقرات تتم عن انعدام اللون اليهودي والأسلوب المتعارف عليه في المراسلات بين أبناء الطوائف اليهودية، ثم إدراج ما لم يكن منطقيًا، فضلاً عن عبارات الغموض والهجوم العنيف على الإسلام والمسلمين، فنقرأ مثلاً ما يقوله: «منذ ذلك اليوم الذي اجتمع فيه آباؤنا على هذه الديانة، أخضع رب إسرائيل جميع أعدائهم لهم، وأذل كل أمة ولسان من حولهم من ملوك إدوم وملوك بني إسماعيل وجميع ملوك الأمم، وما من إنسان يستطيع أن يتصدى لهم وكانوا جميعاً يدفعون الجزية له»<sup>(١)</sup>.

(١) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨، وثيوناتس، نقلًا عن دنلوب، مصدر سبق

كما أن الرسالة كانت خالية من عبارات بالعبرية أو إشارات من التوراة أو التلمود أو أنها متأثرة بأدييات الديانة اليهودية، ويواصل الملك يوسف في حديثه، فيروي كيف ظهر له الملاك وأمره أن يشيد مكاناً للعبادة يمكن للرب أن يقيم فيه؛ لأن السماء والسماوات التي تعلوها ليست متسعة لتحويه، وتحتوي الرسالة على عرض لهيمنة الخزر على الأقاليم المحيطة بهم وأنهم يجمعون الذهب والفضة من خلال الغارات التي يغيرونها عليهم.

ثم يواصل فيقدم بياناً لسلسلة نسبه وأصل سلالته، وعلى الرغم من أنه يهودي متعصب فهو لا يرجع بأصله إلى سام، بل يرجعه إلى يافث الابن الثالث لنوح، إذ يقول: «لقد عثرنا في سجلات الأسرة التي تركها آباؤنا أنه كان لتارجوما عشرة أبناء، وإن أسماء ذريتهم هي كالاتي: أودجور - دورسو - آفار - هون - بازل - تارينساخ - خزر - زاجور - بلغار - ساير - وإنتي نحن أبناء خزر أي الذرية السابعة).

ثم يورد بعض الفتوحات الحربية التي قام بها أسلافه، وما قاموا به من إصلاح للقانون وبناء للمعابد والمدارس وطرده السحرة وعبدة الأوثان، ولم يذكر المؤرخون أن علاقات قامت بين الخزر ويهود الأندلس سوى المراسلات التي اقتطفنا مقاطع منها؛ إذ إن يهود الأندلس كانوا ينعمون في ظل الخلافة الإسلامية، ولم تربطهم بيهود الخزر روابط رسمية أو مصيرية

لعدم وجود مصير مشترك للطرفين سوى الذي حصل لهم بعد سقوط الخلافة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

### خامساً: علاقة الخزر بالسلاجقة

يُعد السلاجقة المؤسسون الحقيقيون لتركية الإسلامية، وهم فرع من (الغز)<sup>(٢)</sup>، كانوا قد ارتحلوا في أواخر القرن العاشر إلى المدن المجاورة لمدينة بخارى، ثم انطلقوا منها فيما بعد إلى آسيا الصغرى البيزنطية واستعمروها، وكانوا على اتصال وثيق بالخزر، إذ كان (توكاك) والد سجلوق قائداً في جيش خاقان الخزر، وبعد موته نشأ ابنه سجلوق (مؤسس الأسرة السجلوقية) في بلاط الخاقان، ولكنه كان على غير سيرة أبيه، إذ كان شاباً طائشاً لم تتوافق تصرفاته مع البلاط الخاقاني، مما اضطر إلى الابتعاد والرحيل عن الإمبراطورية الخزرية<sup>(٣)</sup>.

ويذكر لنا ابن العديم بأن سلاجوق كان أحد أعيان الخزر والأتراك، يؤيده بذلك أحمد بن فضلان في رسالته إذ يقول: إن

---

(١) عبد المجيد، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤ - ٧٦.

(٢) الغز إحدى هم القبائل التركية التي تضم أعداداً كبيرة من البشر، تنطلق بين حين وآخر من أواسط آسيا، وتتحرف نحو الغرب. راجع: راي، تامارا تالوب، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨، ص ٨٣ - ٩٠.

(٣) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤.

العلاقة التي كانت بين السلاجقة والخزر كانت علاقة حميمة، لكنها سرعان ما انقلبت إلى قطيعة، وسبب ذلك اعتناق السلاجقة للدين الإسلامي<sup>(١)</sup>.

بينما يذكر أبو العلاء بن حنبل في كتابه (تفضيل الأتراك) أن سلجوق جد السلاجقة قد تحدى ملك الخزر شخصياً وضربه بسيفه، وفي رواية أخرى رماه بدبوسه الذي كان بيده حتى أنهك حصانه ورماه على الأرض منكباً على وجهه<sup>(٢)</sup>.

أما ابن الأثير فيروي لنا غير ذلك إذ يقول: بأن هذه الحادثة قد حدثت بين (تقاق) أبو سلجوق وملك الترك الذي يدعى (يبغو) وليس مع خاقان الخزر<sup>(٣)</sup>.

بينما يروي لنا ابن العبري أن تقاق كان قائداً في جيش الخزر، وأن ابنه سلجوق قد تربى في بلاط الخاقان، وقد حدثت بينه وبين الخاقان خلافات اضطره إلى الابتعاد عنه والاتجاه إلى المجرى الأدنى لنهر سيحون، ثم إلى منطقة بخارى، وهذا الرأي يؤيده (بارثولد) في بيانه لأسباب انفصال السلاجقة عن الخزر.

(١) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٢، وكيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣.

(٢) زكي، وليد نقلاً عن كيستلر، مصدر سبق، ذكره ص ١٢٢.

(٣) فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى الحاضر، ترجمه وعلق عليه دكتور أحمد محمود الساداتي، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة،

١٨٧٢، ص ١٢٧ - ١٤٥.

وتورد بعض المصادر التاريخية أن أبناء سلجوق كانوا يحملون أسماء إسرائيلية مثل: ميكائيل وإسرائيل وموسى ويونس وداود، رابطين بذلك التفاعل الاجتماعي السلجوقي الخزري، ويرى بعضهم أن السلاجقة ربما كانوا يدينون بالمسيحية قبل أن يعتنقوا الإسلام، لكن هذا الرأي يرفضه بعضهم الآخر، بحجة أن هذه الأسماء لم تكن أسماء مسيحية، وأن سبب تسمي السلاجقة بها كونها أسماء شائعة في تلك الحقبة الزمنية، وهذا ما اعتاد عليه الناس<sup>(١)</sup>.

ومن الناحية السياسية فإن هناك من المؤرخين من يرى أحد أسباب اضمحلال مملكة الخزر وسقوطها على أيدي السلاجقة<sup>(٢)</sup>، إذ كانت لهم أدوارٌ أساسية في تمرد وانفصال الأقاليم المجاورة التي كانت تخضع لنفوذ مملكة الخزر وتدفع لها الضرائب والرسوم وتحمي تخومها من الغزوات والاعتداءات الخارجية، إلا أن آخرين يرفضون هذه الفكرة ويرون أن

---

(١) ابن العبري، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠، وبشور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٠.  
 (٢) إسكندر، فايز نجيب، استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية (آني) (٤٥٦ هـ - ١٠٩٤ م)، دار نوبار للطباعة، دار الفكر الجامعي للنشر، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٧. وفي هذا الصدد يروي إسكندر عن المؤرخ المسلم سبط بن الجوزي أنه في رمضان (٤٥٦ هـ) أن السلطان نظام الملك أوغل في بلاد الخزر وبلغ فيها مواضع لم تجر العادة ببلوغها، وفتح بلدًا عظيمًا، وقتل ما يزيد على ثلاثين ألفًا، وسبى نحو خمسين ألف مملوك، وغنم غنائم لا تحصى، وقد عاد منصورًا، ونزل بعدها إلى (آني) العاصمة الأرمينية... إلخ. ص ٩ - ١١.

السلاجقة لم يكونوا قوةً توازي قوة الروس لكي يكون لهم هذا الدور في إسقاط الإمبراطورية الخزرية، وإن السلاجقة عندما انفصلوا عن مملك الخزر اندفعوا نحو الشرق وفي بلاد ما وراء النهر، ثم في خراسان بعد ذلك أخذوا يتجهون نحو الغرب، وإن هذه التوسعات بلا شك تضعف من قوة السلاجقة المركزية، ولو كان لهم من القوة كما ذكر في خخله وإضعاف كيان الإمبراطورية الخزرية لأمكنهم من تأسيس كيان لهم في غرب بحر قزوين، ثم إن القوة الموجودة على الفولغا كانت كافية لمنع توسعهم في هذا الاتجاه<sup>(١)</sup>.



---

(١) ابن العديم، أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله زبدة الحلب، من تاريخ حلب، ج٣، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق ١٩٥١، ص ٢١١، وإسكندر، فايز نجيب (دكتور)، أرمينيا بين البيزنطيين والأتراك والسلاجقة في مصنف أريستاكييس اللسيثفرتي المطبعة العصرية، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص ١٠-١١، وحلمي، أحمد كمال الدين (دكتور) السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار السلاسل، الكويت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٦٧ - ٦٩.



## الفصل الثالث

### نهاية إمبراطورية الخزر

#### المبحث الأول: انحلال وسقوط الإمبراطورية الخزرية

##### الحروب الخزرية

- ١- الحرب الخزرية الروسية.
- ٢- الحرب الخزرية البيزنطية.
- ٣- التحالف البيزنطي الروسي ضد الخزر.
- ٤- الغزو المغولي لمملكة الخزر.

#### المبحث الثاني: يهود الخزر والشتات

- ١- يهود الخزر في أوروبا.
- ٢- يهود الخزر في المجر.
- ٣- يهود الخزر في بولندا وأدوارهم السياسية في تقسيمها.
- ٤- يهود الخزر في روسيا - تجمعات - هجرات.
- ٥- هجرة يهود الخزر إلى إنكلترا.
- ٦- الأدوار السياسية ليهود الخزر في فرنسا.
- ٧- الأدوار السياسية لليهود في الولايات المتحدة الأمريكية.

#### المبحث الثالث: يهود الخزر واغتصاب فلسطين.





## المبحث الأول

### انحلال وسقوط الإمبراطورية الخزرية

#### أولاً: الحرب الروسية الخزرية

بدأت بوادر انهيار الإمبراطورية الخزرية في المئة عام الأخيرة من حياتها، وتمثلت في فقدان الإمبراطورية أجزاء من أطرافها، إذ حدث في عام ٢٨٢هـ أن احتل الروس مدينة (كريف)؛ مما أدى إلى خروج الإمارات الغربية عن سيطرة الخرز عدا أجزاء من القرم، وصار سكان هذه الإمارات يرفضون دفع الأتوات إلى الخزر بمن فيهم القبائل السلافية (الصقلبية) التي تقطن حوض التدبير<sup>(١)</sup>.

وهناك نقطة مهمة نود الإشارة إليها، وهي أن قوة عسكرية من المسلمين كانت ضمن جيوش الخزر، وكانت هذه القوة بمثابة قوة ضاربة يستعين بها الخزر على تلافي الهجومات ومعالجتها حال تعرض أركان الإمبراطورية لاعتداء خارجي، وكان ما يقوم به هؤلاء المسلمون مقابلاً لإحداث علاقة طيبة يقيمها الخزر مع الأقاليم الجاورة لهم، والتي تمثل المناطق الشرقية الممتدة

(١) كسيتلر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٣ - ١١٤.

إلى أدنى الفولغا والأقاليم المطلة على بحر قزوين، والتي كانت تمثل أطراف الخلافة الإسلامية، وهي: (أذربيجان، جيلان، وشيروان، وطبارستان، وجورجان)، وكان الروس يعتدون على هذه الأقاليم، مما يسببون إحراجاً لحكام الخزر تدفعهم غالباً لخوض معارك دامية، فضلاً عن الأزمات السياسية التي تحدث بين الطرفين جراء ذلك، وتتمثل ممارسات الروس بالسلب والنهب وأسر عدد من المسلمين، ويصف لنا السعودي في مؤلفه (مروج الذهب) كيف كان الروس يصلون بسفنهم إلى مضائق بحر الخزر، وكيف كانوا يتجاوزون حدود الإذن الذي يحصلون عليه من الخزر للمرور بتجارتهم مقابل العشرة بالمئة التي يدفعونها كرسوم مقررة، وقد أشار السعودي إلى سرايا قراصنة هاجمت أقاليم جيلان وجورجان وطبرستان وأباسكون، وسفكوا دماء كثيرة، واستباحوا النساء، وأخذوا الغنائم الكثيرة بعد أن خربوا البلاد وأشعلوا الحرائق في كل الجهات، وبلغ بهم الأمر أنهم استباحوا مدينة أردبيل ونهبوها وقتلوا كثيراً من أهلها، إلا أن أهلها جمعوا إمكانياتهم ومقاتليهم وحاولوا طردهم، لكن معارك كبيرة استمرت بين الطرفين أدت إلى قتل وغرق آلاف المسلمين<sup>(١)</sup>.

وتقول المصادر التاريخية إن هناك تواطؤاً كان يقدمه ملك الخزر إلى الروس بخصوص تجاوزاتهم ضد الأقاليم

(١) السعودي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢.

الإسلامية، وهذا ما يذكره المسعودي بأن المسلمين الذين كانوا يشكلون قوة ضاربة داخل الإمبراطورية الخزرية أرادوا أن يثأروا لما فعله الروس بإخوانهم المسلمين، فطلبوا من ملك الخزر أن يصرح لهم بذلك فلم يستطع ردهم، إلا أنه بعث إلى الروس يخبرهم بما عزم عليه المسلمون، وقتل منهم أكثر من ثلاثين ألفاً، وهرب الباقون، إلا أنهم لم ينجوا من رجال البورتا والبلغاء فقتلوا جميعهم ولم ينج أحد، وكانت هذه سنة ٩١٢ م<sup>(١)</sup>.

ويذكر ابن فضلان الحادثة نفسها مشيراً إلى الخيانة والغدر الذي أبداه ملك الخزر من خلال شراكته السلبية مع القوة الإسلامية التي ساعدته مرات عديدة، في الخروج من مأزق كانت متمثلة بصد هجمات تعجز عنها جيوشه لولا مساعدة المسلمين؛ لاسيما التي تأتي من الأقاليم المجاورة للخزر، ولم تتكرر حادثة عام ٩١٢ م إلى أن قام الروس في عام ٩٤٣ م بغارتهم على بحر قزوين وبأسطول أكبر؛ إذ استطاعوا من خلالها أن يحتفظوا لهم بقاعدة عسكرية استقرت بها قواتهم مدة سنة كاملة، إلا أن الأذربيجانيين طردوهم من دون أن يكون للخزر دورٌ في ذلك سوى أعمال السلب والنهب التي قاموا بها عقب انكسار الروس<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

(٢) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧.

ويبدو أن ممارسات الروس وتعرضاتهم المستمرة ضد الخزر ومن عدّ من حلفائهم قد أصّلت عداً مستمراً دفع الطرفين إلى دخول حروب وحملات عسكرية مستمرة كان في قمتهما الحملة التي قادها الأمير (سفياتوسلاف) <sup>(١)</sup> سنة ٩٦٥م، إذ تروي الحولية الروسية: «إن سفياتوسلاف تحرك نحو الفولغا والأودكا، وعلم الخزر بقدومه فخرجوا إليه بقيادة الخاقان نفسه، والتقى الجيشان وهزم الخزر، واحتل سفياتوسلاف مدينة (بيلافيزا) التي تسمى القلعة البيضاء، وهو الاسم السلافي لقلعة (ساركل) الشهيرة على نهر الدون، وتعد هذه الحادثة بدايةً لانهايار الخزر، لكن الخزر بقي لديهم السيطرة على الطرق المؤدية إلى بحر قزوين <sup>(٢)</sup>.

ويقول توينبي إن الروس قد نجحوا في القضاء على إمبراطورية السهوب الخزرية، ولكن كان الإقليم الخزري الوحيد الذي كسبوه هو إقليم (تموتوركان) الواقع في شبه جزيرة تامان (المواجهة للقرم)، وكان هذا الكسب سريع الزوال، والواقع أن

(١) سفيا توسلاف أمير كييف وابن أجور القائد المشهور لدى الروس. كان مشهوراً بخفة حركته، ويذكر المؤرخون أنه قاد حملات كبيرة لبلاده، وأنه قضى معظم أيام حكمه بالحروب، وكان من صفاته التقشف في أثناء حملاته، فهو لا يصحب معه العربات أو الخيام أو أواني الطبخ، وكان يأكل مما يصطاد أو يحصل عليه في أثناء غزوه، ويروي أنه كان لا يباغت أعداءه بل يرسل إليهم «إني قادم إليكم». راجع: كيسلر،

مصدر سبق ذكره، ص ١١٧ - ١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٩.

الروس لم يحققوا فتوحات دائمة لصالح روسيا قبل منتصف القرن السادس عشر حين شملت فتوحاتهم نهر الفولغا حتى مصبه في بحر قزوين<sup>(١)</sup>.

وتتغير سياسة المنطقة تغيراً جذرياً عندما تسلم (فلادمير) الولاية عقب مقتل أبيه على يد البيزنطيين واستيلائه على مدينة (خرسون) التي كانت فيما قبل موطن صراع دائم بين الخزر والبيزنطيين، وبعد هذا الانتصار اتصل فلادمير مع إمبراطور بيزنطة قائلاً له: «لقد استوليت على مدينتكم الرائعة، وعلمت أن لكم شقيقة لم تتزوج بعد، فإذا لم تزوجها لي فإنني سوف أتصرف بمدينتكم التي أنتم فيها كما تصرفتم بمدينة خرسون»<sup>(٢)</sup>. ورد الإمبراطور عليه قائلاً: «إن عمّدت فستكون لك زوجة، وسوف ترث مملكة الرب، وسوف تكون لنا زميلاً في الدين».

وهكذا بدأ التغيير الكامل في روسيا نحو المسيحية بعد زواج فلادمير من الأميرة البيزنطية (آنا)، بل كان هذا انتصاراً مهماً لبيزنطة، إذ لم تكن المسيحية الدين الرسمي للحكام الروس فقط بل للشعب الروسي أيضاً، وصارت الكنيسة

(١) توينبي نقلاً عن كيسلر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩.

(٢) عبد اللطيف، محمد عبدالرحمن، وعبدالله، ليس لبنى إسرائيل، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١، ص ٧٧.

الروسية منذ عام ١٠٣٧م تابعة لنفوذ بطيريك بيزنطة، كما أن هذا الحدث قد ألقى التحالف البيزنطي الخزري وأحل مكانه تحالفاً بيزنطياً روسياً قام سنة ١٠١٦م بهجوم مشترك ضد الخزر، وبعد معارك دامية بين الطرفين كان النصر للقوى المتحالفة<sup>(١)</sup>، لكنها وإن سقطت بأيدي جيوشها مدن كبيرة من مدن الخزر إلا أنها لم تكن النهاية، إذ يروي المؤرخون أن الخزر في عام ١٠٣٠م استطاعوا أن يهزموا جيشاً غازياً قتلوا منه أكثر من عشرة آلاف مقاتل، كما أن الخزر استطاعوا فك أسير لهم في (تموتوراكان) من أيدي الروس فضلاً عن غارات لهم على مدن غرب كييف<sup>(٢)</sup>.

أما بنيامين فريدمان فإنه يتحدث عن دور روسيا في انحلال وسقوط مملكة الخزر فيقول: «منذ قيامها سنة ٨٢٠م وإمارة الروس البالغة الصغر منهمكة باستمرار في حروب مع معظم جاراتها القوية وعلى جميع حدودها على الرغم من ضآلة عدد السكان ومحدودية الموارد في إمارة الروس التي لا يمكن أن تشجعها على خوض أي حرب. وفي حروبها المتواصلة للاستيلاء على مزيدٍ من الأراضي، كان صدامها الرئيس مع جارتها الجنوبية الأكبر والغنية لكن المنقسمة التي تبلغ

(١) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٢) ابن الأثير، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥١، ودنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٣.

مساحتها (٨٠٠) ألف ميل مربع، وأعني بها مملكة الخزر، التي عُدت أعظم وأقوى دولة في أوروبا حتى القرن العاشر الميلادي، وقد هزمت إمارة الروس هذه المملكة من خلال غارات وحروب مواصلة قاتلها دون شفقة؛ من أجل الاستيلاء على أراضيها.

لقد استمرت هذه العلاقة قرونًا عدة من دون انقطاع، ومن ثمَّ وخلال ثلاثة قرون قضت إمارة الروس على مملكة الخزر مستولية على هذه المساحات الشاسعة، ليغيب كيان مملكة الخزر السياسي والعسكري من أجواء أوروبا بعد أن كانت دولة ذات سيادة مستقلة<sup>(١)</sup>.

ويصف لنا عبدالرحمن شاكرفي كتابه (دولة الخزر الجديدة) الأدوار المهمة التي أداها الروس في انهيار الخزر فيقول: «والذي قضى على دولة الخزر هم أمراء كريف الفرغانيون الذين جاؤوا من فرغانة غرب سيبيريا، وهو الأصل نفسه الذي جاء منه الخزر، وأولهم كان (روريك) الذي أقام بين قبائل الروس السلافية في عام ٨٥٥م، وكانت تلك هي بداية الدولة الروسية. وفي عام ٩٦٥م استولى أحد خلفائه وهو الأمير (سفياتوسلاف) على قلعة (ساركل) الخزرية في عام ٩٦٩م، واستولى على (إتل) عاصمة الخزر وعلى (سميندر) ثانية

(١) فريدمان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧ - ٣٨.

مدنهم الكبرى، بعد ذلك انسحبت دولة الخزر إلى شبه جزيرة القرم، ودامت فيها (٥٠) عاماً حتى استطاع (ستيلاف) أمير كييف أن يقضي عليها بالتحالف مع بيزنطة في عام ١٠١٦م، وقبل ذلك بأعوام قليلة كان سلفه (فلاديمير) «قد اعتنق الديانة المسيحية وأصبح لكييف، (وللس) من رعاياها مكانة أدبية، خاصة إذ يعدُّهم رعاة المسيحية ولاسيما بعد سقوط بيزنطة في أيدي العثمانيين»<sup>(١)</sup>.

ويقول (جون بيتي) في كتابه الصهيونية لعبتها أمريكا: «لقد هبط من التلال المنخفضة غرب موسكو جماعات من المحاربين استوطنوا البلاد، وعرفت بلادهم (بروسيا)، وعرفت ديانتهم بالمسيحية، وطائفتهم (بالأرذثوكسية).

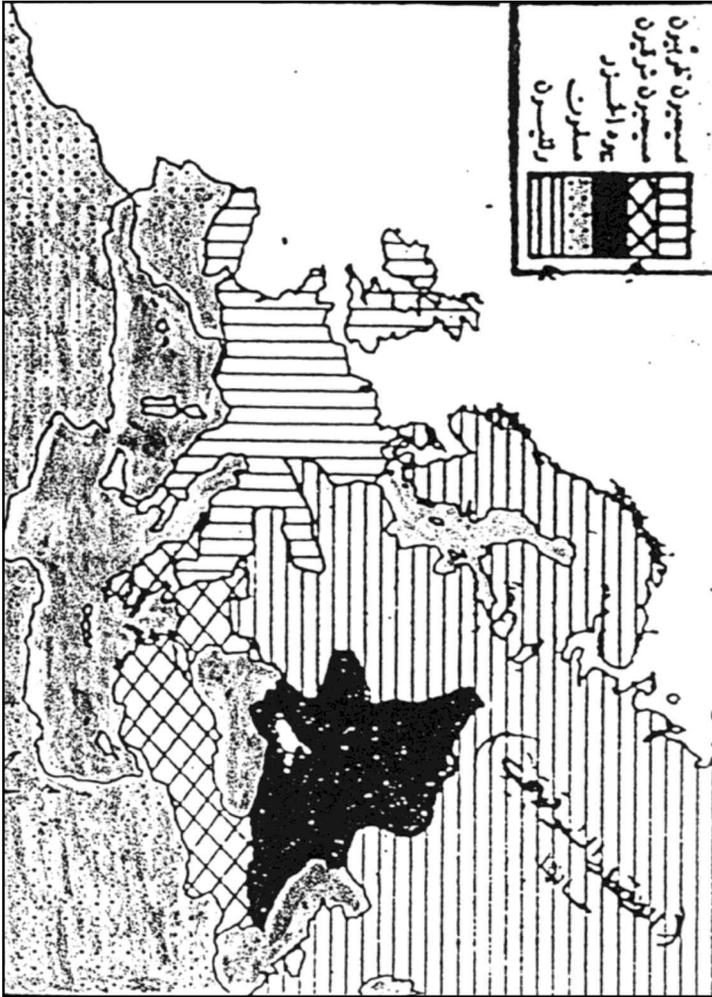
ومع أن لغتهم كانت تختلف عن اللغة السلافية إلا أن أصلها كان واحداً وعباراتها في كثير من المواضيع غالباً ما تكون متشابهة، واندمج (الروس) في الأهلين السلافيين، ونظموا البلاد تنظيمًا دوليًا، وجاهدوا لكي يوطدوا حدودهم ويوحدوها، وكانت تتصل بحدود الخزر على (كييف)، فجعلوها مركزاً تجارياً خطيراً ومدينة مرموقة تعيش فيها طبقة مستترة مثقفة، واشتبك السلافيون ولاسيما أولئك الذين كانوا يغيثون

(١) شاكور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥ - ٣٦.

في المنطقة المعروفة (بأوكرانيا) بحرب طويلة دائمة مع الخزر، وتمكنوا في سنة ١٠١٦م من سحق دولة الخزر وانتزاع مناطق شاسعة من بلادهم، وهكذا أخذت تلك البلاد الفسيحة التي احتلتها هذه القبائل تتقلص مع الأيام، وأخذت دول أخرى تتكون في هذه البقع المترامية لتوانيا وبولونيا ودوقية موسكو وسواها من البلدان السلافية، وشرع الخزر يهاجرون من ديارهم بعد تلك الأحداث<sup>(١)</sup>.

---

(١) بيتي، إسرائيل لعبتها أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ١٧ - ١٨.



خريطة منقولة عن دائرة المعارف اليهودية تبين التوزيع الديني في أوروبا عام ٩٠٠ ميلادية وفي وسطها تظهر إمبراطورية الخزر اليهودية، التي دامت ثلاثة قرون، وكانت كبرى دول اليهود في التاريخ ولا تمت بأية صلة عرقية إلى دولتي إسرائيل ويهوذا التاريخيتين على أرض فلسطين.

## ثانياً الحروب الخزرية البيزنطية :

لقد تباينت الأخبار عن علاقات الإمبراطورية الخزرية والإمبراطورية البيزنطية؛ إذ كانت تلك العلاقات خاضعة للظروف التي تعيشها كل منهما، لاسيما أن المصالح الموجودة في المنطقة تدفع أحياناً إلى علاقات ودية، وإلى علاقات سيئة أحياناً أخرى، فنرى أن (يوسف) ملك الخزر يذكر في رسالته للوزير حسداي بن شبروط - كما مرّ بنا في الفصل السابق - أنه يتبجح في مركزه ومركز إمبراطوريته بين جيرانه، ذاكراً أموالاً وهدايا ثمينة كان يرسلها الأباطرة البيزنطيون في بعض المواسم، ولو أنه كان يشير إليها في رسالته بأنها كانت تأتيه من باب استرضائه أو خوفاً من بطشه، إلا أنها بحسب ما تذكره الوثائق التاريخية أنها مجرد تبادل ودي كان يحصل بين ملوك الدول المجاورة<sup>(١)</sup>.

يقول آرثر كيستلر: «ولعب الخزر دوراً مهماً في السياسة الدولية، وحرص حكام الإمبراطورية الرومانية الشرقية على

---

(١) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤، كما يذكر دنلوب أن هناك أخباراً تتحدث عن حرب قام بها الخزر ضد البيزنطيين تحت قيادة بنيامين جد يوسف، وحرب ثانية تحت قيادة هارون والد يوسف، وقد قيل: إن الإمبراطور البيزنطي قد حرص اللان ضد الخزر، وفي ظل يوسف نفسه قام الخزر بمهاجمة الأراضي البيزنطية. المصدر نفسه، ص ١٢٢.

التحالف معهم طول المدة الممتدة من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلاديين، وكثيراً ما اشترك الخزر في الحروب ضد أعداء الإمبراطورية البيزنطية التي تدين لهم في كثير من الفضل في بقائها صامدة أمام الهجمات المتتالية التي شنها عليهم الفرس من جهة والعرب من جهة أخرى، ووقف الخزر سداً منيعاً حال دون زحف العرب نحو القوقاز أيام فتوحات الخلافة الأموية، ويقول بعض المؤرخين: لولا وجود الخزر في الإقليم الشمالي لطوق العرب بيزنطة»<sup>(١)</sup>، وقد ذكر الإمبراطور البيزنطي المؤرخ قسطنطين بورفير وجينيتوس ٩١٣ - ٩٥٩م أن الرسائل الموجهة من الروم إلى إمبراطور الخزر كانت تحمل خاتماً ذهبياً قيمته ثلاثة صولدادات، بينما الرسائل التي كانت توجه إلى غيره كانت تحمل خاتماً ذهبياً قيمته صولدان، ويعلق المؤرخ بيوري على ذلك فيقول: «وفي المدة التي نعالجها يحتمل أن خاقان الخزر لم يكن في نظر السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية أقل شأنًا من شارل العظيم وخلفائه»<sup>(٢)</sup>.

كما أن زواج الإمبراطور البيزنطي (قسطنطين الخامس) بأميرة خزرية ٧٣٢م والتي أصبح ابنها (ليو الرابع) الملقب ليو الخزري إمبراطوراً سنة ٧٧٥م له أثره في تاريخ العلاقات

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١.

بين الإمبراطوريتين، وتذكر المصادر قبل هذه الأحداث إرسال سفارة من الإمبراطور البيزنطي تيودوسيوس الثاني سنة ٤٤٨م إلى الخزر كان من بين أعضائها الدبلوماسي بريسكس، وكان هذا يأتي الإمبراطور بوصف دقيق للمفاوضات الدبلوماسية وما يحدث في بلاط الخزر من أمور تخص الإمبراطورية البيزنطية، ويذكر بريسكس أن الإمبراطور البيزنطي حاول أن يكسب إلى جانبه شعب الخزر لكنه لم يفلح في ذلك<sup>(١)</sup>.

من جانب آخر نرى أن الإمبراطور البيزنطي جيستينيان عندما عُزل من عرشه ونكّل به من قبل منافسيه لجأ إلى خاقان الخزر الذي رحب به وعقد معه حلفاً وزوجه شقيقته وأحسن ضيافته، ومنها أعدَّ جيستيان العدة لغزو بيزنطة واستعادة عرشه بمساعدة ملوك الخزر؛ إلا أن إمبراطور بيزنطة الجديد تبيريس قدم رشوة سخية لملك الخزر دفعه فيها إلى الغدر بضيفه؛ إلا أن جيستيان علم بما دُبّر له فهرب على ظهر سفينة عبر البحر الأسود إلى مصب نهر الدانوب واستطاع أن يعقد حلفاً جديداً مع قبيلة بلغارية قوية زودته بخمسة عشر ألف فارس استطاع أن يعيد بهم عرشه المسلوب، ثم إن جيستيان أراد أن ينتقم ممن أساؤوا له في منفاه فأرسل جيشاً دمر مدينة

(١) المصدر نفسه، ص ٣١.

خرسون، وقتل كثيراً من أبرز أهلها حرقاً وغرقاً، ثم أراد أن يعيد الكرة على المدينة نفسها ولكنه لم يفلح هذه المرة، إذ تصدى له جيش خزري قوي استطاع أن يستغل ضعف معنويات الروم، وأن يقنع قائدهم باردانيس بالانضمام إليهم والعودة إلى محاربة الروم، وفعلاً تم خلع جستينيان وانتخاب باردانيس إمبراطوراً، ولقب بالإمبراطور فيلبكس<sup>(١)</sup>، وهذه القصة تعطينا مدى البعد الذي كان عليه في أرجاء الإمبراطورية الرومانية الشرقية، فقد كان فيلبكس إمبراطوراً من صنع الخزر، وكانت نهاية حكم جستينيان على يد شقيق زوجته خاقان الخزر وفي هذا يقول دنلوب: «لا بد وأن هناك مبالغة في القول بأن خاقان الخزر كان في هذه المرحلة قادراً فعلاً أن يقدم حاكماً جديداً للإمبراطورية الرومية»<sup>(٢)</sup>.

من ناحية أخرى فإن الإمبراطورية البيزنطية كانت ترغب في السلام مع الخزر، يدفعها إلى ذلك موقعها الجغرافي بين الدينبر والقوقاز، واستمرت هذه السياسة من قبل الروم طوال ثلاثة قرون، إلا أن التغيرات السياسية التي طرأت على الساحة الروسية والتقارب الروسي البيزنطي ودخول الروس حكاماً وشعوباً في الديانة المسيحية، أدى كل هذا إلى تغيير واضح في

(١) وليام، لانجر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨٣.

(٢) دنلوب، نقلاً عن المصدر نفسه، ص ٣٩.

العلاقات الخزرية الروسية؛ لا سيما عندما بدأ النحول يدب في جسد المملكة الخزرية، وفقدان الخزر لأطراف عديدة من المملكة كانت لها الأهمية في وارداتها المالية المتمثلة في دفع الضرائب والرسوم الجمركية، كما أن للسلاجقة دوراً كبيراً في إضعاف إمبراطور الخزر.

### ثالثاً: التحالف البيزنطي الروسي ضد الخزر

قبل أن نتحدث عن الدور الذي أداه التحالف الروسي البيزنطي لا بد أن نذكر طبيعة العلاقات الروسية البيزنطية.

لقد تناوبت العلاقات البيزنطية الروسية بين حروب وغزوات ومعاهدات صداقة وسلم؛ ففي عام ٨٦٠م أوشك الروس على الاستيلاء على القسطنطينية مستغلين حرب الإمبراطور (ميخائيل الثالث) مع العرب، فقد هاجم الروس بأسطول ضخم مكون من مئتي سفينة بعد دخوله الفوسفور، وتعرض للمدن والضواحي القائمة على شاطئيه، ونهب ما فيها واحتل جزيرة الأمراء، إلا أن البطريك (فوتياس) استطاع أن يجمع الناس حوله ويعمل على تقهقر وإرجاع الروس، وفي سنة ٩٤١م هاجم الأمير الروسي أيجور البيزنطيين بأسطول ضخم قام رجاله بأسر عدد من الناس، حيث قتل بعضهم وجعلوا من بعضهم الآخر أهدافاً لسهامهم، واعتقلوا آخرين وقيدوهم ودقوا المسامير في رؤوسهم،

كما أشعلوا النيران في كثير من الكنائس والأديرة، لكن الأسطول البيزنطي استطاع أن يهزمهم في النهاية بأساليب متتالية لم يألفها الروس من قبل؛ إذ هاجم أسطولهم البحري بنيران كانت تتدفق من أنابيب في مقدمة السفن، مما جعل الروس يلقون بأنفسهم إلى البحر خلاصاً من هذه النيران<sup>(١)</sup>.

لكننا نرى أن بعد كل معركة أو غزوة بين الطرفين تحدث معاهدة صلح، فبعد حرب ٨٦٠م حصلت معاهدة صلح في عام ٨٦١م، وبعد حرب عام ٩٤١م، وحرب ٩٤٤م حدثت معاهدة سنة ٩٤٥م، كما حدثت حرب ٩٦٩-٩٧٩م، نرى أن معاهدة صلح حدثت في عام ٩٧١م، أما سبب عدم استقامة هذه المعاهدات فإن المؤرخين لا يجدون ما يبررون نقض هذه المعاهدات؛ بل إن العلاقات تصل إلى أبعد من معاهدات الصلح؛ فبعد سنوات قليلة من حرب ٨٦٠م نرى أن الروس أرسلوا سفراء إلى القسطنطينية، وبمثل ذلك فإن أقاليم روسية كثيرة قد وصلتها بعثات دبلوماسية من البيزنطيين، وكان الهدف من ذلك كله إصلاح ذات البين بين الطرفين وإطلاق الأسرى. وإن طمع الروم في جلب حكام الروس وشعوبهم إلى اعتناق المسيحية كان دافعاً قوياً يدفع الروم إلى هذه المعاهدات، وقد تطورت

(١) توينبي، نقلاً عن كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٠.

العلاقات السلمية بين الطرفين إلى أن حدث تجنيد سبع مئة بحار أسكندفاني في الأسطول البيزنطي، وذلك عام ٩٠٢م، ثم حدث تطور في العلاقات وهو تزويد الإمبراطور البيزنطي بالجنود الروس عند الطلب، وفعلاً كان هناك أيام الإمبراطور قسطنطين أي في منتصف القرن العاشر أساطيل روسية تجوب البوسفور تحمل على ظهرها أعداداً كبيرة من الجند يلبون طلبات الحماية للبيزنطيين<sup>(١)</sup>، كما ازدهرت التجارة بين الطرفين، وصار للحملات التبشيرية البيزنطية الحرية والتبشير في الأقاليم الروسية، كما أن معاهدة قد أبرمت بين الإمبراطور البيزنطي ليو وحاكم كييف أولج، وأقسم فيها الطرفان على احترام بنودها، وهو دخول الأميرة (أولغا) أرملة الأمير أيجور المسيحية، فتغيرت العلاقة نحو الأفضل، وأصبحت الهدايا والوفود تتبادل بين الطرفين.

لكن ابن الأميرة أولغا (سفياتوسلاف) ارتد إلى الوثنية، ورفض التزامات أمه مع الروم، وجمع حشداً كبيراً من الجند وهاجم البيزنطيين سنة ٩٨٨م، وعلى إثر ذلك تنازل البيزنطيون عن ميناء خرسون للروس كمبادرة حسن نية للسلام، وكانت حملة سفياتوسلاف كغيرها من الحملات تعقبها معاهدات الصلح والسلام.

(١) كيسلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧ - ١٠٨.

لكن الذي حدث أخيراً يمكننا أن نسميه انتصاراً دبلوماسياً للبيزنطيين عندما تزوج فلاديمير الحاكم الروسي من الأميرة البيزنطية (آنا) واعتناقه المسيحية، وجعل الكنيسة الروسية تابعة لنفوذ بطريك القسطنطينية، وولد هذا الحدث تحالفاً روسياً بيزنطياً نتجت عنه حملة عسكرية قام بها التحالف الجديد عام ١٠١٦م ضد مملكة الخزر، اشتملت الحملة على أسطول بيزنطي يعاونه جيش من الروس، استطاعا أن يهزموا الخزر ويبعدوا جيوشهم، كما يذكر المؤرخ البيزنطي (سيد رينوس) الغزوة التي اشترك فيها الروس والبيزنطيون ضد الخزر والتي فقدت على أثرها خازاريا قوتها وعظمتها بين دول المنطقة وغاب ذكرها<sup>(١)</sup>، وأصبحت الأقاليم المجاورة للقوتين المتحالفتين خاضعة لهيمنة الروم والروس وتدفع لهم الضرائب وأتاوات، وصارت الأقاليم السلافية والمدن الواقعة على نهر الدنيبر تابعة للروس، وكذلك الأقاليم الممتدة إلى أدنى نهر الفولغا وحول بحر قزوين، وبذلك تختفي إمبراطورية أدت دوراً سياسياً وعسكرياً مهماً في قرون عدة من دون أن تترك أثراً من آثار تلك الأدوار يمكن أن تعيد على أطلاله قوام الإمبراطورية مرة ثانية<sup>(٢)</sup>.

(١) الشمالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥ - ٣٠.

(٢) كيسلتر، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٨، ودنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٥ - ٢٣٥.

## رابعاً: الغزو المغولي للخزر

«نشأ المغول في هضبة منغوليا شمالي صحراء جوبي، وهي أراضٍ واسعة تتقدم المياه في بعض جهاتها وتكون حاجزاً منيعاً بين الأقاليم الصينية الحارة وبين الأراضي الباردة في سيبيريا، وقد جعلت الظروف الجغرافية من هذا الإقليم جدياً، حيث تمتنع الرياح الدافئة عن هذا الإقليم بفعل الجبال المحيطة به، وفي الشتاء يصير المناخ شديد البرودة، فنتج عن ذلك ندرة الزراعة في غالبية تلك الأراضي، وهذا ما دفع السكان إلى الحياة الرعوية والجري وراء الرزق، وصارت حياتهم حياة التنقل وعدم الاستقرار، وعفت نفوسهم عن الزراعة؛ ولذلك فحياتهم المفضلة في الجبال طالما وُجد فيها العشب، فإذا انعدم العشب هجروا الجبال، ولكنهم لم يأنفوا معنى الحضارة، وكثيراً ما لجؤوا إلى التنافس والمشاحنة على الأراضي العشبية، لكن ذلك لم يمنع تكاتف قبائل المغول التي امتازت حياتها بالخشونة والعنف، وامتد طموحها نحو السيطرة على ما في يد الصينيين المجاورين لهم في الجنوب، وإزاء تلك الظروف اتجه الصينيون إلى بناء السور العظيم لوقف غارات المغول»<sup>(١)</sup>.

---

(١) السيد، محمود (دكتور)، التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر،

ولم يظهر نفوذ قبائل المغول إلا بعد أن استطاع (جنكيز خان)<sup>(١)</sup> أن يجمع شمل قبائل قومه التي كانت تقطن شرق آسيا، وبأساليب الذكية تربيع على عرش المغول، واتخذ مدينة (قره قورم) عاصمة لدولته، ثم راح يُهذب قبائل التتر المجاورة لدولته في جيش قد أعده لذلك يصل تعداده إلى عشرة آلاف مقاتل، ولم يكن خطر لجنكيز خان أن يهدد جيرانه من قبائل التتر وحسب، بل أصبح يهدد أطراف الدولة الإسلامية في غرب آسيا.

كما أن حروباً كثيرة قامت بين المغول وجيرانهم الخوارزميين، وقد تقارب الطرفان بعد عقد معاهدة صداقة وعلاقات تجارية تخللتها الوفود والهدايا المتبادلة؛ إلا أن حادثة (قتل الوفد المغولي)<sup>(٢)</sup> من الخوارزميين أدى إلى تدهور العلاقة،

(١) كان يُعرف باسم تيموجين، أي الصلب المتين، تعلم في صباه إجادة الصيد والسباق والمصارعة وشطف العيش، وتفوق على أقرانه برجاحة العقل والمهارة، وامتاز في رسم الخطط وتدبير الأمور والانفراد بفكرة خطيرة خلاصتها بأن الحياة للقوي وحده لا للضعيف، وأصبحت هذه نظرية يختص بها، توفي والده الذي كان شيخ القبيلة نتيجة سم دسه له أحد أعدائه، مما دفع بأفراد القبيلة أن ينفضوا عن تيموجيين وعائلته، وانتخبوا زعيماً آخر عليهم، حيث قال أحدهم في الاجتماع: «لا حاجة للقوم إلى امرأة ضعيفة وأطفال مساكين». وكان هذا القول الشرارة الأولى التي أشعلت جذوة النشاط عند تيموجين، فجمع أنصاره وتمكن من جمع قبائل المغول تحت زعامته، ولقب جنكيز خان؛ أي (أعظم الحكام) سنة (٦٠٣ هـ - ١٢٠٦م)، راجع: المصدر نفسه، ص ٥ - ٦٠، وحطيط، أحمد (دكتور) حروب المغول، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص ٤٠ - ٤٥.

(٢) أرسل المغول وفداً إلى الخوارزميين يتكون من عدد كبير من المفاوضين لأجل حل بعض الخلافات، إلا أن وشاية بهم قد وصلت إلى السلطان علاء الدين اتهمتهم =

وعزم جنكيز خان على محاربة الخوارزميين والانتقام منهم، وفعلاً تم ذلك في عام ٦١٥هـ - ١٢١٨م، إذ استولى جنكيز خان على الأراضي الواقعة بين نهري جيحون وسيحون، وكذلك جزر بحر قزوين وأذربيجان وجورجيا وبلاد ما وراء النهر، ثم استولى على بخارى وسمرقند، ليحول دون وصول إمدادات الخوارزميين إلى المدن المحاصرة شرق نهر جيحون، ولم تكن تلك الحملات التي كان يقوم بها المغول والتي كانت تطول هذه الأقاليم المذكورة حملات مخططاً لها مسبقاً، إنما كانت حملات مطاردة لجيوش السلطان علاء الدين خوارزم وملاحقته من إقليم إلى إقليم، ومن مدينة إلى أخرى، وكانت جيوش المغول تقوم بتجنيد أهالي تلك المدن الواقعة تحت سيطرتهم وتسويقهم للقتال قصراً مع جيوش المغول، وبذلك أصبحت لدى المغول أعداد كبيرة جداً من المقاتلين يصعب على الآخرين ردها والسيطرة عليها.

وقد طالبت تلك الجيوش المغولية الدولة الخزرية، كما طالبت غيرها من الممالك والأقاليم، لاسيما وأن الخزر قد فقدوا قوتهم أمام الروس سنة (٩٦٥م)، ولو أنهم ظلوا وقتاً ليس قليلاً يحاولون إعادة ما ذهب من هيبتهم خلال القرن الثالث عشر، محتفظين بحدود أضيق ببعض الاستقلال، ومتمسكين

---

= بالتجسس، وتقدير قوة السكان لغرض الإغارة واحتلال البلاد، فأقدم السلطان علاء الدين على قتلهم جميعاً، وإرسال خبرهم إلى جنكيز خان. راجع: حطيط مصدر سبق، ذكره ص ٤٣.

بيهوديتهم وممارسات طقوسها، وفي ذلك يقول (بارون): «وبوجه عام ثابرت مملكة الخزر المصغرة على البقاء، ودافعت دفاعاً فعالاً تقريباً ضد جميع أعدائها حتى منتصف القرن الثالث عشر حين سقطت فريسة لغارات المغول العاصفة التي شنّها جنكيز خان، وجدير بالذكر أنها قاومت مقاومة عنيفة إلى أن استسلم جميع جيرانها، وامتصت حشود (القبيلة الذهبية - Golden Horde) جزءاً كبيراً من سكانها، إلا أن الخزر كانوا قد أرسلوا قبل الزحف المغولي فروغاً لهم من سلالتهم في البلاد السلافية التي لم تخضع للمغول وهذا مما ساعدهم في النهاية على إقامة تجمعات يهودية ومراكز كبيرة في شرق أوروبا»<sup>(١)</sup>.

ويقول جون بيتي: «وهكذا أخذت تلك البلاد الفسيحة تتقلص مع الأيام، وأخذت دول أخرى تتكون في هذه البقع المترامية كلتوانيا وبولونيا ودوقية موسكو وسواها من البلاد السلافية، وشرع الخزر بها جرون من بلادهم، الأمر الذي عجل هجرتهم الغزو المغولي تحت قيادة (جنكيز خان) الذي سيطر على البلاد بأكملها، وانتشر اليهود الخزر في نواح متعددة من غربي روسيا والبلدان الأوروبية الأخرى»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ويلز، هـ. ج، معالم تاريخ الإنسانية، ج٢، تعريب: عبدالعزيز توفيق جاويد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٥٩٨ - ٥٩٩.

(٢) جون بيتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧-١٨.

ويقول كيستلر: «وكان لنشوء إمبراطورية جديدة بدوية امتدت من المجر إلى الصين أثر كبير على اختفاء مملكة الخزر لاسيما وهي في أيامها الأخيرة؛ نتيجة ما طرأ عليها من عوامل الانحلال، وذلك بعد ظهور التحالف الروسي البيزنطي، وانضمام روسيا إلى العالم المسيحي، وفقدان دولة الخزر أهم الأقاليم التي كانت خاضعة لها وتمدها بواردات الضرائب والجمارك وتحمي تخومها من الغارات والحروب الخارجية»<sup>(١)</sup>.

كذلك يذكر لنا عبدالرحمن شاكر في كتابه دولة الخزر الجديدة: «إلا أن المغول وحسبما يصفه المؤرخون اليهود كانوا متسامحين مع أبناء مملكة الخزر؛ إذ لم يتعرضوا لعقائدهم الدينية، مما ساعد هؤلاء اليهود على أن يحافظوا على معتقداتهم الدينية من خلال ممارسة الشعائر والتجمعات الطائفية بين الشعوب المسيحية»<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد نصر شمالي في قوله: «ويمكننا القول إن اجتياح جحافل المغول لأواسط آسيا وغربها الذي سبب انهيار تشكيلات سياسية واجتماعية بدائية أمثال يهود الخزر كان له الأثر الكبير في تدفق أبناء هذه التشكيلات المنهارة إلى الدول المجاورة وإحداث مستجدات تمثلت بالتجمعات العرقية والسياسية والدينية.

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١.

(٢) عبد الرحمن شاكر، مصدر سبق ذكره، ص ٤١.

وهذا ما حدث فعلاً في دول أوروبا عندما انهارت مملكة الخزر اليهودية؛ إذ هاجر اليهود الخزر بعد تدمير تجمعاتهم على أيدي المغول نحو مناطق الانتعاش الاقتصادي الجديد في أوروبا الوسطى والشمالية، وتربعوا على طريق المدن التجارية في بولونيا وشرق ألمانيا وروسيا ودول البلطيق وفنلندا<sup>(١)</sup>.



---

(١) نصر شمالي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨.

## المبحث الثاني

### يهود الخزر والشتات

#### أولاً: الخزر في أوروبا

لقد عرفت أوروبا موجة من المهاجرين اليهود لم يسبق لها مثيل من قبل، وهذه الموجة قدمت إلى أوروبا الشرقية إبان انهيار دولة الخزر اليهودية وإعفاء ذكرها عقب الحروب والاحتياجات المغولية، وكان على هؤلاء اليهود المشردين أن يبحثوا لهم عن بلاد تلم شتاتهم وتجمع شملهم؛ لذلك رأيناهم يقصدون أماكن الانتعاش الاقتصادي في أوروبا الوسطى والشمالية وجزءاً من أوروبا الشرقية مثل بولونيا وشرق ألمانيا ودول البلطيق وقلندة، تاركين وراءهم أسطورة إمبراطورية ظهرت طوال قرون عديدة ثم انهارت من دون أن تترك أي أثر، وكان نصيب المدن الأوربية الرئيسية تجمع هؤلاء اليهود في مراكزها، يقول آرثر كيسلر: «بدأت مناطق أوروبا الوسطى والشرقية التي كفلت لمهاجري خزر اليهود وطناً جديداً وأمناً معلناً تكتسب أهمية سياسية نحو نهاية الألف الأولى من الميلاد فقط»<sup>(١)</sup>.

(١) كيسلر مصدر سبق ذكره ص ١٣٢.

لقد أصبحت هناك روابط سياسية بين هذه البلدان الأوروبية حال وصول هؤلاء اليهود المهاجرين إليها، وسنرى في هذا المبحث كيف أن اليهود أدوا هذا الدور السياسي من خلال تجمعاتهم العنصرية هناك<sup>(١)</sup>.

يقول نصر شمالي في كتابه ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية: «لا يعنينا هنا الأصل العرقي لليهود، وقد عرفنا أن بضع مئات من الآلاف وربما أقل من ذلك بكثير هاجرت من سواحل بحر قزوين إلى أوروبا الشرقية في القرن الحادي عشر، وأن هجرة أخرى تمت بعد مئات السنين في أواخر القرن الخامس عشر كانت أقل عددًا من الأولى بكثير أيضًا، وقدمت من إسبانيا لتستقر في أوروبا الغربية. لقد تحققت كل من الهجرتين قسرًا وفي ظل تحولات تاريخية خطيرة عظمى، ولم تكن تلك التحولات تتناول اليهود تحديدًا وإنما هي تناولتهم ضمناً.

لقد انتزع اليهود في كلا الهجرتين من مواطنهم الأصلية انتزاعًا، واقتلعوا من وسطهم الطبيعي، الثقا في والاقتصادي، وقد حمل المهاجرون الخزريون معهم إلى أوروبا الشرقية تجربتهم الطويلة في التماس والتعامل مع النظام الإسلامي؛ إذ كانوا يعيشون على تخومه، وهؤلاء قد أصبحوا يُدعون فيما بعد

(١) زعرور، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧.

## بالأشكنازيم، وحمل المهاجرون الأندلسيون<sup>(١)</sup> معهم إلى أوروبا

(١) في عام (١٤٩٢ م) استلم الملك فرديناند وزوجته أزييلا حكم إسبانيا حين انتهى الحكم الإسلامي فيها، وكان الملك فرديناند وزوجته كاثوليكين شديدي التعصب، يجملان وجهتي نظر عن اليهود بسبب سيدنا عيسى عليه السلام، فضلاً عن ذلك تجد أن قيام اليهود بمحاولات التغلغل في مجتمعات وحريم ومصارف الشعب الإسباني، بقصد التخريب قد زاد من غيظ الملك والملكة، وزيادة إلى ذلك قيام اليهود بتفسير الفلسفة اليونانية، مدعين بأنها قطعة من الشريعة اليهودية، قاصدين بذلك نشر أحكام الثورة تحت هذا الشعار؛ مما جعل الملك فرديناند يعمل على تصير اليهود للتخلص من أفكارهم هذه، ووضع نهاية لأفكارهم وحركتهم الهدامة ضد المسيحية تحت قناع العلم والفلسفة، وقد تنصر بعضهم ظاهراً، وفي الوقت نفسه قام الملك بطرد أكثرهم من ثلث مئة ألف يهودي من إسبانيا؛ وذلك في ٢ آب ١٤٩٢، وكان مراد الثاني على كرسي السلطنة العثمانية، إذ استجاب لطلب تقدم به حاخامات يهود أوروبا يستعطفونه في السماح لليهود إسبانيا المطرودين باللجوء إلى الدولة العثمانية، وفعلاً تم لليهود ذلك عندما وافق بايزيد الثاني دون قيد أو شرط أن يرسل له قسماً منهم إلى جزيرة سافز ليعيشوا بحرية تامة، كذلك عندما فتح السلطان سليمان القانوني جزيرة رودس عام ١٥٢٢م أتى اليهود الذين استقروا في جزيرة سافز إلى رودس ومنحهم امتياز معدن الكبريت في (أينجرلي) ليصبح هؤلاء أهل الثراء والمال بعد أن عاشوا حياة البؤس والفاقة في مناطقهم السابقة.

ثم بعد وصول الأتراك العثمانيون إلى بودابست سنة ١٥٢٥ واقترام الجيش العثماني المجر سنة ١٦٧٤ وجد الأتراك أمامهم جماعات من اليهود تعيش في الفقر والفاقة والأوضاع الرديئة، فحملوهم إلى المدن الرئيسية في الدولة العثمانية كالقسطنطينية وأدرنة وأزمير وسلانيك وبلوانه وغيرها، وبالتالي فقد سيطر هؤلاء على مفاصل الاقتصاد في الدولة العثمانية، وتدخلوا في مجتمعات وحرم السلطنة بعد أن تمتعوا بقدر من الاستقلال الذاتي والرفاهية التامة التي تمكنهم من الحصول على مناصب مهمة في المراكز الحساسة، بل وصل الأمر إلى زواج السلطان سليم الثاني من اليهودية (نورباتو)، وهكذا كانت نهاية الخلافة الإسلامية في تركيا علي يد اليهود... راجع: النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧ - ٢٨. وللمزيد من التفاصيل راجع: النعيمي، أحمد نوري، الدور السياسي لليهود الدونمة في تركيا، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس، ٢٠٠١، ص ١١ - ٢٠.

الغربية خبرتهم الإسلامية العميقة في المجالات كافة؛ إذ كانوا جزءاً لا يتجزأ ولا يتميز في النظام الإسلامي.

وهؤلاء هم من أصبحوا يدعون فيما بعد بالسفارديم، وقد كان كلاهما الخزريون والأندلسيون متفوقين في وظائفهم الاقتصادية والثقافية والدينية على الأوربيين في الغرب والشرق، ولم يكن ذلك التفوق في جوهره سوى شكل بسيط من أشكال تفوق النظام الإسلامي في طوره العالمي، وقد رأينا كيف استوطن اليهود في أوروبا على خطوط مواصلات اتحاد المدن التجارية الأوربية، وما كان لهم بالطبع أن يفعلوا غير ذلك، نجد أن مثل هذا الاستيطان لا يعني شيئاً في إطار النظام الإسلامي المتقدم، لكنه كان يعني الكثير فيما يخص التشكيلات الاجتماعية المتخلفة في أوروبا الإقطاعية، ومن هنا بدأت المسألة اليهودية بالظهور في تلك المناطق بعد أن تلاشت تماماً خلال ثمان مئة عام تقريباً في معظم مناطق العالم المتحضر<sup>(١)</sup>.

تقول المصادر التاريخية إن اليهود السلافين بصورة عامة وكذلك يهود هنغاريا يعودون في أصولهم التاريخية إلى ليهود الخزر، وكان هؤلاء قد أسسوا في العصور الوسطى ما يعرف بالمجتمع اليهودي الشرقي الذي كان يشكل غالبية يهود العالم،

(١) نصر شمالي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١ - ١٢٢.

أما يهود بولونيا فغالبيتهم من الإشكينايزم الذين هاجروا من ألمانيا إلى بولونيا بعد سلسلة أعمال الاضطهاد التي رافقت انتشار الطاعون الأسود عام ١٣٤٩م، والتي تلت ذلك، يقول إسحاق دويتشر: إن يهود أوروبا الشرقية بصورة عامة ويهود روسيا بصورة خاصة، خلافاً لليهود أوروبا الغربية لم يندمجوا خلال القرن التاسع عشر في مجتمعاتهم، لقد عاش الملايين في شرقي أوروبا جماعات منفصلة يرتدون ملابس مميزة، ويتكلمون لغتهم الخاصة، ويطورون ثقافتهم وأدبهم، وبقيت البديشية لغتهم<sup>(١)</sup>، ويتابع دويتشر: ولم يكن انغزالهم هذا

---

(١) لغة اليبديش (Yidish) هي اللغة العامية لمعظم اليهود الأشكنازيم في وسط وشرقي أوروبا، وكانت منذ عام (١٨٠٠) م منتشرة من هولندا حتى أوكرانيا، ومن لاتفيا حتى رومانيا، بينما أهملت هذه اللغة في ألمانيا وهولندا في القرن التاسع عشر، وحملها المهاجرون إلى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وفلسطين وباقي القارات. وفي عام ١٩٣٩ كان تعداد الناطقين بها أحد عشر مليوناً، تناقص عددهم جداً بعدما قتل النازيون من ثلاثة إلى ستة ملايين يهودي في أوروبا، واليبديش خليط لغوي منذ بدايتها في القرن التاسع وخلال ألف سنة من وجودها، فيها العبري وجرمانية القرون الوسطى ولاتيني وأرامي وسلافي، وتكتب بالحرف العبري، وهي في طريقها إلى الاندثار. في دول أوروبا الشرقية دخلت كلمات من اللغات السلافية وتأثر الصرف والنحو والهجعة منذ القرن الرابع عشر. وقد تسربت الكلمات الألمانية إلى اليبديش من المناطق الشرقية من ألمانيا (النمسا وبافاريا) المجاورة للحزام السلافي لأوروبا الشرقية لغة القرن الخامس عشر وهذه اللغة عدة لهجات متقاربة الغربية والوسطى والشمالية والشرقية والجنوبية الشرقية حسب التوزيع الجغرافي لليهود في أوروبا، ولم تبرز لهجة خاصة في الولايات المتحدة، لكنها تأثرت بالإنكليزية، وفي نهاية القرن الثامن عشر كانت اليبديش تركز على اللهجات الغربية، بينما تحولت في القرن التاسع عشر إلى اللهجات الشرقية. راجع: بشور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦١ - ١٦٢.

بتأثير من الصهيونية، فقد ظلت الأغلبية العظمى منهم حتى نهاية الحرب العالمية الثانية معارضة للصهيونية، ومع هذا فإننا نجد يهود أوروبا الشرقية -وبحكم الظروف التي خلفتها الحرب العالمية- كانوا هم قوام الدولة الصهيونية في فلسطين فيما بعد، والتي وصفت بأنها (مستعمرة روحية ليهود أوروبا الشرقية)، وظلت أوروبا الشرقية إلى وقت قريب، وعلى وجه التحديد إلى ما قبيل الحرب العالمية الثانية أحد أكبر مراكز الجماعات اليهودية في العالم، وقد أسهمت ظروف نشأة الاتجاهات الفاشية في ألمانيا، وخضوع دول أوروبا الشرقية للسيطرة النازية في تشييت وتقليص حجم الجماعات إلى حد بعيد، وقد كان ظهور التيارات المناهضة لليهودية في ألمانيا وأوروبا الشرقية بمثابة الفرصة الذهبية التي استغلتها الصهيونية لتوجيه جانب كبير من سبل الهجرة إلى فلسطين تحت الانتداب، أولاً ثم إلى (دولة إسرائيل) بعد عام ١٩٤٨، كذلك استغلت المنظمات الصهيونية عطف الرأي العام الأوربي على اليهود نتيجة المحنة التي تعرضوا لها في أيام السيطرة النازية على أوروبا، ومساعدة الحكومات الغربية وخاصة حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة<sup>(١)</sup> لتوجيه

(١) يقول وليام شيرر: لم يكتف النازيون من حرمان اليهود من كماليات الحياة وطرائفها، بل حرموهم أيضاً من ضروراتها، فكان اليهودي يجد من الصعوبة بمكان العثور على الطعام عن طريق الشراء، فهناك على أبواب حوانيت البقالة وبيع اللحوم ومحلات الألبان لافتات كتب عليها: «يمنع دخول اليهود»، وقد استحال على اليهود أيضاً الحصول على الحليب لتغذية أطفالهم، كما أن الصيدليات كانت تمنع عليهم =

أكبر عدد ممكن من يهود أوروبا الشرقية ومن اليهود الذين تم ترحيلهم من معسكرات الاعتقال النازية إلى أرض فلسطين. والغريب أن حكومات أوروبا الشرقية حتى بعد دخولها في النظام الاشتراكي تركت باب الهجرة أمام مواطنيها اليهود

= بيع الدواء، وكانت الفنادق ترفض مبيتهم فيها، وحيثما ذهبوا كانوا يجدون لافتات مؤلفة تحمل عبارات مثل: «يمنع على اليهود منعاً باتاً دخول هذه المدينة» أو مثل: «إذا دخل اليهود هذا المكان فعليهم أن يتحملوا مسؤولية هذه المجازفة»، وارتفعت لوحة عند منعطف حاد وخطر على مقربة من لودفيغر هافن تقول: «قد سيارتك بعناية! منعطف حاد وخطر، أما اليهود فعليهم السير بسرعة ٧٥ ميل في الساعة».

لقد سن هتلر قوانين صارمة ضد اليهود أحالتهم إلى مرتبة (الرعايا) لا المواطنين، وحظرت التزاوج بين اليهود والأريين، والعلاقات غير الزوجية معهم، كما شرع قانوناً يعد اليهود أناساً لا شرعية لوجودهم كلياً، وحرّموا من الوظائف العامة والخاصة والعمل في الصحافة والإذاعة والزراعة والتعليم، كما أخرجوا من أسواق البورصة، ومنعوا من ممارسة المحاماة والطب والتجارة. راجع بذلك: شيرر وليام، تاريخ ألمانيا الهتلرية، تعريب: خيرى حماد، منشورات مكتبة المثني، بغداد، ط٢، ١٩٦٦، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

يرد على هذا الرأي أدولف هتلر قائلاً: «اكتشفت مع الأيام أن ما من فضل مغاير للأخلاق، وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد، واستطعت أن أقيس مدى تأثير الشعب المختار في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته، بتتبعي نشاطه في الصحف وفي ميادين الفنون والآداب والتمثيل، فقد امتد أخطبوط اليهود إلى هذه الميادين جميعاً، وفرض سيطرته عليها ووسمها بطابعة... وعجل في بلورة موقفي من اليهود تكالبهم على جمع المال، وسلوك معظمهم السبل الملتوية لبلوغ هذه الغاية، وترويجهم سوق الدعارة، وفي الإتجار بالرقيق الأبيض، وهذا الدور الذي يؤديه أبطاله مهارة لم ينتبه إلى خطورته الشعب الألماني إلا في الحرب العالمية الكبرى. أما أنا فقد سرت القشعريرة في جسدي عندما اكتشفت أن اليهودي هذا المخلوق الوديع هو الذي يستثمر البغاء السري والعلني، ويجعل منه تجارة رابحة...». راجع: هتلر، أدولف، كفاحي، دار بيروت، ص ١٩ - ٢٠ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١٢.

مفتوحًا، وقاد ذلك إلى تصفية جاليات يهودية بأكملها تقريبًا في أوروبا الشرقية مثل: بلغاريا ويوغوسلافيا، وإلى انخفاض عدد هذه الطوائف بصورة صارخة في بلدان مثل: بولونيا ورومانيا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا، وكان استمرار تدفق الهجرة اليهودية يتم بمفاوضات رسمية بين المنظمات الصهيونية وحكومات هذه الدول<sup>(١)</sup>.

### ثانيًا: يهود الخزر في المجر

وقد ذكرنا قبل قليل أن يهود الخزر كانت لهم محطات بشرية في الدول الأوروبية والدول المجاورة لمملكتهم شغلت أدوارًا أشبه ما تكون بالسفارات أو البعثات الدبلوماسية، ومن جهة أخرى كان حكام بعض الدول المجاورة يستفيدون من وجود الجاليات اليهودية الخزرية في بلادهم، فقد حدث في القرن العاشر الميلادي أن الدوق المجري (تاكسوني) قد دعا إليه عددًا من اليهود الخزر للاستيطان في مقاطعته، ونرى أن هؤلاء بعد مدة تقرب من المئتي سنة قد تركوا أثرًا واضحًا يتمثل في أعداد كبيرة من الجنود في الجيش المجري، وقد أدى هؤلاء دورًا جوهريًا في السياسة الداخلية للمجر، وأصبحوا فيما بعد يتمتعون بثقل اجتماعي وسياسي بالوقت نفسه.

---

(١) ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري البصري، (ت ٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م)، تاريخ خليفة بن خياط، حققه: سهيل زكار، مطابع دار وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٧ ص ٤٢٦.

ونرى أن القديس (ستيفن) الذي ترك اليهودية واعتنق الكاثوليكية فيما بعد كان يهودياً خزرياً، كما أن نفوذاً لا يستهان به قد امتد في عنعنات السلطة وفي البلاط الملكي المجري، مما حدا بالملك (أندريه الثاني) سنة ١٢٢٢م أن يصدر أمراً ملكياً ينص فيه بعدم الجواز لليهود أن يعملوا رؤساء في دار سك النقود أو جباة ضرائب أو مراقبين للاحتكار أو ما يشبه ذلك من الوظائف، وهذا الأمر يدل لنا على أن اليهود كانوا يشغلون وظائف كثيرة في الدولة، والواقع أنهم شغلوا مناصب أعلى من تلك بكثير؛ فقد كان أمين إرادات الملك يهودياً خزري الأصل؛ هو الكونت (تيكا)، وكان ثرياً امتلك أراض كثيرة في الدولة، وقد جعلته عبقريته وذكاءه أن يكون مسؤولاً عن العديد من معاهدات الصلح والاتفاقات المالية بين المجر والنمسا، وكان دوره أشبه بدور اليهودي الإسباني حسداي بن شبروط في بلاط خليفة قرطبة، ويذكر أنه احتفظ في منصبه هذا إحدى عشرة سنة بعد صدور أمر الملك بمنع اشتغال اليهود في المناصب الحساسة؛ إلا أن الضغط البابوي على الملك اضطره إلى أن يطلب منه الاستقالة والرحيل إلى النمسا.

وهكذا فإن الوجود اليهودي الخزري في المجر له خاصيتهم إذ كان للعلاقة القديمة بين الخزر والمجريين أثر كبير في ذلك، وإن إرسال الخزر فروعهم إلى المجر أيام زهو مملكتهم

كانت نتائجه إنقاذ مستقبل الجماعات اليهودية المشتتة على أيدي المغول<sup>(١)</sup>.

إن الأصل الخزري لليهود المجر ثابت وثائقياً، وإن الأعداد المهاجرة إلى المجر من اليهود انطلقت من السهوب الأوراسية نحو الغرب، أي نحو أوروبا الوسطى والشرقية، وقد قاموا بتأسيس مستعمرات ومستوطنات خزرية في أماكن مختلفة من المجر، وقد سموا الكثير من الأحياء والمستعمرات التي أقاموها بأسماء خزرية، وكما فعلوا ذلك في الأماكن الأخرى من روسيا وأوكرانيا وجنوب روسيا، وطبقاً لما جاء في مقال عنوانه (إحصاءات) في دائرة المعارف اليهودية فقد بلغ المجموع الكلي لليهود في العالم أجمع في القرن السادس عشر نحو مليون نسمة، وهذا فيما يدل طبقاً لما يراه بولياك وكوتشيرا وغيرهما أن غالبية من أعلنوا اعتناقهم لليهودية في العصور الوسطى كانوا من الخزر الذين رحلوا إلى المجر وبولندا ولتوانيا والبلقان، وأسسوا ذلك المجتمع الشرقي الذي أصبح بدوره الغالبية المسيطرة من يهود العالم.

وهناك أسباب أخرى تعزو الدور القيادي في نمو وتطور المجتمع اليهودي في البلدان التي هاجر إليها اليهود عقب انهيار إمبراطورية الخزر أيام انتعاش حالتهم السياسية، وكانت هذه

(١) كيسلتر، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٠ - ١٤٣.

القواعد بمثابة بؤر تجمعية اهتمت بجميع شؤونهم ورتبت لهم الأوضاع التي يحتاج لها عند فقدانهم للكيان الخزري، مما أهلتهم هذه الترتيبات المقدمة إلى إشغالهم مناصب ممتازة استطاعوا احتكارها والسيطرة عليها نتيجة خبرتهم الماضية في حياتهم التجارية الداخلية والخارجية.

وكتب بولياك يقول: «بعد الفتح المغولي هامت القرى السلافية نحو الغرب، وانتقلت معها المدن الخزرية»، ويحتمل أن رواد المستوطنات المجرية كانوا من الأغنياء الخزر، فعبروا بولندا سالكين الطرق التجارية المألوفة نحو المجر، وهذه الطريقة فتحت الطريق للمهاجرين أن يجعلوا بولندا منطقة عبور بين بلادهم الأصلية والمجر، فضلاً عن كونهم مُلمين بأحوال المناطق التي كانوا يجوبونها؛ مما أتاح لهم الاتصال بأصحاب الأراضي الذين يبحثون عن مستأجرين<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: يهود الخزر في بولندا و أدوارهم السياسية

تعود التجمعات اليهودية في بولونيا إلى أصول خزرية اعتنقت الديانة اليهودية في بداية ازدهار إمبراطورية الخزر في القرن الثامن الميلادي، ثم أخذوا بالانتشار شمالاً بعد انهيار الإمبراطورية في القرن الثاني عشر، وقد امتازت هذه

(١) العاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣ - ١٠٦.

الجماعات اليهودية بأنها احتلت وظيفة اجتماعية محدودة هي الوظيفة التجارية التي وضعتها في مرتبة اجتماعية متميزة في حقبة تاريخية معينة، وحالت دون ذوبانها في المجتمعات التي تقيم فيها، والتي تختلف عنها اختلافاً طبقياً كبيراً، وتؤكد الوثائق المتوافرة لدى المؤرخين هذه الوظيفة للجماعات اليهودية المتدفقة على المجتمعات الإقطاعية الأوروبية الشرقية؛ إذ عُثر مثلاً على نقود بولونية تحمل حروفاً عبرية يعود تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، كما يُشار إلى وثيقة تعود إلى 1113م جاء فيها أن سكان مدينة كييف الروسية يتأهبون لنهب قصور وأموال الأمراء اليهود، وبأن الفلاحين في إحدى المدن قد شهروا عام 1431م السلاح مطالبين بتسليم اليهود؛ «لأنهم أفقروهم وجردوهم من ثيابهم الأخيرة»<sup>(١)</sup>.

ويُشار إلى أن مواقع هؤلاء التجار تعززت في الأراضي البولونية بفضل الحماية والرعاية التي منحها الأمراء البولونيون للتجار بشكل عام، وامتاز هذا بظهور الطبقة الاجتماعية المتميزة عن الفلاحين والأقنان في كل مفاصل الحياة، مما ساعد هؤلاء التجار إلى بلوغ الثراء الفاحش والسيطرة التامة على اقتصاد وتجارة المقاطعات البولونية، ولم يكتفِ الأمراء البولونيون بهذه

(١) ججاي، سلامة، اليهود السوفييت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مطبعة جامعة

الرعاية لليهود؛ فقد راحوا يحثون الروس على السماح للتجار اليهود بدخول موسكو، وذلك أن القياصرة الروس منعوا دخول هؤلاء التجار إلى أراضيهم، وكانوا يحرقون البضائع التي كان يحملها التجار القادمون إلى موسكو عند أبواب المدينة، إذ إنهم وجدوا في التجار اليهود من يحمل بذور الثقافة الغربية التي يكرهونها في مجتمعهم السلافي المتزمت والتمسك بالمشهد الأرثوذكسي، فقد بعث إيفان الرهيب قيصر روسيا في عام ١٥٥م رسالةً يرد بها على ملك بولونيا قائلاً: «ليس من الملائم السماح لليهود بالمجيء ببضائعهم إلى روسيا نظراً إلى ما ينجم عن ذلك من شرور؛ فهم يأتون بالأعشاب السامة (الأدوية) إلى أراضيها، ويغرون الروس بعيداً عن المسيحية؛ لذلك أرجو من ملك بولونيا ألا يكتب إلينا بهذا الشأن ثانية».

وكان عدد هؤلاء اليهود خلال القرنين الثاني والثالث عشر لم يتجاوز بضعة آلاف، ولما كانت الأراضي الروسية مغلقة في وجوههم فقد قفز عدد اليهود في بولونيا إلى خمس مئة ألف شخص، ويعزي سبب هذا الارتفاع إلى طبيعة ازدهار الأوضاع الاقتصادية، وتوسع الأعمال التجارية، ودعم السلطة البولونية التي منحتهم حق تشكيل مجلس سمي (الكحال) لإدارة شؤونهم الخاصة، كما تعهدت الدولة بوضع قواها العميقة تحت تصرفهم في الحالات الموجبة، ويوصف ذلك العصر بالعصر

الذهبي لليهود، زيادة على ذلك فقد استطاع هؤلاء التجار اليهود الاستيلاء على أملاك الاقطاعيين بطرائقهم المالية المعروفة من تراكم الديون والفوائد، وفوق هذا كله فقد عُيِّن رجل الأعمال اليهودي يوسفوفيتش أميناً لخزينة الدولة ووكيلاً لأملاك العائلة المالكة. إلا أن معالم التدهور في أوضاع اليهود الاقتصادية قد بدت في أواخر القرن السادس عشر؛ وذلك نتيجة اشتداد المنافسة بين البرجوازية اليهودية والبرجوازية البولونية الأصل، كذلك ازدياد عدد اليهود، مما دفع السلطة إلى محاولة حماية هؤلاء من الانهيار، فقسمتهم إلى فئتين: الفئة الأولى المرتبطة بالملك والمكونة من كبار التجار، والفئة الثانية من صغار التجار وجباة الضرائب وأصحاب الخمرات والصناعيين؛ مما سبب ذلك في نشوب الكثير من النزاعات التي أفضت إلى عزل اليهود في أماكن سكنية خاصة، نشأ من خلال ذلك بعض أشكال (الغيتو) اليهودي<sup>(١)</sup>.

---

(١) الغيتو أو الجيتو هو الحي الذي يفرض على اليهود أن يعيشوا فيه داخل مدينة سكانها من غير اليهود، وكان الجيتو ابتداءً من النصف الثاني للقرن السادس عشر فصاعداً الشامل الجامع لليهود في أي بقعة في العالم المسيحي وفي معظم العالم الإسلامي، وكان الجيتو محاطاً بأسوار لها بوابات تغلق ليلاً، الأمر الذي سبب لقاطنيه مرض الخوف من العيش في الأماكن المغلقة، والتفكير الضيق، ولكنه خلق أيضاً جواً من الأمن في أوقات الشغب، ونظراً لتمدد توسع مساحة الجيتو فإن السكان يعيشون فيه بأحوال صحية سيئة. راجع: كيسلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٥١.

وقد تطورت أوضاع اليهود إلى أن مُنع التجار اليهود من الإقامة في المدن الكبيرة؛ نتيجة للاحتجاجات المطالبة بوضع حد لتجاوزاتهم، زيادة على ما يلاقيه اليهود العاملون في خدمة الإقطاعيين من الاضطهاد والتكيل، وتردت أوضاع الإمبراطورية البولونية وتفاقت النقمة والتذمر، وتشكلت تنظيمات تهاجم مواقع اليهود رافعين شعار: «علقوا البولوني واليهودي والكل على الشجر»، وتردت أحوال اليهود في ذلك الوقت، وأخذت بالانحدار التدريجي نحو الفقر، وظهر الشحاذون والعاطلون في صفوف اليهود، وانتشرت الأمية وحلت القبالة<sup>(١)</sup> محل التلمود، وفقد الكحال سيطرته على جموع اليهود، وترافق ذلك مع أوضاع الإمبراطورية البولونية عامة إلى أن استطاعت السلطة القيصرية الروسية من استعادة بعض الأراضي الخاضعة

---

(١) القبالة معناها في اللغة القبول والتلقي للرواية الشفوية، وفي هذا المجال عرف (لويس غنزبرغ) أستاذ التلمود في المدرسة اللاهوتية في نيويورك (القبالة) بأنها مصطلح يراد به التعليم الباطني المتعلق بالله والكائنات، ونزل هذا وحياً على أكرم القديسين في الزمن القديم، واحتفظ به عدد قليل من الأخيار، وكانت القبالة في مراحلها الأولى تدعى (الحكمة المستورة)، وأطلق على دارسيها (طلاب النعمة)، وقال هـ. فلمان في كتابه تاريخ اليهود من أقدم الأزمنة إلى العصر الحديث: «القبالة سر فوق الأسرار ادعت القدم والوحي والرواية عن الأوائل والقبائل، كانت قائمة على عدم التتجيم السحري، تعاطاه كثيرون فسموا الحكماء، وجعلوا هذا المعنى يتضمن المعنى الباطني لتفسير الناموس، والأنبياء درسوا التلمود ثم اجتازوه إلى تعاليم أعلى وأبعد، كأن كتابهم (الأشراف) والزهور دستورهم المقدس، والقبالة السرية تبدو على طول المدى. راجع: النعمي، أحمد نوري (دكتور) يهود الدونمة. دراسة في الأصول والعقائد والمواقف، دار النشر للتوزيع والنشر بغداد، ١٩٩٥ ص ١٧.

للإمبراطورية البولونية التي تضم عددًا كبيرًا من اليهود الذين يقيمون فيها، وعلى الرغم من كرههم لهؤلاء فقد سُمح لهم بالبقاء فيها، ويعتقد أن هؤلاء هم الذين شكلوا ما عرف فيما بعد (بمجموعة يهود موسكو).

يقول كيستلر في كتابه القبيلة الثالثة عشرة: «في عام ٩٦٢م ألقت عدة قبائل سلافية حلفًا تحت قيادة أقواها وهي قبيلة (البولان) التي أصبحت نواة الدولة البولونية، وهكذا كان بزوغ نجم بولندا متزامنًا مع تدهور دولة الخزر، ومما لا شك فيه أن اليهود يؤدون دورًا مهمًا في إحدى الأساطير البولندية القديمة التي لها علاقة بتأسيس المملكة، إذ تروي لنا الأسطورة انتخاب (اليهودي إبراهيم بروكوفنيك) ملكًا لها، وهذا كان تاجرًا خزرًا، وهذه الحالة تدل لنا على ترحيب البولنديين بهجرة يهود الخزر إليهم بعددٍهم قوةً اقتصاديةً هم بحاجة إليها؛ شأنهم شأن الأكان والأرمن والسلاف الجنوبيين الذين رحبت بهم المملكة من أجل بناء الحضارة والمدينة الجديدة. ثم إن المملكة اتخذت إجراءات مشجعة لجذب المهاجرين إليها ومن ضمنهم يهود الخزر؛ وذلك بإصدار البراءة الملكية التي تحفظ للمهاجر حق الاستيطان والاحتفاظ بحقوقه وامتلاك الأراضي والعمل في أي حرفة.

كما يحق للجالية اليهودية بناء المعابد والمدارس والمحاكم الخاصة بهم بل إن برلماناً خاصاً باليهود قد قرر لهم وكان يحتفظ بسلطة الضرائب وفرضها على أقرانهم في الدين. وقد وصل نفوذ اليهود في البلاد إلى تعالٍ مستمرٍ يدل على كتاب أرسله البابا (كلمنت الرابع) إلى أمير بولندي يذكر فيه أن روما تعلم تماماً بوجود عدد كبير من المعابد اليهودية في المدن البولونية، ويعلن البابا أسفه من طبيعة وفخامة هذه المعابد التي تبدو الكنائس هزيلة بجوارها<sup>(١)</sup>.

وتكشف المصادر التاريخية البولندية عن الأدوار الاقتصادية التي شغلها اليهود في تلك الحقبة لما كانوا يمتلكونه من القدرة والإمكانيات الخاصة بالتجارة الخارجية والداخلية، فقد كان أكثر المرابين ورؤساء دوائر سك العملة منهم، فضلاً عن مديري الدخل الملكي وأصحاب المصارف وجباة الضرائب؛ بل إن هناك أسماءً يهودية كانت تُكتب أحياناً على العملة، ولم تقتصر نشاطات اليهود على التجارة؛ بل أصبحوا يمتلكون الأراضي الواسعة، إذ صاروا يملكون قرىً بأكملها، أخذت تتوسع ليسكن فيها اليهود بشكل جماعي يمارسون فيها الزراعة وغيرها من الحرف، ومن الأعمال التي اقتص اليهود بها إدارة الطواحين والفندقة وتجارة الفراء<sup>(٢)</sup>.

(١) كيسنر، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) كيسنر، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨ - ١٥٠.

أما الأوضاع الاجتماعية لدى اليهود فإنها غالباً ما تتغير بالاتجاه المعاكس لطموحاتهم؛ وذلك بأن سلوك الجماعات اليهودية في أماكن عملهم تعكس عليهم نمط السكان الأصليين أو الحكومات، فتتغلب الظروف الاجتماعية على اليهود كما حصل في قيام الإقطاع في القرن الرابع عشر في بولندا الذي تسبب في نقل فلاحي بولندا شيئاً فشيئاً إلى رقيق لا يجوز لهم ترك قراهم وليست لهم حرية الحركة، فضلاً عن إصدار البرلمان البولندي قراراً يمنع اليهود حيازة أرض زراعية. أما أصحاب المهن الأخرى من اليهود فلم تستقم لهم المدن لتستقر فيها أعمالهم؛ لذا نراهم يتجهون إلى الحرف الشعبية كصناع العجلات والصاغة والخياطين وجزاري اللحم والخبازين، كذلك كان هناك كاتبو الرسائل للأمين والرواة المتجولين، كما احتكر بعض اليهود بعض الأنواع من التجارة مثل: تجارة الخشب وتجارة العربات.

أما عن مستقبل اليهود وأدوارهم السياسية التي أدتها تجمعاتهم في بولندا فيذكر لنا المسيري في الموسوعة اليهودية أنه كانت الجماعة اليهودية في بولندا وحدة أساسية تستمد وجودها داخل التشكيل السياسي الحضاري البولندي، إلا أنهم كانوا جماعة وظيفية وسيطة تتطلع في وظائف المال والتجارة وبمهن وحرف معينة، والجماعات الوظيفية عادة ما تحتفظ بعزلتها

وسماتها الإثنية (التي أحضرتها معها من موطنها الأصلي) حتى تتمكن من الاضطلاع بوظيفتها في المجتمع التي وفدت إليه، وكان يهود شرق أوروبا يتحدثون الأيديشية في وسط يتحدث إما البولندية وإما الأوكرانية، ويرتدون أزياء مميزة، ويؤمنون باليهودية في وسط يؤمن بالمسيحية، وقد عاشوا في مدن صغيرة وفرت لهم تربة يهودية يديشية معزولة نسبياً عن عالم الأغيار، لكن عقيدتهم اليهودية نفسها بدأت تدخلها عناصر صوفية بتأثير القبالة (بتأثير المسيحية الأرثوذكسية الشعبية والهرطقات الدينية المختلفة التي وجدوها بين الفلاحين السولافيين)، ومما يجدر ذكره أن المستوى المعيشي لليهود اليديشية كان مرتفعاً قياساً لعامة الشعب من الفلاحين والأقتان.

وتعرض تماسك اليهود اليديشية لعدة هجمات وضربات خلخلت وضع الجماعة اليهودية، وكان أعظمها تقسيم بولندا الذي أنهى وجودها السياسي في عام (١٧٩٥م)، وبتقسيمها بين الإمبراطورية الروسية والإمبراطورية النمساوية وألمانيا (بروسيا)، وقد ضمت روسيا أكبر الأراضي التي كان يسكنها أكبر عدد من اليهود أيضاً. وقد كانت حكومات البلاد الثلاثة التي اقتسمت بولندا وسكانها اليهود، ويحكمها حكام مطلقون مستثمرون وهم (فردريك الثاني - روسيا) و(جوزيف الثاني - النمسا) و(كاترين الثانية - روسيا)، فتبنت هذه الحكومات

مقياس مدى نفع اليهود وإمكانية إصلاحهم وتقليل عزلتهم، فتم تقسيمهم إلى نافعين وغير نافعين، وكان الهدف إصلاح اليهود وزيادة عدد النافعين وطرد الضارين منهم أو منع زيادتهم، وبهذا تلقى يهود البيديشية هذه الضربات في مرحلة كانت اليهودية تمر فيها بأخطر أزماتها؛ إذ ظهرت الحركات الفرانكية والحسيدية التي تحدت سلطة مؤسسات اليهود الحاخامية، وتولدت الصراعات الحادة بين تلك الحركات؛ مما أدى إلى تفاقم الأوضاع وتدهورها نحو الأسوأ، ومما زاد في ذلك سوءاً الانفجار السكاني الذي حدث بين اليهود؛ إذ زاد عددهم آنذاك على ستة أضعاف أو أكثر؛ مما أدى إلى تداعي وحدة اليهود وخصوصيتهم واختفاء لغتهم البيديشية واندماج تلك الجماعات اليهودية في مجتمعات أخرى؛ مما اضطرت أعداداً كبيرة من اليهود إلى الهجرة إلى أوروبا وألمانيا وفرنسا وإنكلترا وإلى الأرجنتين وكندا وإلى جنوب إفريقيا، ثم إلى الولايات المتحدة التي كانت لها الحصص الكبيرة في استقبال الجماعات اليهودية. وقد أدت هذه الهجرات إلى حدوث رد فعل عنصرية في ألمانيا وفرنسا وإنكلترا؛ الأمر الذي أدى إلى طرح الفكرة الصهيونية في إنكلترا ثم بقية دول غرب أوروبا.

وعلى الرغم من توافر فرص العمل للمهاجرين من اليهود في معظم البلاد التي هاجروا إليها إلا أن ذلك لا يعني

اندماجهم وانسجامهم مع المجتمعات المضيفة لهم؛ لما يمتازون به من أساليب غريبة عن المجتمعات وتصرفات تُحدث في المدن التي يعيشونها أزمات اجتماعية واقتصادية وربما سياسية؛ لذلك فإن ردود الفعل العنصري ضد هؤلاء المهاجرين قد تنامي كثيرًا، وولد الأزمات المتتالية للجاليات اليهودية، مما أدى إلى فكرة تجميع اليهود في وطن قومي ينوون به عن المجتمعات الكبيرة التي أصبحت ترفضهم وتضيق عليهم سبل العيش<sup>(١)</sup>.

أما في الولايات المتحدة التي لجأ إليها الملايين فكانت توجد أمام المهاجرين من اليهود مجالات العمل أوسع من غيرها؛ لذلك لم تحدث توترات اجتماعية كما حدثت في باقي الدول<sup>(٢)</sup>؛

---

(١) المسيري، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٣.

(٢) «كان أول اتصال رسمي بين الطوائف اليهودية وحكومة أمريكية في عام ١٧٩٠ بعد عام واحد من انتخاب جورج واشنطن رئيسًا للجمهورية الجديدة؛ ففي أغسطس عام ١٧٩٠ وفي أثناء زيارة قام بها واشنطن إلى نيويورك بولاية رود إيلندر كتب الرئيس خطابًا لأعضاء المعبد اليهودي بالولاية متميزًا بالدفء والفضاحة، وحتى يومنا هذا لا زال خطاب واشنطن يُدرس في المدارس الدينية كمنهج تأسيس لحرية يهود الولايات المتحدة.

قال واشنطن في خطابه: «إن حكمة الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تفرض العقوبات على المتتصبين لديهم، والتي لا تساعد على استمرار الاضطهاد، وتطلب من هؤلاء الذين يعيشون تحت حمايتها أن يكونوا مواطنين صالحين يتمتعون بتأييدها ودعمها في كل الظروف، وقد أرسى هذا الخطاب النغمة الأساسية لطبيعة العلاقات المستقبلية بين خطابًا لليهود في أمريكا. وربما كان واشنطن أول رئيس دولة غربي يوجه خطابًا لليهود باعتبارهم مواطنين أحرارًا ومتساوين مع الآخرين.. وقد أثر هذا الخطاب على حياة يهود أمريكا بطرق عديدة، حيث لم يكن هذا الخطاب الرصيد الذي أرسله واشنطن لليهود، وإنما واحد من ثلاثة خطابات أرسلها لليهود =

مما ساعد اليهود على الاندماج في المجتمعات الأمريكية، ومهد لهم تأسيس الجمعيات والحركات المبنية على أصول العقيدة اليهودية مثل: (حركة التنوير)، و(اليهودية الإصلاحية)، و(علم اليهودية)، و(الحركة الصهيونية)، وبما أن قادة و زعماء هذه الحركات كانوا في البداية من أصول ألمانية إلا أن هذه القيادة والزعامة انتقلت بأيدي اليهود الذين قدموا من أوروبا الشرقية ووسطها.

يقول عبد الوهاب المسيري: «أدى الغزو التتري إلى تدمير بولندا تماماً في عام ١٢٤١م، كما قام اللتوانيون والوثيون بالغارة عليها، وفقدت بولندا كثيراً من أراضيها، لكنها استعادت وحدتها مع مطلع القرن الثالث عشر، ولدى استعادة حكمها ودستورها استطاعت أن تجمع مدنها التي ضمت الأرثوذكس واليهود والأرمن والتتر والمسلمين، وتطورت بولندا إلى أربعة أضعاف حجمها عندما اتحدت مع لتوانيا، وجدير بالذكر أن اليهود كانت لهم ملامحهم في بولندا منذ القرن التاسع الميلادي،

---

= أمريكا في ذلك العام. والسبب في ذلك هو السياسة الكلاسيكية لليهود، حيث بعد وقت قصير من انتخاب واشنطن في إبريل ١٧٩٠ قرر رؤساء المعابد اليهودية الأمريكية وعددها خمسة أن يبعثوا خطاب تهنئة للرئيس، وهو امر تتبعه الكنائس الأمريكية، ولكن اليهود قضوا عاماً ونصف العام يتجادلون حول نقطة واحدة وهي من الذي سيوقع الخطاب؟ وانتهى الأمر بأن يبعثوا بثلاث رسائل منفصلة». راجع بذلك: جوناثان جولد بيرج، قوة اليهود في أمريكا، ترجمة: نهال الشريف، دار الهلال، بلا مكان طبع، ١٩٩٧، ص ٩٧ - ٩٨.

ويذهب آرثر كيستر إلى أن هؤلاء اليهود هم من الخزر، وكانوا يمارسون التجارة، وقد ازداد عددهم بشكل كبير بعد الغزوات المغولية التي أدت إلى سقوط الخزر ودولتهم، واستغل اليهود تشجيع السلطات البولندية في إعمار البلاد؛ فكان نشاطهم في ذلك ظاهر في التجارة والمراباة؛ فضلاً عن قدوم جماعات يهودية من أوروبا الغربية بسبب تدني حالة المعيشة هناك، مما دفع بالسلطات البولندية إلى إصدار ميثاق لتنظيم الأحوال القانونية لليهود وتحديد مجالات أعمالهم وتنظيم علاقات مع المجتمع المسيحي<sup>(١)</sup>.

كما أن هذا الميثاق توسع ليعطي لليهود حقوقاً أوسع وينظم شؤونهم التجارية والضريبية، ونص كذلك على إعفائهم من الخدمة العسكرية مقابل رسوم يدفعونها أو أن يزودوا الجنود بالمؤن أيام الحروب، ولما كانت السلطة على اليهود بيد الملك حصراً فإن ذلك قد أعطى لليهود حظاً وافراً للتقرب من البلاط الملكي من جهة وعدم تأثير السلطات التنفيذية عليهم من جهة أخرى، إذ كان الملك هو (قاضي اليهود) حصراً، فكانت لهم الفرصة الذهبية بامتلاك الأراضي الزراعية والضياع، وسيطروا على التجارة الداخلية والخارجية ومنابع المال، وكانت الوظائف المهمة كالضرائب والرسوم تحت تصرفهم، كما أن

(١) بيتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

الإقراض بالربا كان من أهم وظائفهم إلى أن تحولوا إلى كتلة قوية في المجتمع البولندي لها تأثيرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حيث أثروا مباشرة على مناحي الحياة لدى الشعب البولندي الذي حاول بدوره تحجيم هذا النشاط اليهودي مستعيناً بالحكومة التي قامت بدورها بالتدخل في عملية توسيع بناء المدن اليهودية، وجعل الكنسية بمنأى عن هذه الممارسات، فقد طالبت بعزل اليهود عن المجتمع المسيحي، وحدثت بعض الممارسات ضد التجار اليهود تمثلت بهجمات على أحيائهم السكنية، ومحالهم التجارية.

وفي هذه المدة ظهرت طبقة النبلاء البولنديين التي استطاعت السيطرة على الحياة السياسية، وقد ارتبط بها اليهود ارتباطاً كاملاً؛ ولأن اليهود كان ارتباطهم بالطبقة الحاكمة فإن علاقتهم بالنبلاء غالباً ما تتسم بالعدائية، لاسيما أن هناك أكثر ستين منظمة أو جماعة يهودية في بولندا، وهؤلاء الجماعات قد تحسن وضعهم أيام اعتلاء الملك (ألكسندر) عرش بولندا الذي دعا إلى التعددية والتسامح من خلال تشريعاته، وكان أعضاء الجماعات اليهودية يعتمدون اعتماداً كاملاً على الملك، ويحصلون منه على الامتيازات والحماية؛ مما أدى إلى توتر العلاقات بين اليهود والكنيسة مرة أخرى، وبعد وفاة الملك ألكسندر وتحول بولندا إلى جمهورية ملكية يُنتخبُ

فيها الملك انتخاباً ضمن برلمان يضم النبلاء كافة، صارت أمور البلاد الاقتصادية والإقطاعية بيد النبلاء، مما ساعد على ظهور الملكيات المطلقة في أوروبا التي أسست حكومات مركزية قوية تعد نواة الدولة القومية الحديثة، وهذه الحكومات اهتمت بالتجارة المحلية والدولية وشجعتها فيما يُعد تعبيراً عن الثورة التجارية التي خرجت من رحمها حركات الاكتشاف والاستعمار من إسبانيا والبرتغال، ثم إنكلترا وهولندا وفرنسا، الأمر الذي حوّل طريق التجارة، وجعل الدول الأطلسية مراكز للتجارة العالمية، وقد أدى ذلك إلى اضمحلال المدن البولندية في بادئ الأمر ثم إلى اضمحلال بولندا نفسها.

وازدادت الدول المحيطة ببولندا قوة في تلك الحقبة أيضاً، كما كانت هناك السويد والإمبراطورية النمساوية التي كان لها أطماع في الأراضي البولندية، ولكن بزوغ نجم روسيا من ناحية وتعاضم القوة الروسية من ناحية أخرى، كانا العنصر الحاسم في مسار التاريخ البولندي، إذ إن التفكك الذي أصاب بولندا كان يقابله تزايد في تماسك الكتل السياسية المحيطة وتعاضم قوتها؛ لذا لم يكن من الغريب أن يتم تقسيم بولندا في أواخر القرن الثامن عشر وأن تختفي تماماً كيئناً سياسياً مستقلاً خلال القرن التاسع عشر كله.

وتستمر الأوضاع في بولندا مرة لصالح الجماعات اليهودية، وأخرى عكس ذلك؛ والسبب الذي توضح لنا من خلال دراسة الأوضاع العامه للدولة والخاصة لليهود هو أن الحكومات البولندية عندما يصل بها الحال إلى الضعف تلجأ إلى معونة أصحاب المال في بناء مؤسساتها وفي دعم البنية التحتية للبلد، ولما كان أصحاب المال من اليهود فمما لاشك فيه أن تصرفاتهم وممارساتهم ستكون وفقاً للطبع اليهودي المعروف الذي سبق أن توضح لنا من خلال الصفحات أنفة الذكر.

إن أصحاب المال اليهود لن يتخلوا عن الطرائق الملتوية والأساليب الربوية الجشعة التي لم تلبث أن تستولي على الأماكن الاقتصادية الحساسة وخطوط التجارة الداخلية والخارجية؛ مما يسبب سخط الشعوب البولندية، وانعكاس ذلك السخط على الحكومة، فتضطر إلى إصدار تشريعات تحدد حركة وممارسات الجماعات اليهودية؛ بل وأحياناً كثيرة تقوم بمصادرة أموال اليهود بطرائق أو بأخرى.

إن استمرار سيطرة اليهود على الاقتصاد البولندي أدى إلى تحطمه تحطماً كاملاً؛ مسبباً انخفاض مستوى المعيشة للمواطن البولندي إلى أقل ما يمكن، وتدهور أحوال المدن بشكل ليس له مثيل، فضلاً عن حدوث أسوأ تضخم في تاريخ بولندا، ناهيك عن انخفاض عدد السكان إلى النصف، مما دفع

البلاد إلى الدخول في مواجهات عرقية وطائفية إلى الحرب التي اندلعت بين روسيا وبولندا عام ١٧٠٩م، والتي خسرت فيها بولندا.

على أثر هذا تدهورت أحوال اليهود تدهوراً لم يحصل لهم من قبل، وظهرت بينهم (الرؤى القبالية)، والنزعات (الشبتانية)<sup>(١)</sup>. وقد زاد الصراع بين أعضاء الجماعات

---

(١) الشبتانية نسبة إلى الحاخام اليهودي شبتاي زيقي الذي ادعى أنه المسيح المنتظر في القرن السابع عشر؛ إذ شاعت تلك الأيام شائعات أن المسيح سيظهر ١٦٤٨ كي يقود اليهود في صورة المسيح، وأنه سوف يحكم العالم من فلسطين، ويجعل القدس عاصمة للدولة اليهودية المزعومة، وقد ولد شبتاي أو سبتاي من أب يدعى مردخاي زيقي من يهود إسبانيا، وكان شبتاي متميزاً بالذكاء وسرعة البديهة، فضلاً عن معرفته لقواعد الدين وأصوله، كان مؤمناً بالتصوف اليهودي القبالي، وقد سافر هذا إلى مصر والتقى باليهودي روفائيل جوزيف وكسبه إلى جانبه لدعمه مادياً، وأخذ ينتقل بين القدس وأزمير، ويلتقي بأتباعه وبالوفود اليهودية التي تأتي من أدرنة واليونان وألمانيا، وكان يردد قوله: «أنا سليل سليمان بن داود حكام البشر، وأعتبر القدس قصراً لي»، وجعل اسمه مكان اسم السلطان محمد الرابع في الخطب التي تلقى في الكنيس، ولم تهتم الدولة العثمانية بدعوة سبتاي للتسامح الديني وحرية الاعتقاد، فضلاً عن استقلالية اليهود بأمرها وشؤونها، وقد استطاع سبتاي أن يقدم لليهود الكثير في تلك الحقبة، إذ يقول الكاتب اليهود افرام غالايتي: «إن سبتاي قد أنقذ اليهود من المصائب والاضطهادات بهذه الطريقة، وأخيراً نتيجة لنشاط سبتاي وتحركاته التي أزعجت الدولة العثمانية تم اعتقاله والتحقيق معه بالتهمة التي أنكراها، وسجن في (زندان قايي)، ثم نقل إلى سجن (جناق القلعة)، ثم عرض عليه الإسلام فأسلم وغير اسمه إلى محمد عزيز أفندي، واستطاع أن يقنع الدول العثمانية بإطلاق سراحه والسماح له بالدعوة، مستغلاً ذلك بالدعوة إلى إبطال اليهودية وإعلان الإسلام، وهكذا بقيت دعوته تزداد وتتسع ويكثر أتباعه وأنصاره الذين استمروا على نهجه وتعاليمه حتى بعد وفاته في تشرين الأول عام ١٦٧٦. راجع ذلك: النعيمى: اليهود والدولة العثمانية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩ - ٤٢. والنعيمى، الدور السياسي لليهود الدونمة في تركيا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥ - ٤٠.

اليهودية والبرجوازية البولندية الذي تعمق إلى درجة صعب حلها، إلا أن وقوف اليهود إلى جانب البولنديين في الحرب الروسية أدى بالبولنديين إلى إعادة أعضاء الجماعات اليهودية إلى جانب البولنديين في الحرب الروسية؛ مما أدى بالبولنديين إلى إعادة النظر في مصير اليهود، ودمج الجيوب الإثنية والدينية المختلفة في التشكيلات القومية، إلا أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح لسببين رئيسين هما:

- أولاً: الاختلاف الثقافي بين الشريحتين البولندية واليهودية؛ إذ إن اليهود شعب انعزالي منغلق على نفسه في مدن صغيرة؛ معزولاً عن الحضارة القومية، بعيداً عن الاحتكاك مع المجتمعات الأخرى، وغالباً ما يتأثر بأي ثقافة تعارض ثقافته اليهودية ومعتقداته التلمودية المزوجة بالخرافات والأساطير الشعبية.

- ثانياً: ميراث الجماعات اليهودية المتمثل بالعداء التقليدي مع جميع طبقات المجتمع وما يحمله المجتمع البولندي حيال اليهود من نظرة سلبية فيما يخص ممارسات اليهود الاقتصادية.

يمكننا أن نستخلص مما تقدم إن أدوار اليهود المهاجرين إلى بولندا من مملكة الخزر المنهارة قد جرّت بولندا إلى

نهاية مؤلفة فيما يخص شعوبها الأصليين؛ إذ لم تجد الشعوب البولونية استقراراً سياسياً أو اقتصادياً أو حتى اجتماعياً منذ اليوم الأول الذي وصلت إليه طلائع اليهود المهاجرة، والشاهد على ذلك ما ورد في دراستنا هذه التي اتسمت بأوضاع متباينة مرت بها بولندا بحروب وأزمات سياسية مع جاراتها اللواتي لم يدخرن جهداً في استغلال تلك الأوضاع الداخلية، فراحت تقسم أراضي هذه المملكة أربع مرات فيما بين عام ١٧٧٢ وعام ١٨١٥م؛ فكان التقسيم الأول عام ١٧٧٢، والتقسيم الثاني ١٧٩٣، والتقسيم الثالث ١٧٩٥، والتقسيم الرابع ١٨١٥، وبهذا فقد توزع يهود بولندا تبعاً للأراضي المقسمة، حيث كانوا يسكنونها، والجدير بالذكر أن اليهود في روسيا والنمسا وبروسيا كان لهم اليد الطولى في السياسة الخارجية اتجاه تقسيم بولندا، وكان ما حصل ضمن مخططات يهودية تصب في بوتقة واحدة هي السيطرة على العالم<sup>(١)</sup>؛ لذلك نرى أن يهود بولندا

(١) يقول صابر طعيمة في كتابه (تاريخ اليهود العام): «ومنذ عام (٩٢٠م) إلى منذ حوالي سبع مئة عام تقريباً طارد الإنكليز في بلادهم الجماعة اليهودية الإنجليزية، تبعتها فرنسا في ذلك، وأدركت باقي دول أوروبا الوسطى وشعوبها خطر اليهود عليهم باعتبارهم فئة قليلة رجالية منبوذة تعمل في السر، وتكتم أمور حياتها العامة، وتمزلت عن خدمة الجماعات التي تعيش فيها. واضطرت الجماعات اليهودية أن تتجه صوب الشمال الشرقي لأوروبا إلى ألمانيا الشرقية وبولندا وغيرها، ولقد كان في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي المرحلة العليا للإدراك الكامل عند شعوب إسبانيا والبرتغال، حيث أدركوا خطر اليهود عليهم ومحاولتهم السيطرة والتسلط. ولقد رأى المسيحيون في اليهود معاول هدم للمجتمع المسيحي من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية في الوقت الذي ابتدأت الجامعات اليهودية تتداول فيما =

قد ضمُّ أغلبيتهم إلى النمسا وبروسيا وروسيا، وهناك عُمولوا  
معاملة خاصة كمهاجرين جدد جرت عليهم محاولات الترويس  
في روسيا، ومحاولات الدمج في النمسا، ومحاولات التحديث  
في بروسيا.

ومن المفيد هنا أن نذكر كتاباً لأحد الأساقفة البولنديين  
وهو المفكر الألماني اليهودي ديفيد فريد ليند يسأله عن أفضل  
السبل لإصلاح (أي تحديث) يهود بولندا، فاقترح عليه بضرورة  
تدريب اليهود على الحياة المتحضرة قبل إعطائهم حقوقهم

---

= بينما كيف تنظم العداة للمسيحية على ضوء تعاليم التلمود، ثم إن الاوربيين  
صاروا يرون بأعينهم بيوت المسيحيين تتهار دعائمها بفعل الربا الفاحش الذي  
ارتبط باسم اليهودي؛ بل وأضحى عنواناً له تجسيمياً لشخصه، ولقد كان للسيطرة  
الاقتصادية ومنح الحياة الاجتماعية الأوربية دافعاً لمواجهة اليهود بأساليب شتى  
تتمثل بحصرهم وملاحقتهم ومراقبة أعمالهم وحركاتهم في مناطق سكناهم.  
ولقد تعرض اليهود في أوروبا إلى كبت وحملات عنيفة نتجت جراء الكبت والحدق  
الذي يحمله المسيحيون لليهود جراء ممارساتها؛ ففي عامي (١٣٤٨ - ١٣٤٩) راج  
بين المسيحيين أن قتل اليهود يقرب إلى الله، وفي (١٤٠١) أصدر الملك (روبرشت)  
قراراً بطرد جميع اليهود من إقليم الراين و بافاريا، كما أصدر قراراً يوجب على  
اليهود أن يرتدو لباسهم الخاص الذي يميزهم عن غيرهم، وفي ترينيت بإيطاليا  
حدثت مذبحة لليهود إثر قتل طفل لم يتجاوز الثانية من عمره، ثم انتقلت المذابح  
إلى ألمانيا عندما تعرض اليهود في مدينة (ريجنزبرج) إلى أكبر مجزرة في عام  
(١٤٧٦م)، وفي عام (١٤٩٩م) قام القيصر مكميلان الأول بطرد اليهود من مدينة  
(نورنبرج)، ثم تعرض اليهود إلى مطاردة تراثهم الثقا في وحرقت كتبهم ومؤلفاتهم،  
أما في المدن البروتستانتية فقد تعرض اليهود أيضاً إلى حالات من الاضطهاد  
والطرده على يد الأمير (يوحنا فريديريش) عام (١٥٣٦م). راجع: طعمة، صابر،  
اريخ اليهود العام، ص٢، دار الجيل، ١٩٧٥، ص٥٠-٥٥.

المدنية، وبالفعل تأسست مدرسة حاخامية حديثة تناولت مناحي عديدة من أمور الحياة.

إلا أن ذلك لم يحظَ بنجاح على مستوى الجماعات اليهودية بسبب عدم ثقة البرجوازية البولندية بهم، فضلاً عن ظهور أحزاب قومية شعبية بولندية أعلنت الحرب ضد دمج اليهود وضد اتجاهاتهم الصهيونية التي ظهرت عقب الانفجار السكاني عندهم (اليهود)، ولا سيما في بولندا؛ إذ يمكن القول بأن كل الجماعات اليهودية التي ظهرت في الغرب في القرنين الأخيرين هي من فروع بولندا، وفي ذلك قال هتلر: «إن الجيب اليهودي في بولندا هي المستودع الذي يصدر الفائض البشري اليهودي، وإنه يشكل البنية التحتية البيولوجية لليهودية العالمية»<sup>(١)</sup>.

أما عن الوضع النهائي لليهود في بولندا فيقول هشام الدجاني في كتابه اليهود والصهيونية: «كانت بولندا إلى وقت قصير تُعدُّ واحداً من أكبر مراكز تجمع الطائفة اليهودية في أوروبا الشرقية، وقد بقيت كذلك إلى أواخر الحرب العالمية الثانية تقريباً، وكان عدد يهود بولندا يقدر في بداية الأربعينيات بما يزيد عن ربع مليون نسمة، ولكن هذا العدد أخذ يتناقص تدريجياً خلال سنوات الحرب والاضطهاد النازي، ويقدر

(١) الدجاني، هشام اليهودية والصهيونية، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت لبنان، ١٩٥، ص ١٠٣ - ١٠٥.

عدد اليهود الذين هاجروا أو هُجِّروا من بولندا أو من مخيمات اللاجئين التي نزحوا إليها في أوروبا الغربية خلال الحقبة ١٩٤٥ - ١٩٤٩ م بما يقارب المئتي ألف نسمة، ويبدو أن الحكومة الاشتراكية التي قامت في بولندا بعد تحريرها لم تقفل باب الهجرة أمام اليهود، وعلى الرغم من مناداتها بانصهار اليهود في الحياة العامة إلا أن معظم هؤلاء كان يفضل الهجرة خشية استمرار (اللاسامية)<sup>(١)</sup> اليهود في الحياة العامة، إلا أن معظم هؤلاء كان يفضل الهجرة خشية استمرار (اللاسامية)، وبعد اطمئنانه للحكم البولندي الجديد.

(١) اللاسامية: معناها اليهود الذين ليسون من بني إسرائيل، وهم الصهاينة، ويشكلون ٩٢٪ من يهود العالم، ويسمون الأشكناز؛ أي يهود غير ساميين حسبما تقول المصادر اليهودية. راجع: الموسوعة اليهودية وموسوعة بيرز، وكتاب أحجار على رقعة الشطرنج لوليام غاي كار... فقد توافدت في القرن الميلادي الأول مجموعات من العروق التركية المغولية والقنلاوية إلى أوروبا قادمة من آسيا عبر الأراضي الواقعة شمالي بحر قزوين والبحر الأسود، مملكة قوية عرفت بمملكة الخزر؛ ولذلك كان بحر قزوين يسمى بحر (بحر الخزر)، وكان الخزر وثنيتين متساهلين دينياً؛ فضلو اليهودية الممزقة على باقي الديانات، وقد تمكن السلاف بعد حروب طويلة من القضاء على دولة الخزر عام (٩٦٥م)، وقد تفرق الخزر اليهود إلى جماعات صغيرة حاقدة عاشت داخل المجتمع الروسي، وكانوا وراء معظم عمليات الشغب والاعتقالات السياسية في أوروبا وروسيا، وانتشر قسم منهم في أوروبا وانطلقوا إلى معظم العالم، ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، وهؤلاء اليهود هم الذين يفتنون إلى فلسطين اليوم، ويدعون فيها حقاً تاريخياً مكتسباً، علماً بأن الساميين أنفسهم لم يحكموا فلسطين يوماً واحداً، فكيف اللاساميون! راجع: فيتش شيريب، حكومة العالم الخفية، ط ١٠، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ١٨ - ١٩.

ويمكن القول: إن الجماعات اليهودية البولندية الكبيرة قد استنزفت خلال سنوات قليلة؛ إذ لم يبق في نهاية العام ١٩٤٧ إلا ما يتراوح بين سبعين إلى تسعين ألفاً، وقد دفع هذا الحكومة البولندية إلى إصدار قرارها بمنع الهجرة، ولكن المنظمات الصهيونية التي ظل لها نفوذها بالرغم من قيام الحكومة الاشتراكية عام ١٩٤٨ استطاعت أن تضغط على الحكومة لفتح أبواب الهجرة من جديد أمام يهود بولونيا وإلى إسرائيل بالذات؛ فهاجر خلال عامي ١٩٤٩ - ١٩٥٠ نحو ثلاثين ألف يهودي، وتقدر السلطات البولونية أن معظم هؤلاء كانوا ينتمون إلى أحزاب صهيونية، وقد جاء في تصريح رسمي بولوني يوم ١٢/٧/١٩٤٩: «من الواضح أن الذين يسجلون أسماءهم ويفادرون البلاد إلى إسرائيل هم في معظمهم مرتبطون عقائدياً بالحركة الصهيونية»<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٩٥٠ أغلقت أبواب الهجرة من جديد، وكان عدد يهود بولونيا قد تقلص إلى قرابة خمسين ألفاً، ويبدو أن هؤلاء لم يستطيعوا التكيف مع النظام الاشتراكي الجديد، أو أن النظام أخفق في اجتذابهم ودمجهم في عجلته، إذ ما كانت حكومة غومولكا تفتح أبواب الهجرة مجدداً عام ١٩٥٦ لأسباب تتعلق بضغط صهيونية خارجية حتى غادر بولونيا قرابة خمسة

(١) الشمالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤ - ٣٠.

وثلاثين ألف يهودي بولوني؛ توجه معظمهم إلى إسرائيل، وذلك خلال عامي ١٩٥٧-١٩٥٨.

وفي نهاية عام ١٩٥٨ أُغلق باب الهجرة ولم يفتح من جديد إلا في أعقاب حزيران ١٩٦٧ وعلى نطاق ضيق وسري فيما يبدو، إذ ذكرت المصادر الغربية أن ثلاثة عشر ألف يهودي بولوني توجهوا خلال ١٩٦٨ إلى فيينا، إذ قامت المنظمات الصهيونية بترتيب عمليات توجيههم إلى إسرائيل، أما الحكومة البولونية فقد اعترفت بهجرة خمسة آلاف يهودي بولوني فقط.

ويقدر عدد يهود بولونيا اليوم بما يتراوح بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفاً، ويستفاد من المعلومات المستقاة عن أوضاعهم الحالية أن معظمهم لا يتعاطف مع النظام الاشتراكي القائم، بل إن عدداً كبيراً يعمل منهم في المنظمات ذات النشاطات المناوئة سرّاً للحكم مثل جماعة (كور) وغيرها<sup>(١)</sup>.

### رابعاً: اليهود في أوروبا

لقد تعرضت الجماعات اليهودية في أوروبا لاضطهادات متعددة مع بداية الحملات الصليبية، وإن اقترانها بتاريخ بداية تلك الحملات واضح المغزى. قبيل نهاية القرن الحادي عشر

(١) الدجاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢ - ١٠٤.

إذ نجحت الجماعات اليهودية في ألمانيا بصعوبة بالغة من الإبادة الكاملة عبر تلك الانتفاضات الفوغائية، الهستيرية، التي مهدت للحملة الصليبية عام ١٠٩٦م ورافقتها وحتى تاريخ الحملة الصليبية الأخرى، وفي عام ١١٤٧م، والحملة التي تلتها صار روتينياً أن تبدأ الحملات باجتياح الجماعات اليهودية، فمن كان يستطيع أن يتصور في ذلك التاريخ أن ضحايا الحملات الصليبية من اليهود سوف يصبحون فيما بعد أدوات لحملة مشابهة تتخفى تحت أسماء وذرائع أخرى، لتحقيق الهدف نفسه وهو اغتصاب فلسطين والعدوان على العرب. في عهد الملك فيليب (الجميل) كانت فرنسا قد عانت من أزمة اقتصادية خانقة، انهارت فيها قيمة العملة، ونشبت الاضطرابات الاجتماعية، فحاول فيليب معالجتها بالطريقة المألوفة وهي استنزاف اليهود، فحصل منهم على دفعات نقدية قوامها مئة ألف جنيه عام ١٢٩٢م، ومئتين وخمسة عشر ألف جنيه عام ١٩٢٥م، ثم استقر رأيه على علاج حاسم، فوقع في ٢١ / حزيران ١٣٠٦م على قرار سري يقضي بالقبض على جميع اليهود بالمملكة في يوم محدد ومصادرة ممتلكاتهم ثم طردهم خارج البلاد<sup>(١)</sup>.

وهكذا في القرن الرابع عشر أصبحت فرنسا كما كانت إنكلترا خالية من اليهود تماماً، ولقد كانت لدى ملوك أوروبا

(١) الشمالي، نصر، وهشام الدجاني، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية، ص ٣٣.

دائمًا وسائل عديدة لاستخراج المال من عبيدهم اليهود؛ منها التوقيفات الجماعية؛ إذ كانوا يسجنون فلا يطلق سراهم إلا بعد دفع مبالغ طائلة، ففي النمسا عام ١٣٧٩م سجن الأمراء النمساويون جميع اليهود الخاضعين لحكمهم ولم يحرروهم إلا بعد أن أخذوا منهم مبالغ طائلة، وقد مهد أولئك الأمراء لعملياتهم بتحريض الفلاحين منذ عام ١٣٧٨م ليجبروهم في النهاية وبعد التوقيف على دفع مبلغ ستة عشر ألف مارك، لقد كان البارون في أوروبا عندما يتحدث عن ممتلكاته: هؤلاء اليهود لي!

وبالفعل فقد انتشرت عمليات العقود بشأن اليهود بصفتهم ممتلكات خاصة في القرن الثالث عشر، وبدلاً من إقامة دعاوى طويلة تعاهد الأمراء والملوك على تسليم اليهود الذين يلجؤون إلى أراضيهم، ونص عقد مشابه عام ١٢٥٠م بأنه يجوز للملك والأمراء المحافظة على حقوقهم، وبالنسبة لليهود هم كالعبيد، وفيما بعد أصبح اليهود كأنهم في سوق المزاد، وقد ابتاع فيليب الثاني من أخيه كونت دي فالو جميع يهود كونتيته<sup>(١)</sup>.

وعلى صعيد آخر كان ممنوعاً على اليهود في أوروبا الإقطاعية التحول إلى الدين المسيحي، وقد سنَّ الملك الإنكليزي

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤، وطعيمة، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

هنري الثاني قانوناً يقضي بضم أملاك اليهود الذين يعتقدون المسيحية إلى ممتلكات التاج؛ لتعويض الخسائر التي كان يلحقها اليهود بالملك في حال تحولهم إلى المسيحية، وإن في هذا دليل آخر على أن الموقف من اليهود إيجاباً أو سلباً لم يكن متعلقاً بدينهم وإنما بوظائفهم الاقتصادية، ثم إن أوروبا والولايات المتحدة تحولت جميعها إلى اليهودية بهذا المعنى الاقتصادي.

غير أن أوروبا الغربية أصبحت بكاملها نظيفة من اليهود تماماً ابتداءً من منتصف القرن الرابع عشر ولمدة قرنين، أي حتى منتصف القرن السادس عشر تقريباً، أما سبب ذلك فهو الطاعون الأسود الذي اجتاح أوروبا بين عامي ١٣٤٨ - ١٣٥٠م الذي قضى على ثلث السكان في بعض المناطق، وعلى ثلثيهم في مناطق أخرى، وقد تحمل اليهود مسؤولية تلك الكارثة الطبيعية، فاتهموا بتسميم الآبار لنشر الطاعون الأسود، وسرت هذه الإشاعة بسرعة خرافية ترتب عليها إحراق عدد كبير من اليهود وفرار الأعداد الأخرى.

ونعود إلى يهود ما قبل الطاعون الأسود لنرى أن المرابين اليهود الذين كانوا في تلك الحقبة من تاريخ أوروبا الإقطاعية مصدر دعم قوي للملكية المطلقة في صراعها ضد النبلاء في كثير من الأحيان، فقد مكن اليهود الملوك في بادئ الأمر من

تجهيز جيوش المرتزقة الباهظة التكاليف، والتي بدأت تحل محل جماعات النبلاء المسلحة غير المنظمة؛ ولذلك أعدَّ محفل النبلاء في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ثلاثة مطالب قدمها إلى الملك وهي:

١- تنظيم عمليات الديون اليهودية والحد من حجم الفائدة التي يفرضها المرابون.

٢- حرمان اليهود من حقهم في وراثة الأراضي.

٣- إصلاح الإدارة المالية وعزل الموظفين والوكلاء اليهود.

وقد عمّمت مطالب النبلاء هذه على جميع البلدان الأوروبية، ووصلت أصدائها إلى بولونيا التي طالب نبلاؤها أيضاً بالحد من مجموع فائدة الربا، وبضمان أملاكهم وبعزل اليهود من وظائف الدولة<sup>(١)</sup>.

### خامساً : يهود روسيا

لقد رأينا كيف أصبح اليهود في بولونيا مجتمعاً غير مرغوب فيه، وكيف أصبحت الشعوب البولونية تطالب بإبعاد اليهود وإقصائهم في أعمالهم وفي محل سكنهم لما أوصلوا البلاد من حالات التردّي والانحدار، وما أحدثوه في اقتصادها من تدهور

(١) طعيمة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

نتيجة ممارساتهم التجارية والمالية، ولم يكن الحال في روسيا بأفضل من ذلك؛ بل إن الروس رفضوا في بداية الأمر دخول اليهود المهاجرين عقب سقوط دولتهم إلى أراضيهم؛ لما كانوا يعرفونه من سلوك الجاليات اليهودية الموجودة في أراضيها والتي هاجرت واستقرت في روسيا كغيرها من البلدان.

لكن الذي حدث من توسع أركان دوقية موسكو وما قابلها مع تردي أوضاع الإمبراطورية البولونية، استطاعت السلطة القيصرية أن تضم أجزاء من أراضي الإمبراطورية البولونية إلى أراضيها، وتلك الأراضي كانت تضم أعداداً كبيرة من اليهود الذين يقطنون فيها، وعلى الرغم من عدااء الروس وكرههم لليهود، فإنهم قد سمحوا لهم بالبقاء في أماكنهم وفي مدنهم، وهؤلاء هم الذين شكلوا التجمعات اليهودية الكبيرة في روسيا؛ إذ كانوا يمثلون كبار التجار في تلك المدن<sup>(١)</sup>.

وفي كتابه الستار الحديدي حول أمريكا يقول جون بيتي: «وحدث في العصور الوسطى أن قامت قبائل الفاكينغ القادمة من مناطق بحر البلطيق بغزو التلال المنخفضة الواقعة غرب موسكو، ثم انتشرت في معظم الأجزاء القريبة من هذه المنطقة، ولم يكن هؤلاء المهاجرون الذين وفدوا من الشمال والغرب إلا

---

(١) بيتي، جون، الستار الصهيوني حول أمريكا، مطبعة الوعي القومي، دار النشر للجامعيين، بيروت، لبنان، بلا سنة طبع، ص ١٨-٢٠.

الشعب الروسي الذي تنتسب قبائله إلى السويديين والإنكليز والنورمنديين الذين كونوا مع القبائل السلافية المحلية الدولة التي عرفت فيما بعد باسم دولة روسيا، ولقد ضمت هذه الدولة إلى أملاكها الأراضي التي تحيط بأعالي الفولغا والدينبر، ووصلت عن طريق هذا النهر إلى البحر الأسود، وكان الروس والسلاف إذن عنصرين متقاربين في الأصل وإن اختلفت لغتهما، وقد اعتنقوا المسيحية ديناً لهم على يد البعثات التبشيرية الأورثوذكسية اليونانية، والمعروف أن العنصر السلافي استطاع أن يمتص العنصر الروسي، وأن يكون وإياه شعباً متحداً، شرع هذا الشعب المتحد الجديد في توسيع حدوده.

فأخذ من الخزر مدينة (كبييف) وجعل منها عاصمة لأسرة مالكة مستنيرة تتطلع إلى الغرب وتصاهر ملوكه وخاصة ملوك فرنسا، وظلت الحرب مستعرة بين ملوك السلاف وبين الخزر حتى تمكنوا من القضاء على ملكهم واغتصبوا الكثير من أملاكهم؛ فاتسعت الممالك السلافية في بولندا وليتوانيا ودوقية موسكو وغيرها، واضطر الخزر إلى الهجرة إلى مواطن الشعوب السلافية للإقامة بينها، إلا أن الروس من أهالي مدينة كبييف ودوقية موسكو قد حالوا من دون تسرب اليهود والاختلاط بهم، ومنذ ذلك الوقت وسياسة الحكومة الروسية تقضي بإبعاد

اليهود عن أراضيهم<sup>(١)</sup>، لكن الجماعات اليهودية استطاعت توطيد أركانها في روسيا بعد أن كان مجرد دخول التجار اليهود إلى روسيا بتجارتهم أمراً ترفضه القيصرية الروسية، يقول المؤرخ الروسي سولوفيوف واصفاً موقف القيصر بطرس الأكبر: «بينما كان يقوم بدعوة الأجانب المهرة من كافة البقاع فقد استثنى اليهود من تلك الدعوة، وكان يقول بأنه يُفضل ألف مرة أن يرى المحمديين (المسلمين) والوثنيين في هذه الأراضي على أن يرى اليهود؛ لأنهم أنذال وغشاشون»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) بيتي، جون، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.  
(٢) قلفاط، نخلة، بطرس الكبير، المطبعة اللبنانية، ١٨٨٦م، ص ٢٥-٢٨، وحجاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٨. وبالمعنى نفسه يقول وليم غاي في كتابه أحجار على رقعة الشطرنج: «إن يهود الاتحاد السوفييتي هم من الخزر، استقروا في أقصى الشرق من أوروبا حيث شكلوا مملكة الخزر القوية، ثم بسطوا سلطانهم على معظم المناطق الواقعة غرب جبال الأورال وشمال البحر الأسود، وقد اعتنق الخزر اليهودية مفضلينها على المسيحية أو الإسلام، وبنوا الكنائس والمدارس لتعليم الدين اليهودي في سائر أنحاء مملكتهم». راجع: كتار، وليم نجار، أحجر على رقعة الشطرنج، تعريب: سعيد الجزائري، دار النفائس، بيروت، طبعة، ١٩٨٧، ص ٤٨.  
ويقول أيضاً: «والواقع أن هؤلاء اليهود ليسوا ساميين من حيث الأصل العرقي، ذلك أن عدداً ضخماً من الذين اتخذوا اليهودية ديناً لهم منحدرون من سلالات الهيروديين أو الأدوميين وذوي الدم التركي المنغولي». راجع: المصدر نفسه، ص ٤٩.  
ويقول عبده الخوري حنا: «ومما لا شك فيه أن معظم اليهود الذين يسكنون في أوروبا وأمريكا هم غير ساميين، ولا يمتون بأي صلة نسب إلى بني إسرائيل، وإن اتهام الغرب وغيرهم بمعاداة السامية لم تكن إلا نوعاً من الخديعة يريدون بها الظهور بمظهر المظلوم الذي يستحق العطف والشفقة». راجع: حنا عبده الخوري، الخطر اليهودي على الدين والدنيا، دار الركن للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص ٨١.

وتشير الدلائل كافة إلى أن السلطة الروسية إنما كانت تحول دون إقامة اليهود البولونيين في أراضيها؛ نظراً لوظيفتهم الاجتماعية التجارية، فقد اقترنت كلمة يهودي في تلك العصور بكلمة تاجر، وأصبحت على مر الزمن مرادفة لها، إلا أن تغيراً من سياسة بطرس الأكبر قد حصل بعد ضم كثير من الأراضي البولونية إلى روسيا، لقد سمح لعدد كبير من وكلاء المال والتجار الكبار اليهود بالإقامة في موسكو، أمثال رجل المال اليهودي الكبير ليمان الذي أصبح فيما بعد من رجال بلاط القيصر.

ومرة أخرى نرى القيصرة كاترين الثانية تصدر قراراً بفتح أبواب روسيا أمام التجار الأجانب؛ ليكون اليهود أول القادمين من هؤلاء، وأقاموا رسمياً في منطقة أنشأت حديثاً عرفت باسم روسيا الجديدة، ثم يأتي حدث آخر يحول نحو مليون من يهود بولونيا القاطنين في المناطق الشرقية إلى رعايا الإمبراطورية الروسية؛ وبذلك تشكلت كتلة يهودية كبيرة في روسيا حملت معها من مناطق نشوئها أوضاعاً اقتصادية متهاوية، وأساليب تنافس لم يألفها الشعب الروسي، لاسيما أن البعض منهم جاء من أوكرانيا، وبينهم وبين الجماهير الروسية كرهاً تقليدياً، فظهر نتيجة عن ذلك تقسيم اجتماعي يحمل بين طياته عادات وشعائر دينية ولغة ركيكة مزيج من الألمانية والبولونية والعبرية، تطورت هذه لتصبح لغة تعرف (بالبيديش).

يقول (جون بيتي) في كتابه الستار الصهيوني حول أمريكا: «وشرع الخزر يهاجرون من ديارهم، وعجل في هجرة الكثير منهم في غزوة المغول تحت قيادة جنكيز خان، واضطهد اليهود الخزر في كيبف، وحصلت لهم مجازر كادت أن تقتلع جذورهم أو أن تبيدهم كاملاً، وانتشر اليهود الخزر في نواح مختلفة من غربي روسيا، وقد حدد كثير من حكام الروس أمكنة إقاماتهم وشلوا حركتهم، ومنعوهم من التنقل في البلاد، ولم تكن العلاقات بين السلافيين والخزر اليهود حسنة مستتبة بسبب النزعة اليهودية الطائفية، وحرص الحاخامات على التحكم بمشاعر ومصائر الغير، ويعزى هذا إلى تمسكهم بتلمود (بابل) الذي وضع أيام السبي البابلي<sup>(١)</sup>، وكان للتلمود الأثر الكبير في صمود الخزر ومكافحتهم في البقاء، ومحاولتهم المحافظة على كيان سياسي وديني مستقل.

---

(١) يقول بيتي: لقد ورد بالحرف الواحد في (تلمود بابل) ما يأتي: يجب أن لا يعد التلمود كعمل عادي يستحله اثنا عشر مجلداً، فليس فيه أي شبه لأي عمل أدبي آخر، بل إنه يكون في حد ذاته دنيا قائمة بذاتها، دنيا تسودها نظم وقوانين خاصة. والتلمود يحتوي أموراً تافهة وأخرى تغلب عليها الرعونة، ولكنه يعالجها بجد واتزان، وهو يحفل أيضاً بالقول المجحف في حق أمم وشعوب أخرى، وفي حق ديانات أخرى، ثم إنه يؤكد ويظهر تعريض المغرضين وذوي الأهواء بالعهد الجديد، التلمود سجل استعرضت فيه أحداث ستة قرون، فلا عجب إذن أن يتضمن في كل صفحة وسطر جنباً إلى جنب ما يمت إلى العظيم العادي، والخطير التافه، والمذابح والرماد واليهودية والثنية، ويختلف هذا التلمود عن تلمود أورشليم أو فلسطين بتطبيق الفكر وتفغل الرأي وبريق العبقرية التي تتألق حتى تخطف البصائر، ثم تخبو وتخمد... وكل شيء عدا التلمود أضحى في نظرهم باطلاً؛ الطبيعة والإنسان، القوة والحدثان. راجع: بيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ١٥-١٦.

## سادساً : اليهود الخزر والقيصرية الروسية

بعد تقسيم الإمبراطورية البولونية للمرة الثالثة أصبح كل من ليتوانيا وبييلوروسيا (روسيا البيضاء) وأوكرانيا وبعض الأراضي البولونية ضمن نطاق الإمبراطورية الروسية، وكانت هذه المناطق أهلة بمواطنيها الفلاحين الأقتان الذين قُدر عددهم بنحو عشرة ملايين نسمة، إلى جانب مليون يهودي، يعملون في مختلف الأعمال ذات الصفة التجارية أو الحرفية المرتبطة بالإقطاعيين، بينما بقي اليهود الأثرياء المعروفون بيهود التاج في وارسو والمناطق الأخرى التي خضعت وفقاً لتقسيم بولونيا ولبروسيا والنمسا.

شكلت الإمبراطورية الروسية عنصر جذب للتجار اليهود؛ فالنظام الإقطاعي فيها مازال متماسكاً، ومجالات العمل وفيرة، والفلاحون والأقتان كثيرون، ويشار إلى أن الكثير من اليهود القاطنين في المناطق الأخرى قد بدؤوا بتقديم الطلبات للقدوم إلى الأراضي الروسية، وهكذا انفتحت الأراضي والمدن الروسية لأول مرة أمام هذه الطبقة التجارية اليهودية العريقة في أساليبها، ويذكر أن تحديد إقامة اليهود ضمن ما عرف فيما بعد باسم (حظيرة التوطن اليهودية)<sup>(١)</sup> من السلطة

---

(١) حظيرة التوطن اليهودية، أسلوب اتبعته السلطة الروسية لعزل اليهود في مناطق سكن خاصة، وذلك للسيطرة عليهم ورصد تحركاتهم، وقد شملت حظيرة التوطن اليهودية هذه خمس عشرة مقاطعة في الأراضي الروسية، وعشر مقاطعات في الأراضي البولونية المحتلة، وذلك من مجموع تسع وثمانين مقاطعة كانت تؤلف الإمبراطورية الروسية، وقد توزعت تلك المقاطعات على النحو الآتي: ميلنا وكوفنو =

وغرودنو في ليتوانيا بينسك، وموهيليف في روسيا البيضاء، فولجينا وودوليا وكيف وشيرنيخوف ولولتافا في أورانيا، وقد عدت كييف في وقت لاحق خارج حدود الحظيرة وبيسارابيا وفيرشون واكاتير نوسلافيل وتوريدا في روسيا الجديدة باستثناء مدينة يالطا - وذلك زيادة عن المقاطعات البولونية العشرة من الناحية الرسمية تم الاعتراف باليهود كرعايا وليس كمواطنين، وأطلق عليهم تعريف رعايا، ولعل أهم قرار في هذه القرارات هو تصنيف اليهود ضمن الطبقة الوسطى الدنيا، وذلك في ضوء التقسيم الطبقي السائد في الإمبراطورية الإقطاعية، وكون هذه الكتلة اليهودية مؤلفة في مجموعها من التجار المتوسطين والصفار وما يتصل بهم من أعمال كوكلاء للإقطاعيين وملتزمين وخمارين ومرابين وبعض الحرفيين الذين ترتبط حرفهم بحاجات الإقطاعيين، كما شكل حوض الدينير مجال عمل في تجارة الخشب. لقد اتفق تصنيف اليهود كرعايا مع تصنيفهم ضمن الطبقة الوسطى الدنيا، حيث إنه لو تم تصنيفهم كمواطنين لتحتم إعطاؤهم حق العمل في كافة الأراضي الروسية النامية. وقد عد الكاتب اليهودي جوزيف نداها أن التمييز القيصري إزاء اليهود انطلق من منطلق ديني حيث يقول: «إن التمييز ضد اليهود رسمياً كان على أساس ديني وليس على أسس عنصرية أو عرقية، حيث كان يمكن لأي يهودي يعتنق الدين المسيحي أن يتبوأ أعلى المناصب الحكومية». بينما تشير القوانين الأخرى إلى نفي ذلك، وإلى أن السياسة الاقتصادية هي الأساس الذي حكم قرارات السلطة بهذا الشأن، فهي قد اعترفت مثلاً باليهود غير التجاريين كالكنائين والكريمشاك والقوزاق والغيميم كمواطنين، ولم تورد المصادر المختلفة ذكراً لقيام السلطة بتشجيع اعتناق هؤلاء الديانة الأورثوذكسية بالرغم من أن السلطة كانت بالفعل تشجع اعتناق يهود المناطق الغربية لتلك الديانة في محاولة منها لتقليص وظيفتهم الاجتماعية التجارية التي عمدت بعد ذلك باستمرار إلى محاربتها بشتى الوسائل. أدت هذه التصنيفات إلى فرض رسوم مضاعفة على اليهود لدى التسجيل لدى جمعيات التجار وإلى فرض ضريبة لقاء إعفاء من الخدمة العسكرية، كما حاولت تقليص سلطة الكحال وحصرها في جميع الضرائب والإشراف على الشؤون الدينية. لقد وضعت هذه التصنيفات يهود الحظيرة وجهاً لوجه أمام الجماهير الفلاحية؛ إذ استمر اليهود في ممارسة أعمالهم التقليدية كتجارة الجملة والمفرق والخمور وجمع الضرائب والمراعاة، وشكلت أماكن إقامتهم جزراً صغيرة متناثرة في كافة مناطق الحظيرة، وفي فترة قصيرة كانت الأموال قد تراكت في أيديهم، وسيطروا سيطرة شبه كاملة على اقتصاديات الحظيرة، بينما ازدادت نقمة الجماهير الفلاحية عليهم، ويذكر أنه كان يستحيل شراء شيء من المخازن أيام السبت؛ لأن معظم هذه المخازن كانت بيد اليهود. راجع: حجاوي، مصدر سبق ذكره، ص 17-18.

القيصرية كان استجابة للضغوط التي تعرضت لها السلطة من التجار الروس.

ويورد يوري إيفانوف نقلاً عن مؤرخ جيليكمان قوله: «اشتكى التجار المسكوبيون في عريضتهم من أن اليهود يتعاطون بيع البضائع الأجنبية التي جلبوها معهم من الخارج مع تخفيض أسعارها بالنسبة للأسعار الحقيقية، ملحقين بالتجارة العامة ضرراً فادحاً للغاية، وهذا البيع الرخيص للبضائع ضد جمعية التجار الروس يدل بجلاء على أن هذه البضائع مهربة ولا تخضع للرسوم الجمركية.

إن التجار المسكوبيين لا يرون من الضروري الاختباء بورقة تين الدفاع عن الدين؛ بل هم على العكس يشيرون إلى أنهم يطالبون بمنع اليهود من ممارسة التجارة، ونفي الذين سبق وأقاموا، وطرد الذين تسجلوا سراً في سجل تجار موسكو ليس بسبب أي كراهية أو ازدراء بسبب الدين، بل بسبب ما يلحقونه من ضرر كبير، وكان أول إجراء اتخذته السلطة عام ١٧٩٦ بهذا الشأن هو حصر تسجيل اليهود في جمعيات التجار الخاصة بالمناطق التي يقيمون فيها إقامة دائمة، وقد جاء في القرار المذكور: «يحق لليهود أن يسجلوا في جمعيات التجار ضمن منطقة روسيا البيضاء (بيلوروسيا) ومنطقة إيكاتيرنوسلافيل

فقط»، وقد جرت عدة تعديلات على هذا القرار في أوقات لاحقة تم فيها توسيع أو تقليص مجالات التسجيل في مجتمعات التجار المختلفة كان آخرها عام ١٨٣٥م<sup>(١)</sup>.

### المحاولات القيصريّة لإدماج الخزر

يقول فريدمان في كتابه يهود اليوم ليسوا يهوداً: «حاول فلاديمير الثالث وخلفاؤه عبثاً إقناع من يزعمون أنفسهم يهوداً باعتناق المسيحية، لكنهم فشلوا جميعاً بذلك، إذ قاوم يهود الخزر هذه المحاولة مقاومةً شديدةً، وقد تمثلت مقاومتهم بالحرص على التنظيم الداخلي للجماعات اليهودية، بحيث أصبح لهم نظام أشبه ما يكون (دولة في داخل دولة)؛ فاليهود لن ينسوا تصفية دولتهم الخزرية على يد المسيحية بالدرجة الأولى، ثم إنهم يتذكرون رفض فلاديمير الثالث اعتناقه لليهودية عندما عرضت عليه مرات عديدة من قبل الوفود اليهودية أيام الدولة الخزرية، ثم إن الكنيسة الروسية والمسيحية في أوروبا بصورة عامة تدرك أن اليهود يحاولون إعادة كيان دولة الخزر مرة ثانية، وهذا يؤكد تقرير سري أرسله السير هنري مورغنثو إلى الرئيس وودرو ويلسون يكشف فيه النقاب عن محاولة من

---

(١) جون بيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ١٥-١٧ وحجاوي،

مصدر سبق ذكره، ص ١٨.

يزعمون أنفسهم (يهودًا) ذوي الأصل الخزري تاريخياً أن يبعثوا مملكة الخزر كوطن شرعي لهم في بولندا»<sup>(١)</sup>.

أما عبد الرحمن شاكرفيقول: «بعد سقوط بيزنطة في القرن الخامس عشر أعلن القياصرة الروس أنهم أصبحوا ورثة بيزنطة في تمثيل الأرثوذكسية المسيحية، وأطلقوا على موسكو أحياناً روما الثالثة، واصطنع بعض القياصرة رمز بيزنطة النسب ذا الرأسين علماً على رؤوسهم وتيجانهم، فلما جاءت الحروب النابليونية نقلت معها فكرة القومية إلى أرجاء الإمبراطورية الروسية، كما نقلته إلى أجزاء أخرى من العالم وأوروبا بالذات.

وفي عهد القيصر نيقولا الأول ١٨٢٥-١٨٥٥م بدأت سياسة الترويس المشهورة للأجناس غير الروسية، وكان المفكر النظري للترويس من مساعدي القيصر (الكونت يوفاروف)، حيث تنص على أن يكون أوتوقراطيًا (أي الإيمان بالحكم المطلق للقيصرة)، ثم يحمل العقيدة الأرثوذكسية، ويتكلم اللغة الروسية.

وقد عانى اليهود الخزر من هذه العملية الشيء الكثير، إذ كان يجبروا أولادهم في سن الثانية عشرة على الدخول في

---

(١) فريدمان، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩ - ٤٠. وصفوة نجدة فتحي بيروبيجان، التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي يهودي، مركز الدراسات الفلسطينية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٣، ص ٣٠ - ٣٥.

معسكرات الخدمة الإجبارية التي يمضون فيها أكثر من خمس وعشرين عاماً يعلمونهم خلالها اللغة الروسية، ويتعرضون إلى أشد أنواع التعذيب من أجل أن يعتنقوا المسيحية، وفي ظل سياسة الترويس ولدت (الحركة الصهيونية) التي بدأت كنزعة دينية في روسيا في أوائل القرن التاسع عشر، كما شكل آخرون (أحبة صهيون).

وتذكر لنا سلافة حجاوي في كتاب اليهود السوفييت: لقد أصدرت السلطات الروسية عام ١٨٠٤م قراراً نص على السماح للتلاميذ اليهود بدخول المدارس العلمانية إلا أن سلطة الكحال<sup>(١)</sup>

---

(١) الكحال أو (القهال) كلمة عبرية تعني جمهور أو جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد، أو بالأحرى تعني طائفة يهود في إحدى مدن الشتات اليهود، كذلك تعني الخلية الساسية لتنظيم حياة اليهودي في مكان إقامته، وكانت مهام الكحال مشابهة لمهام الدولة تجاه مواطنيها، وتعد تجسيدا للحكم الذاتي من قبل الدولة، وقد اهتمت الكحال في البداية بإجراء مراسم الزواج وعض الشؤون للعائلة اليهودية، ثم تمثيل اليهودية أمام السلطات، والقيام بجمع الضرائب نيابة عن السلطة، وتعيين القضاة والحاخامات، كما أن هناك صلاحيات تجمع بها كالسجن وفرض الغرامات والعقوبات أو التحريم والعزل الاجتماعي، وكان كحال بولندا المعروف باسم (مجلس البلاد الأربع) بولندا الكبرى وبولندا الصغرى وفولينا وليتوانيا، وكان هذا المجلس يتمتع بصلاحيات كبيرة لحد ما؛ منها إقامة المحاكم المستقبلية، وفرض الضرائب، وتعيين القضاة، والإشراف على كثير من مفردات الحياة الاجتماعية وتنظيم حياة اليهود. وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر شنت الجماعات اليهودية حملات نقدية إلى الكحال وتنظيماته نتيجة الممارسات التي كان موظفو الكحال يقومون بها تجاه يهود منها الابتزاز والرشاوى والاضطهاد، وللبعض دون الآخر. ولما تولى القيصر نيقولا الأول حكم روسيا عام (١٨٢٥م) أوضح منذ بداية حكمه أن اليهود يعدون شعباً غريباً يجب عليه أن يكيف نفسه مع الشعوب السلافية اليونانية الأرثوذكسية، =

اليهودية رفضت ذلك، وأوقفت القرار متمسكة بالتعليم الديني الذي يحافظ على تماسك اليهود وعلاقتهم بالكحال، فضلاً عن أن التعليم آنذاك قضية اقتصادية يحتاجها المجتمع اليهودي.

وفي ذلك يقول إيفانوف: «لقد حارب الحاخاميون وتجمعات الكحال هذا القرار باعتبار التعليم العلماني خطيئةً، ومارسوا سلطتهم بمنع الطلاب اليهود من الالتحاق بالمدارس العلمانية»<sup>(١)</sup>.

وإزاء تنامي الكراهية بين اليهود والفلاحين الأقتان في القرى فقد أصدرت السلطة عام ١٨٢٥م قراراً بمنع اليهود من دخول القرى، كما ألغت في العام نفسه قرار إعفاء اليهود من الخدمة العسكرية، وأصدرت قراراً جديداً يلزم اليهود بتقديم

---

= أو أن يقاس من نتائج الوخيمة، وقام بسن قانون للتجنيد الإجباري يقضي بأن يؤدي اليهودي خدمة عسكرية مدة إحدى وثلاثين سنة، وعلى سلطة الكحال أن تقدم أسماء المجندين من اليهود، وقد تداول هذا القرار إلى أن نقشت الرشوة والمحسوبية بين العوائل اليهودية، وسلطات الكحال، واقتصر تقديم أسماء المجندين على العوائل اليهودية الفقيرة، مما أثار الحقد والضغينة بين الأوساط اليهودية المختلفة، فنتج عن ذلك مشاكل كبيرة جرت إلى حصر اليهود في أماكن سكن محددة من قبل القيصر الأول، وفرض على اليهود أموراً كثيرة منها: عدم السماح لهم باستخدام الخدم المسيحيين، والزواج قبل سن الثامنة عشرة، أو استعمال لغة البيديش أو مصطلحاتها، وخطر استخدام الزي اليهودي، وقام بتقسيم اليهود إلى نافعين وغير نافعين، وفرض على حركتهم في البلاد قيوداً كثيرة، ثم لم يلبث أن ألغى القهال أو الكحال في أواخر حكمه عام ١٨٤٤ وجعل اليهود تحت سلطة الإدارة الروسية مباشرة. راجع: عبد الوهاب المسيري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣ - ٢٥.

(١) حجاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

عشرة أفراد عن كل ألف فرد للخدمة العسكرية الإجبارية التي كانت مدتها خمسة وعشرين عامًا. وقد لقي هذا القرار معارضةً شديدةً من اليهود، كما خضعت عملية اختيار العدد المطلوب للمساومات والرشاوي، ووقع عبء الجندية على العائلات الأقل حظًا في الثراء.

ويشار إلى أن رجال الكحال قد أدوا دورًا كبيرًا في ذلك، حيث إنهم كانوا يأخذون الرشاوي من البعض لقاء عدم اختيار أبنائهم للخدمة العسكرية، ويذكر أن السلطة قد عمدت إلى اختطاف الأولاد ممن هم دون سن الجندية في محاولة لدمجهم. يقول ديكي: «إذ إن هؤلاء الأولاد أسرع في تعلم اللغة الروسية، ومن ثم اعتناق الدين المسيحي والزواج من روسيات»، وإزاء فشل كل هذه المحاولات بادرت السلطات في الأربعينيات إلى تشكيل لجنة خاصة لدراسة المشكلة اليهودية، وقدمت اللجنة تقريرًا طالبت فيه «بإجراء إصلاحات - جذرية - في أوضاع اليهود من خلال محاربة مدارس الحيدر واليشيفا، وفرض المدارس العلمانية في الحظيرة، وإلغاء سلطة الكحال، وعزل كافة الذين لا يقومون بعمل اقتصادي عن طريق تجنيدهم وإخضاعهم للإجراءات البوليسية».

وقد صدرت خلال الأربعينيات قرارات بفتح المدارس العلمانية في الحظيرة على أمل أن يؤدي ذلك إلى إلغاء مدارس

(الحيدر واليشيقا) الخاصة باليهود. كما صدر قرار بجل سلطة الكحال وتجريده من سلطة الإشراف على تلك المدارس ومن مسؤولية جميع الضرائب، كما بدأت السلطة تتغاضى عن تسلل التجار اليهود نحو المدن الروسية خارج الحظيرة. ويذكر ليون وغيره أن الكثير من هؤلاء التجار قد استطاعوا التسجيل في جمعيات تجار موسكو والمدن الأخرى تحت غطاء بعض الأسماء الروسية «كأسماء بعض النبلاء والإقطاعيين الروس ممن وجدوا الفرصة سانحة للإفادة من أعمال اليهود التجارية»<sup>(١)</sup>.

في حدود عام ١٨٥٥م كانت رؤوس الأموال قد تكونت لدى العديد من يهود الحظيرة، وقد جلب ذلك انتباه السلطة، إذ ما لبثت أن لجأت إلى إعادة النظر في سياستها اليهودية ضمن إعادة النظر في السياسة الروسية عامة وخاصة بعد هزيمة روسيا في حرب القرم الذي شكل عاملاً قوياً في انهيار الاقتصاد الروسي، وتفاقم الوضع السياسي الذي أجبر السلطات الروسية عام ١٨٦١م إلى إصدار قرار إلغاء القنانة والإقطاع؛ بغية معالجة الموقف الاقتصادي الذي يحتاج إلى رأس المال والأيدي العاملة، لاسيما وأن هناك طبقة النبلاء التي تتكسب لديها رؤوس الأموال دون وجود فرص للعمل<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المصدر نفسه، وجون بيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ١٨-٢٠.

(٢) شاكر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

لقد كان قرار إلغاء القنانة والإقطاع انعطافة جديدة في حياة المجتمع الروسي، لاسيما في حياة اليهود الذين شملوا به أيضاً؛ لينطلقوا من الحظيرة اليهودية باحثين عن الأعمال والاستثمار في المدن الروسية، أمثال كبار التجار الذين كانوا يدفعون رسوماً باهظة للعمل خارج الحظيرة تناسب مدتها مع ما يدفعونه من الرسوم، كذلك كبار المهنيين من الأطباء والمهندسين والمحامين والحرفيين<sup>(١)</sup>.

لقد عادت الحياة الجديدة لليهود الروس متمثلة باستخدام رأس المال واليد العاملة في إنشاء مشاريع حيوية من شأنها إعطاء اليهود حصة كبيرة في إعمار البلد وبسط النفوذ، وفعلاً بعد مدة ليست بالطويلة نرى أن المزارع الرئيسة وتجارة الحبوب والسكر والصناعات الحيوية أصبحت بيد اليهود، كما أن المدارس الرسمية التي كانت تحظر على الطلاب اليهود ارتداء أزيائهم التقليدية الخاصة بهم صارت تعج بهم من دون التزاماتهم بتلك الممنوعات، كما ارتفعت نسبة الطلاب اليهود في الجامعات والدراسات العليا بعد أن كانت النسب المخصصة لهم ضئيلة جداً؛ إذ ارتفع عدد الطلاب بعد عامين من قرار السلطة الروسية من (١٩٥) طالباً إلى (٢٣٦٢) طالباً؛ مما

(١) بيتي، الستار الصهيوني حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ١٦-٢٨.

ساعد على انتشار اللغة الروسية بين الطلبة اليهود، وشاعت الدعوة إلى الاندماج في المجتمع الروسي وتعلم اللغة الروسية؛ بل وجعلها لغة قومية لليهود، وقاموا بتشكيل جمعيات تدعو لذلك، وراحت الصحف تروج لهذه الجمعيات ومن أشهرها جمعية (نشر التنوير) التي أسسها بطرس برغ سنة ١٨٦٧م.

ثم قامت بافتتاح فروع لها في مدن روسية عديدة من الجهة الأخرى فقد صار مشهد حضور المثقفين الروس في المنتديات اليهودية حالة مألوفة، وصار هؤلاء الروس يدعون إلى رفع الحواجز والتمييز بين الشعب الروسي والجامعات اليهودية، مما زاد في نفوذ اليهود وشجعهم على استغلال هذا الوضع، فنرى ظهور تيار يهودي يعمل بهدوء، تتمثل دعوته بمحاربة الاندماج مع المجتمع الروسي، ويدعو إلى إحياء اللغة العبرية والاحتفاظ بالشخصية اليهودية، وهذه أول البوادر التي ظهرت لنشوء الصهيونية العالمية، وقد ضم هذا التيار طبقات المجتمع اليهودي المهمة مثل البرجوازية المتوسطة والطبقة المثقفة التي كان لها علاقات واتصالات خارجية مع الغرب، والتي كانت تعي أهمية رأس المال واستعماله وسيلة ضغط على الحكومات المضيفة لليهود، وكذلك الوصول بواسطته إلى أماكن صنع القرار، والتغلغل في عنعنات السلطة والتأثير المباشر في

القرارات السياسية التي تتحكم بانتهاج سياسة تتلاءم مع المصالح اليهودية في العالم<sup>(١)</sup>.

إلا أن حدثاً مهماً قد طرأ داخل المجتمع اليهودي أدى إلى ظهور الطبقة الاجتماعية عندما ارتفع عدد كبير من التجار إلى مرحلة الرأسمالية، وانخفض الآخرون إلى امتهان الحرف الصغيرة والدنيا في المجتمع، وكان هذا بسبب السياسة اليهودية المنفلتة من قيود السلطة، إذ قضت المنافسة السعيرية على عدد كبير من التجار الصغار والمتوسطين، وزادت من ملكية أصحاب رؤوس الأموال والتجار الكبار، وتزامن هذا الحدث مع زيادة عدد السكان اليهود المطردة، مما خرّجت ملكية المشاريع الإستراتيجية من أيدي مالكيها الروس إلى أيدي التجار اليهود، مثل: مطاحن الحبوب ومعامل السكر ومعامل تقطير الكحول، وهذا الحدث أثار الرأي العام في روسيا، منبهين السلطات إلى أن اليهود قد أصبحوا قوة اقتصادية كبيرة قد تتحكم في يوم ما بمصير الشعوب الروسية؛ بل وحتى السلطة القيصرية، وكتب جاكوب برافمان سنة ١٨٦٩م وكان هذا يهودياً تحول إلى المسيحية «أن الكحال يُعد مؤامرة ضد السلطة القيصرية»، وراجت أمثال هذه الكتابات في معظم مناحي القيصرية

(١) جون بيتي، الستار الحديدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨ - ٢٥ وحجاوي، مصدر

سبق ذكره ص ١٢.

الروسية، وكتب أحد مسؤولي الدولة إلى ولي العهد ألكسندر الثالث قائلاً: علينا أن نتساءل عن الأثر الذي يتركه قرار منح الإقامة لليهود في جميع أنحاء الإمبراطورية على الأوضاع الاقتصادية للجماهير الروسية، وقد شبه انتشار اليهود بالبواء، وحذر من الجيل اليهودي الجديد الذي اندرج في طبقات المجتمع الروسي.

وبدأ اليهود نتيجة نفوذهم بخلق المشكلات الاجتماعية والطائفية مع الجاليات الأخرى؛ فقد قامت في أوديسيا مذبحة بينهم وبين التجار اليونان عام ١٨٧١م كان سببها التنافس على تجارة الحبوب والبقالة، مما أشعر السلطات الروسية ببداية الخطر المحدق بها، فراحت كعادتها تصدر قرارات عديدة تحدد حرية اليهود وحركتهم في المجتمع الروسي، كما أغلقت كثيراً من المدارس، وحاربت الطقوس والشعارات اليهودية، كما أنها أدركت حدثاً اقتصادياً خطيراً؛ وهو غياب الطبقة البورجوازية الروسية واحتلال البورجوازية اليهودية محلها، وبهذا فإن الحكومة الروسية ستفقد أهم سند لها في المجتمع الروسي مع أتباعهم من طبقات الفلاحين وأصحاب المهن الصغيرة؛ فضلاً عن أن تلك الطبقة البرجوازية كانت تحل معظم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن طريق

هيمنتها في المجتمع الروسي، لكن بعد زوال هذه الطبقة أضيف عبئاً جديداً على السلطات الروسية وهو أن تقوم بمعالجة ما كانت تقوم به البرجوازية الروسية بنفسها، وبهذا فإن إقصاء اليهود عن هذه الأماكن من شأنه زيادة التفاف الجماهير الروسية حول حكومتها، ثم إعطاء الجماهير الروسية نظرة مستقبلية بأن جميع المشكلات الاقتصادية وتفشي الفقر وزعزعة الأمن كل هذا يؤول إلى تنامي النفوذ اليهودي داخل المجتمع الروسي الذي أثقل صغار التجار بالديون الربوية الفاحشة التي دفعت المرابين إلى امتلاكهم معظم الأراضي الزراعية الخصبة في الدولة، ناهيك عن سيطرتهم على قطاع السكك الحديدية وقنوات التصدير للحبوب والقنب والكتان التي تقوم على هذه أكتاف الشرائح الدنيا في المجتمع؛ ونتيجة لهذه الأزمات فقد أصبحت الأمور مهددة بانفجار أمني خطير قد ينشر الفوضى والحروب في المجتمع الروسي.

مما دفع السلطات الروسية إلى إصدار القرارات المتتالية بخصوص إقصاء اليهود في المدن الروسية، ومنع التجار الصغار والمتوسطين من العمل خارج الحظيرة اليهودية، وأوقف تعيين الخريجين في دوائر الدولة، وألغيت كثير من القرارات التي تسمح لليهود بالعمل في الجيش والمحاكم، كما صُودرت بعض

الأراضي التي يمتلكها اليهود، ومنعوا من المشاركة في مجالس البلديات والمجالس الانتخابية<sup>(١)</sup>.

ومحاولة بأخذ زمام المبادرة من قبل الإمبراطورية الروسية فقد قامت في عام ١٨٩٧م بإجراء أول إحصاء رسمي للسكان لمعرفة توزيع وكثافة الشعوب الروسية والجاليات المهاجرة مع بيانات دقيقة لإحصاء المهن والحرف والوظائف لكل شريحة من شرائح المجتمع الروسي، وكانت النتيجة أن مجموع سكان الإمبراطورية (١٢٥,٦٤٠,٠٢١) نسمة، منهم (٥,٠٥٤,٠٣٠) نسمة، أي يهود بنسبة (٢,٤٪) من مجموع السكان العام، من هؤلاء اليهود (١٦١,٥٠٠) نسمة تعترف بهم السلطات الروسية بأنهم مواطنون أصليون، وكانت كثافة توزيع السكان في أنحاء الإمبراطورية الروسية تختلف بين مدينة وأخرى، ويسري هذا الاختلاف أيضاً؛ إذ يتوزعون بشكل متباين بين منطقة وأخرى تبعاً لمصالحهم كما هو في الجدول رقم (١). أما الجانب الثاني من الإحصاء الذي يهتم بإحصاء المهن والحرف والوظائف فإنه يتمثل بالجدول رقم (٢)، وقد تم بيان نسبة اليهود من هؤلاء المهنيين والحرفيين بالنسبة للمجموع العام.

---

(١) شاكر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢. وبيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ٣١.

### جدول (١) رقم (١)

المنطقة	مجموع السكان الكلي	مجموع اليهود	نسبهم إلى مجموع السكان %	نسبتهم إلى مجموع اليهود %
المناطق البولونية	٩,٤٠٢,٢٥٣	١,٣٢١,١٠٠	١٤,١	٢٧
ليتوانيا	٤,٧٣٩,١٨٠	٦٩٧,٨٤١	١٤,٧	١٤,٣
روسيا البيضاء	٥,٣٢٣,٦٣١	٧٢٤,٥٩٠	١٣,٦	١٤,٧
أوكرانيا	١٤,٦٤٣,٠١٥	١,٤٢٥,٦١٨	٩,٧	٢٩
روسيا الجديدة	٨,٢٣٠,٤٨٨	٧٣٠,٢٧٨	٩	١٥
المجموع	٤٢,٣٣٨,٥٦٧	٤,٨٩٩,٤٢٧	٦٠,١١	١٠٠

### جدول رقم (٢)

#### توزع اليهود العاملين في الأعمال المختلفة

العمل	عدد العاملين	نسبة المجموع العاملين اليهود
الحرف والصناعات	٥٤٢,٥٦٩	٣٧,٩ %
التجارة	٤٥٢,١٩٣	٣١,٦ %
الخدمات المختلفة	٢٧٧٠,٤٦٦	١٩,٤ %
المهن	٧١,٩٥٠	٥ %
النقليات	٤٥,٩٤٤	٣,٢ %
الزراعة	٤٠,٦١١	٢,٩ %
المجموع	١,٤٣٠,٧٢٧	١٠٠ %

(١) الجدولان أعلاه نقلًا عن كتاب اليهود السوفييت لسلافة حجاوي، مصدر سبق

ذكره، ص ٣٤ - ٣٥.

يلاحظ من الجدولين السابقين أن كثافة اليهود قد تركزت في المدن التابعة للحظيرة اليهودية، كما نلاحظ أن النسبة الكبيرة من جدول توزيع اليهود العاملين كانت للتجارة والحرف والصناعات، ثم الخدمات المختلفة، أما المشاريع الصناعية فإن الإحصائية أثبتت أن نحو نصف عدد هذه المشاريع تعود ملكيتها لليهود، والجدول رقم (٣) يبين أن هذه المشاريع معظمها إستراتيجية.

### جدول<sup>(١)</sup> رقم (٣)

#### ملكية المشاريع الصناعية في الحظيرة

المشاريع اليهودية	العدد العام	المشروع
٢٩٩	٣٧٢	النسيج
١٩٩	٣٢٩	الخشب
٨٣	١١٠	التبغ
٢٨٧	٥٣٠	الجلود
١٢٢	١٣٩	الصابون
١٥٧	٧٥٢	الطابوق
٥٧	٨٦٤	التقطير
١١٠	٣٨١	معامل البيرة
٨٣	١١٩	المياه المعدنية
١٣٩٧	٣٦٠٣	المجموع

(١) الجدول أعلاه نقلاً عن سلافه حجاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨.

وكما هو مبين لقد كان لحياسة معظم الحرف الرئيسية وانتقال الملكيات الأساسية للاقتصاد الروسي بيد اليهود قد سبب في تزايد كراهية المواطن الروسي لليهودي الذي أصبحت بيده معظم مقدرات الشعب الروسي؛ فهو المرابي الذي يفرض هيمنته على أسواق المال، وهو تاجر الحبوب الذي يتحكم برغيف الخبز، وهو صاحب المهنة والحرفة التي يلجأ إليه المواطن الروسي في أغلب حاجاته اليومية، فضلاً عن تحكم مالكي المشاريع الكبيرة والأراضي الزراعية الواسعة بإنتاجهم وفرض الأسعار التي أنهكت كاهل المواطنين الروس؛ بل وأصبحوا يجدون أنفسهم تحت رحمة هؤلاء الضيوف في كل مجالات الحياة.

وتقول حجاوي في كتابها اليهود السوفييت: «ولا يمكن إغفال مشاعر الكراهية التي حملتها مختلف طبقات السكان من روس وأوكرانيين وبيلوروس وغيرهم لليهود، تلك الكراهية المنطلقة أساساً من طبيعة تلك الوظيفة الاجتماعية التجارية التي دأبوا على ممارستها بشكل ملفت للنظر؛ فقد أدت سيطرة التجار اليهود على معظم تجارة المنتجات الزراعية في الحظيرة إلى وجود احتكاك مباشر ومستمر بين هؤلاء التجار والفلاحين احتكاكاً لا يختلف كثيراً عن عهد الإقطاع من حيث طبيعته الاستغلالية، ويصف إسحق دويتشر التطورات الجديدة قائلاً: كان وضع اليهود بشكل عام أفضل من وضع الفلاحين الروس،

وكان الروسي ينظر بعين الريبة إلى البقال اليهودي في القرية أو صاحب الحانة التي كانت تجارته في الغالب تقوم على الاحتيال؛ وذلك زيادة على ما نشأ من عداة مستحكم بين البرجوازية التجارية الروسية والأوكرانية وغيرها وبين صغار تجار الروس، ذلك العداة الذي كان أصلاً وراء تشكيل حظيرة التوطين اليهودية، والذي استمر في التصاعد على شكل تنافس تجاري ضار، هدفه الاستحواذ على أكبر قسط من الأرباح المستلمة أساساً من أفواه الجماهير الفلاحية المدقعة التي خلفها قانون إلغاء القنانة وتفتيت الإقطاع وجعلها في مهب الريح. كذلك فقد كانت المنافسة على أشدها بين الحرفيين أصحاب دكاكين البقالة والخياطين وغيرهم؛ لا بل إن قطاع العمال الصناعيين كان لا ينظر بعين الراحة إلى العمال اليهود الذين يتوجهون للصناعات الخفيفة من دون أن يقتربوا من الصناعات الثقيلة، ويفضلون الحرف الناعمة على الخشنة منها. كما لا شك بأن تيار الهجرة إلى خارج روسيا الذي بدأه العمال اليهود المهرة قد أثار حفيظة العمال الروس الذين كانوا يبلورون حركتهم العمالية الثورية بقيادة الحزب الديمقراطي الاشتراكي، وكانوا في أمس الحاجة لعمال الصناعيين المهنيين لدعم الطبقة البروليتارية الناشئة»<sup>(١)</sup>.

(١) حجاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩ - ٤٢.

## هجرة اليهود الروس

كان للظروف المحيطة للجماعات اليهودية في روسيا الأثر الكبير في نشوء فكرة الهجرة التي كانت تتمثل بنوعين، داخلية وخارجية، فالداخلية من الشمال للجنوب، وذلك سعياً وراء أماكن الهدوء والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، والخارجية إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت الظروف المحيطة بالجماعات اليهودية تتمثل بالعنف الذي حصل لهم وجرهم إلى دخول نزاعات داخلية تتصاعد بشكل مضطرد، تدفعها أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة؛ فمن الأسباب المباشرة اغتيال القيصر ألكسندر الثاني الذي اتهم باغتياله اليهود، وشجعت السلطة الجماهير بصورة غير مباشرة على مواجهة اليهود ومحاولة القضاء على نفوذهم بهذه الحجة.

أما الأسباب غير المباشرة فكثيرة، منها نشاط حزب (الناردو) الذي كان له الدور الرئيس في تأجيج الرأي العام وتأييب الجماهير ضد الممارسات اليهودية، وقد عمل هذا الحزب مدةً طويلةً سراً، كذلك تأسيس جمعية (العصبة المقدسة) التي أخذت على عاتقها التحريض ضد اليهود والتخطيط لأعمال العنف والتصفيات الجسدية والمذابح

الجماعية، وهذه الجمعية كانت تعمل بالسر ويعلم من السلطات القيصرية، وتذكر المصادر أن (٢١٥) حادثة عنف قد وقعت بين عامي ١٨٨١ - ١٨٨٣م سقط خلالها أعداد من اليهود بين قتلى وجرحى<sup>(١)</sup>. كما استمرت أحداث العنف ضد اليهود تتوالى بين الفينة والأخرى، وكانت هناك إصابات منظمة استغلت السلطة القيصرية كراهيتها لليهود وشجعتهم بصورة غير مباشرة من خلال إفهامهم أنهم جاؤوا لتحطيم روسيا والقضاء على العنصر السلافي فيها، فضلاً عن القوانين الصارمة التي تفننت فيها السلطات الروسية ضد اليهود، وكان آخرها توجيه تهمة التجسس لحساب ألمانيا؛ إذ قامت السلطة بنقل كافة اليهود المقيمين في المناطق الغربية من حظيرة التوطن ودون تمييز إلى أواسط روسيا، وتم ترحيلهم بطرائق مزرية متمثلة بالقسوة وعدم الاكتراث للمكياتهم أو أراضيهم التي يتركونها وراءهم، ونقلوا بوسائط النقل التي تفتقر إلى أدنى أساليب الراحة مع إذلالهم وتجويعهم وحرمانهم من أي خدمات طبية خلال الطريق.

ومنذ بداية تلك الأحداث في الثمانينيات من القرن التاسع عشر بدأت فكرة الهجرة الخارجية تختمر لدى

(١) بيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢، وحجاوي مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

الشرائح اليهودية، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية الهدف الأول لليهود؛ إذ الازدهار والاستقرار الاقتصادي والسياسي، وفعلاً خلال عقدين من الزمان هاجر نحو مليوني يهودي إلى الولايات المتحدة، ونشأت جمعية يهودية باسم (عام عولان)، وتعني (الشعب الخالد)، مهمة هذه الجمعية تشجيع الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ودأبت هذه الجمعية على ترويج الدعاية للعمل في الزراعة وإقامة مزارع جماعية في الولايات المتحدة يستطيعون من خلالها إعادة الشمل اليهودي، ومنحة الحياة الحرة الجديدة، في الوقت نفسه كانت بريطانيا والدول الأوروبية يصدرون قوانين تمنع دخول المهاجرين اليهود إلى أراضيهم؛ إذ كانوا يسمونهم الغرباء، وخذت فرنسا وألمانيا حذو مثيلاتها إلى ذلك<sup>(١)</sup>.

(١) يقول جون بيتي: في نيويورك وحدها يوجد أكثر من مليون ونصف المليون من اليهود، وهم خليط من الروس والبولنديين والإيطاليين، ولكن أكثرهم جاء من ذلك القسم من بولونيا المتاخمة للأراضي الروسية. لقد سيطر يهود الخزر على سائر اليهود الذين هاجروا قبل خمسين سنة إلى أمريكا، لقد سيطروا عليهم وقلبوا حياتهم رأساً على عقب، وجعلوهم ينصاعون لإرادتهم، وربما كان انصياعهم عن رهبة لا رغبة، وعن خوف لا ميل. لقد قلبت الأوضاع وامتثل اليهود القديما المخلصون للبلاد على اليهود المستجدين الذين جاؤوا من أوروبا الشرقية في الحقبة الأخيرة، وهذا موطن الخطر. واستفحل أمر الهجرة اليهودية واعترض عليها كثيرون من نواب الأمة، وشيوخها، وصاحوا محتجين: «إننا أصبحنا أمة داخل أمة، أو حكومة داخل حكومة»، وطلبوا بوقف الهجرة حتى لا يتفرق الشعب شيعاً وأحزاباً، وكان عدد اليهود القاطنين في أمريكا سنة (١٨٧٧) زهاء ٢٣٠,٠٠٠ فأصبحوا ٤٧٥,٠٠٠ في عام (١٨٩٠)، ثم ١,٧٧٥,٠٠٠ في عام (١٩٣٦)، وإلى ٧,٥٠٠,٠٠٠ في وقتنا =

والهدف الثاني من هجرة اليهود كان فلسطين التي بدأت الحكومة البريطانية بتحريض اليهود وتشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين، لاسيما في عهد رئاسة جيمس آرثر بلفور للوزارة، وفعلاً دخل فلسطين بين عامي ١٨٨٢-١٩١٤م نحو مئة ألف مهاجر يهودي، وكان سبب تشجيع الحكومة البريطانية لليهود باتجاه فلسطين التخلص منهم واستجابة للتظاهرات التي كانت تشهدها شوارع لندن مطالبة بطرد اليهود وعدم السماح لهم بدخول بريطانيا؛ لما يشكلونه من ضرر على مصالحهم الاقتصادية، وقد تشكلت لجنة حكومية لدراسة هذه المشكلة ووضع الحلول السريعة لها، وفعلاً قامت هذه اللجنة بإصدار لائحة تتضمن سلسلة من القيود الصارمة على دخول الأراضي البريطانية.

وقد أشار هرتزل على اللجنة بأن هذه اللائحة لا تجدي نفعاً؛ بل علينا أن نجد مكاناً نفرغ فيه هؤلاء اليهود، وقد أيده بذلك وزير المستعمرات آنذاك (تشمبرلن)، أما بلفور فقد قال

---

= هذا. ومع ضخامة هذا العدد إلا أن الإحصاء غير الرسمي يرتفع بالعدد إلى عشرة ملايين.. نعم عشرة ملايين!

وفي بحث رسمي عن السكان الأصليين والمهاجرين واليهود وردت هذه العبارة: (وفي سنة ١٩٣٧) كان اليهود يمثلون أربعة بالمائة من مجموع السكان، فأصبحوا الآن يمثلون نسبة أكبر لتدفق الهجرة من أوروبا، لقد زاد عدد الأمريكيين الأقحاح ثلاثة أضعاف منذ سنة (١٨٧٧)، أما اليهود فزادوا ٢١ ضعفاً، أي أن نسبتهم منذ سنة (١٨٧٧) أصبحت ٢١٠٠ بالمائة. راجع: بيتي، الستار الحديدي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦ و ٢٧.

«إنه لن يكون في صالحنا أن توجد كتلة بشرية تبقى منفصلة بفعل ممارساتها الذاتية ليس فقط باعتناقها ديناً مختلفاً عن دين الغالبية السكانية؛ وأيضاً بسبب عدم التزاوج إلا فيما بينها»<sup>(١)</sup>.

### (وصول اليهود لاستلام السلطة في روسيا)

لقد عمل يهود الخزر الذين لم يهاجروا من روسيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو إلى أوروبا إلى التخطيط الدقيق للوصول إلى سدة الحكم، وكانت بداية ذلك أن قام اليهود بتأسيس الأحزاب والاتحادات السياسية في روسيا والبلدان المجاورة لها، فقد أسسوا (الحزب الروسي) في أواخر الثمانينيات من القرن الثامن عشر، وأنشئ في عام ١٨٩٧م (اتحاد العمال اليهود) في بولندا وليتوانيا، وكانت معظم أهدافه ثورية، وقبل ذلك في عام ١٨٨٤م عُقد اجتماع يهودي دولي عند الحدود الروسية في مدينة كاتويتز حضره ممثلون عن جميع الطوائف اليهودية من جميع البلدان، وكان محور هذا الاجتماع يدور حول احتلال فلسطين، كما أن اليهود في روسيا قد بدؤوا في اعتناق الماركسية ليس لأنها حزب ثوري؛ وإنما لأن كارل ماركس كان يهودياً، وأن تعاليمه تتفق مع التلمود البابلي، ثم إنهم أيّدوا

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧ - ٢٨.

البلاشفة تأييداً فاعلاً؛ لأن الشيوعية تؤدي إلى السيطرة على الحكم، وهم يرومون إلى التخلص من القيصر. وهكذا تألفت من اليهود والخزر والشيوعيين قوة كبيرة أدت دوراً مهماً في رسم مستقبل البلاد السياسي.

ويقول جون بيتي في كتابه الستار الحديدي حول أمريكا: «وجاءت اللحظة الحاسمة في عام ١٩١٧م عندما كانت روسيا تترنح تحت ضربات ألمانيا قبل أن تقع ألمانيا بدورها صريعة تحت قدمي بريطانيا وفرنسا وأمريكا بعد ذلك بعام واحد، وكانت هذه اللحظة عندما أوقف الشيوعيون في الخامس عشر من شهر مارس عام ١٩١٧م القطار الذي كان يقل القيصر، وقالوا إن حكمه قد انتهى؛ وهنا فقط أحس اليهود الذين يعيشون في روسيا فجأة أنهم قد تخلصوا من الاضطهاد والذل.

وفي هذه اللحظة ظهر لينين على المسرح بعد غياب تسع سنوات، وأدرك الألمان أن لينين لن يكون أكثر من رجل سيثير المتاعب لروسيا عدوة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، فقدمت له كل ما يحتاج إليه من مساعدات، ونقلته هو ومن كان معه من رفاقه الذين قدر عددهم بنحو (٢٠٠) في قطار مقفل من سويسرا حتى حدود روسيا.

وعندما أعلن عن أسماء وجنسيات الذين كانوا يصاحبون لينين في سفرته إلى روسيا اتضح أنه (١٢٨) منهم كانوا من

اليهود، وفي الوقت نفسه وصل تروتسكي من الولايات المتحدة يتبعه نحو (٣٠٠) يهودي آخرين من مدينة نيويورك وانضموا إلى الحزب الشيوعي.

وهكذا حكم روسيا لينين - واسمه الحقيقي برونشتاين - وطائفة من اليهود من غير الروس وعدد آخر من يهود الروس والخزر، وأصبح أولئك جميعاً سادة روسيا.

إن الزعماء الذين ينحدرون من أصل يهودي أمثال تروتسكي وزينونيف وكامانيف وسفير دولف هم الذين مكثوا البولشفيك من أن يسيطروا على مقاليد الأمور في روسيا، وعندما أصبح لليهود هذه القوة في روسيا وأحسوا بأن جهاز الحكم كله غدا رهن إشارتهم أخذوا يوجهون كل وسائل الدعاية لتحقيق مآربهم العنصرية؛ فالصحافة هناك تنشر من يوم إلى آخر طائفة من المقالات التي تهاجم الميول المناوئة للسامية، وقد حدث في عام ١٩٣٥م أن قضت المحكمة بأن مناوأة السامية في روسيا عقوبتها الإعدام.

ومما يلاحظ هنا أن زعماء روسيا ومنهم ستالين وكاجانوفيتش وبريا ومولتوف ولينيتوف كانوا إما من أصل يهودي وإما متزوجين من يهوديات؛ فكان زعماء الحركة الصهيونية السابقة الذين ظهروا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل

القرن العشرين من أبناء بلاد أوروبا الشرقية، فتودور هرتزل مثلاً صاحب فكرة الدولة اليهودية والزعيم الذي رأس المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في سويسرا في أغسطس عام ١٨٩٧م كان من مواليد بودابست، ووايزمان أيضاً من مواليد بولندا<sup>(١)</sup>.

ولذلك فليس بعجيب أن نرى أن المهاجرين اليهود الذين يفدون إلى فلسطين ينتمون إلى أصل سوفييتي أو إلى بلاد شرق أوروبا التي تدور في فلك السوفييت اليوم، «لقد دخلت الصهيونية مرحلتها العنيفة بعد اكتشاف الثروة المعدنية الهائلة في فلسطين؛ إذ قدرت هذه الثروة في البحر الميت وحده بنحو بمليارات الدولارات، وقد عهدت روسيا إلى اليهود الخزر بالمهام السرية ولا سيما فيما يتعلق منها بالجاسوسية، ويتضح هذا من استعراض قضايا الجاسوسية الذرية في كندا؛ إذ كان المتهمون فيها هم سام كار؛ وهو منظم شبكة الجاسوسية، وكل أولئك إما من مواليد روسيا وإما من البلاد التابعة لها»<sup>(٢)</sup>.

### هجرة يهود الخزر إلى إنجلترا

مرّ بنا قبل صفحات كيف تظاهرت الشعوب البريطانية رافضة سماح الحكومة بدخول اليهود واستيطانهم فوق أراضيها،

---

(١) جون بيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣ - ٢٥.  
(٢) فريخ، غازي محمد، النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص ٢٠٩ - ٢٢٠.

إلا أن أساليب اليهود في تحقيق أغراضهم غالبًا ما تحظى بالنجاح؛ والسبب في ذلك يرجع إلى التخطيط البعيد واستعمال رأس المال اليهودي في تحقيق الغايات بطريقة الرشاوى وإثقال المقابل بالديون الربوية وما شابه ذلك من هذا القبيل، وبالطريقة نفسها فقد نجح اليهود في بلوغ غايتهم بإدخال نفوذهم في إنجلترا؛ إذ دفع المرابون اليهود معونة مالية إلى (كرومويل) إثر قيامه بالثورة مقابل حصوله على إقرار من السلطة الإنكليزية بقبول اليهود كمواطنين في إنجلترا، ولكن وجود الملك (شارل الأول) على العرش حال دون ذلك؛ إذ رفض أن يعترف بوجودهم في البلاد، ولكن اليهود لم يلبثوا أن دبّروا طريقة لإعدامه.

وبعد صعود الملك (تشارلز الثاني) عام ١٦٦٠م على العرش كان اليهود قد رسخوا نفوذهم في أسواق بريطانيا، وتمكنوا من السيطرة على مقدرات البلاد المالية، وكانت الأحداث السياسية قد أثرت تأثيرًا كبيرًا في ضعف الخزينة، مما اضطرت الحكومة على الاقتراض من اليهود مقابل فوائد فاحشة، كانت هذه القروض بداية لسيطرة اليهود على البلاد؛ إذ قاموا بحيازة معظم الممتلكات والأراضي مقابل ديونهم التي عجز المقترضون عن سدادها، ثم إنهم استغلوا ضعف الإنجليز المادي آنذاك وعجزهم عن الوفاء بالديون وفوائدها ولا سيما النبلاء منهم، مما أرغمهم على مصاهرة اليهود والاقتران

ببنايهم بعد أن كانوا يأنفون ذلك ويعدونهم من طبقات لا تليق بهم في هذا الخصوص، وهذه خطوة أدخلت اليهودية إلى بيوت النبلاء وإلى أعرق البيوت الإنكليزية؛ لتصبح المرأة اليهودية الآمرة الناهية في الدولة<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ١٩١٧م بلغ نفوذ اليهود في إنكلترا حدًا مكنهم من إنشاء أول محفل ماسوني في لندن، وأسندوا رئاسته إلى العاهل الإنكليزي؛ ليستغلوا نفوذه في تحقيق غاياتهم، وفي السنوات اللاحقة أنشئت محافل فرعية في أسكوتلندا وأيرلندا، ومن ثم انتشرت في أوروبا الغربية وجميع أنحاء العالم<sup>(٢)</sup>.

وقد مارس العاهل الإنكليزي تحيزًا كبيرًا لصالح اليهود على الرغم من إعلانه أنه مسيحي، إلا أن يهوديته بالسر دفعته لدعم الوجود اليهودي سيما بالجانب الاقتصادي، إذ أصدر العديد من القرارات لصالح اليهود ومنها تنقية المصارف من المساهمين غير اليهود ليصبح النفوذ المالي اليهودي هو القوة المهيمنة على بريطانيا. عندها أصبحت لندن المركز الأول للحركة اليهودية العالمية بفعل ثراء اليهود، وأصبحت الحركة

---

(١) ناجي، س، المفسدون في الأرض، دار العربي للنشر والتوزيع والإعلان، ط٢، دمشق،

١٩٧٣ ص ٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

الصهيونية تظهر بشكل لم يسبق له مثيل. لا سما في تطبيق بروتوكولات اليهود الرامية إلى اغتصاب فلسطين، وهكذا تتوالى الأحداث السياسية التي يؤدي اليهود فيها أدواراً مهمة لاسيما في أماكن صنع القرار، فقد بلغ نفوذ اليهود ذروته عام ١٩١٠م عندما أصبح مجلس العرش البريطاني تسعة أعضاء يهود من أصل اثني عشر عضواً<sup>(١)</sup>، كما أن المجلس الاستشاري الأعلى كان يضم عدداً كبيراً من اليهود.

(١) على الرغم من أن عدد اليهود في المملكة المتحدة آنذاك لا يتجاوز الثلاث مئة ألف نسمة إلا أن تأثير الضغط السياسي لليهود على الحكومة البريطانية كان قوياً إلى درجة جعل بريطانيا تنصدر المؤتمرات والمشاريع الخاصة بتوطين اليهود، كان لبريطانيا الدور الرئيس في تحريض يهود العالم ومساعدتهم بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على حرص البريطانيين الجاد في التخلص من اليهود وممارساتهم، وقد تعاطفت مع الجهود البريطانية دول عديدة أوروبية منها وغربية للسبب نفسه، ويمكن لنا في الجداول الآتية أن نرى المواطن التي وصلت إليها الجماعات اليهودية المهاجرة من بلاد الخزر إلى روسيا ثم إلى البلدان الأخرى، وحيث إن الجماعات اليهودية موزعة في أرجاء العالم من الناحية الجغرافية على النحو الآتي:

١,٩٢٤,٢٠٠	أوروبا (بما في ذلك روسيا الآسيوية، والبلقان، تركيا)
٤,٣٧٨,٦٠٠	آسيا (فلسطين المحتلة أساساً)
١٠٦,٧٠٠	إفريقيا (جنوب إفريقيا أساساً)
٦,٤٠٩,٧٠٠	أمريكا الشمالية وأمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية
٩٤,٦٠٠	(الولايات المتحدة) أستراليا ونيوزيلندا
١٢,٩١٣,٨٠٠	المجموع

== أمريكا الشمالية:

نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
١٢,٨	٣٥٦,٠٠٠	٢٧,٧٥٥,٠٠٠	كندا
٢١,٨	٥,٦٢٠,٠٠٠		الولايات المتحدة
٢٠,٩	٥,٩٧٦,٠٠٠	٢٨٥,٥٩٥,٠٠٠	المجموع

النسبة في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
٢,٣	٤٠٠	١٧٥,٠٠٠	الافتليز الهولند
٢,٠	٥,٠٠٠	٢,٥٦٣,٠٠٠	بنما
٠,٤	١,٥٠٠	٣,٦٢٦,٠٠٠	بورتوريكو
٠,١	٣٠٠	٢,٤٩٥,٠٠٠	جمايكا
١,١	٣٠٠	٢٦٨,٠٠٠	جزر البهاما
٠,١	٨٠٠	١٠,٠٢٩,٠٠٠	غواتمالا
—	١٠٠	٧,٦٢١,٠٠٠	الدومينكان
—	٣٠٠	١٠٧,٠٠٠	فيرجن إيلاند
٢٠,٨	٧٠٠	١٠,٩٠٧,٠٠٠	كوبا
٠,١	٢,٠٠٠	٣,٢٧٠,٠٠٠	كوستاريكا
٠,٦	٤٠,٠٠٠	٨٩,٩٩٨,٠٠٠	المكسيك
٠,٤	٣٠٠	٢٥,٣٣٠,٠٠٠	بلاد أخرى
—			
٠,٣	٥١,٧٠٠	١٥٦,٣٨٩,٠٠٠	المجموع

أمريكا الوسطى و أمريكا الجنوبية

النسبة في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
٦,٣	٢١١,٠٠٠	٣٣,٤٨٧,٠٠٠	الأرجنتين
٠,١	٩٠٠	١١,٣١٠,٠٠٠	أكوادور
٧٠,٦	٢٣,٨٠٠	٣,١٤٩,٠٠٠	أوروغواي

٦,٣	٢١١,٠٠٠	٣٣,٤٨٧,٠٠٠	الأرجنتين
٠,١	٩٠٠	١١,٣١٠,٠٠٠	أكوادور
٧٠٦	٢٣,٨٠٠	٣,١٤٩,٠٠٠	أوروغواي
٠,٢	٩٠٠	٤,٦٤٣,٠٠٠	باراغواي
٠,٦	١٠٠,٠٠٠	١٥٦,٥٧٨,٠٠٠	البرازيل
٠,١	٧٠٠	٧,٧٠٥,٠٠٠	بوليفيا
٠,١	٣,٠٠٠	٢٢,٩١٣,٠٠٠	بيرو
٠,٤	٢٠٠	٤٤٦,٠٠٠	سورينام
١,١	١٥,٠٠٠	١٣,٨١٣,٠٠٠	شيلي
١,٠	٢٠,٠٠٠	٢٠,٦١٨,٠٠٠	فتزويلا
٠,٢	٦,٥٠٠	٢٣,٩٨٥,٠٠٠	كولومبيا
٨,٥٣	٦,٤٠٩,٧٠٠	٧٥٠,٦٣١,٠٠٠	المجموع الكلي للبلاد الأمريكية

### أستراليا ونيوزيلندا

النسبة في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
٥,٠	٩٠,٠٠٠	١٧,٨٤٣,٠٠٠	أستراليا
١,٣	٤,٥٠٠	٣,٤٨٧,٠٠٠	نيوزيلندا
—	١٠٠	٦,٦١٧,٠٠	بلاد أخرى
٣,٤	٩٤,٦٠٠	٢٧,٩٤٧,٠٠٠	المجموع

### آسيا

نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
٨١٦,٥	٤,٢٤٢,٥٠٠	٥,١٩٥,٩٠٠	إسرائيل

== نسب اليهود في دول أمريكا الجنوبية

النسبة في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
٦,٣	٢١١,٠٠٠	٣٣,٤٨٧,٠٠٠	الأرجنتين
٠,١	٩٠٠	١١,٣١٠,٠٠٠	أكوادور
٧٠٦	٢٣,٨٠٠	٣,١٤٩,٠٠٠	أوروغواي
٠,٢	٩٠٠	٤,٦٤٣,٠٠٠	باراغواي
٠,٦	١٠٠,٠٠٠	١٥٦,٥٧٨,٠٠٠	البرازيل
٠,١	٧٠٠	٧,٧٠٥,٠٠٠	بوليفيا
٠,١	٣,٠٠٠	٢٢,٩١٣,٠٠٠	بيرو
٠,٤	٢٠٠	٤٤٦,٠٠٠	سورينام
١,١	١٥,٠٠٠	١٣,٨١٣,٠٠٠	شيلي
١,٠	٢٠,٠٠٠	٢٠,٦١٨,٠٠٠	فنزويلا
٠,٢	٦,٥٠٠	٢٣,٩٨٥,٠٠٠	كولومبيا
٨,٥٣	٦,٤٠٩,٧٠٠	٧٥٠,٦٣١,٠٠٠	المجموع الكلي للبلاد الأمريكية

بلاد آسيوية

النسبة في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
٠,٣	١٦,٠٠٠	٦٣,١٨٠,٠٠٠	إيران
—	٢٠٠	٥٦,٨٦٨,٠٠٠	تايلاند
—	٣٠٠	٢,٧٩٨,٠٠٠	سنغافورة
٠,١	١,٢٠٠	١٣,٧٦٢,٠٠٠	سوريا
٠,١	٢٠٠	١٩,٩١٨,٠٠٠	العراق
—	١٠٠	٦٦,٥٤٣,٠٠٠	الضليين
—	١٠٠	٤٤,٥٠٨,٠٠٠	كوريا الجنوبية
—	٤,٥٠٠	٨٩٦,٥٦٧,٠٠٠	الهند
—	١,٠٠٠	٥,٨٤٥,٠٠٠	هونغ كونغ
—	١,٠٠٠	١٢٤,٩٥٩,٠٠٠	اليابان
—	١,٦٠٠	١٢,٩٧٧,٠٠٠	اليمن
٠,٢	٣٠٠	١,٩١٨,٥٠٦,٠٠٠	بلاد أخرى

الفصل الثالث: نهاية إمبراطورية الخزر

—				=
٠,١				
—				
—	٢٦,٥٠٠	٣,٢٢٦,٤٣١,١٠٠	المجموع	
١,٣	٤,٣٧٨,٦٠٠	٣,٣٠٠,٩٢٧,٠٠٠	المجموع الكلي للبلاد الآسيوية	

إفريقيا

النسبة في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
—	١,٥٠٠	٥٤,٦٢٨,٠٠٠	أثيوبيا
٠,٢	٢,٠٠٠	٨,٥٧٩,٠٠٠	تونس
—	٣٠٠	١٩,٥٩٠,٠٠٠	الجزائر
—	١٠٠,٠٠٠	٤٠,٧٧٤,٠٠٠	جنوب إفريقيا
٢٠٥	٤٠٠	٤١٠,١٦٦,٠٠٠	زائير
—	٣٠٠	٨,٨٨٥,٠٠٠	زامبيا
—	١,٠٠٠	١٠,٨٩٨,٠٠٠	زيمبابوي
—	٢٠٠	٥٦,٠٦٠,٠٠٠	مصر
٠,١	١,٠٠٠	٤٢٧,٩٩٠,٠٠٠	بلاد أخرى
—			
—			
١,٦	١٠٦,٧٠٠	٦٦,٨٥٧,٠٠٠	المجموع

أوروبا

الجماعة الأوروبية

النسبة في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
٠,٣	١٢,٠٠٠	٣٩,١٥٣,٠٠٠	إسبانيا
٠,٦	٥٠,٠٠٠	٨٠,٦٠٦,٠٠٠	ألمانيا
٠,٥	١,٨٠٠	٣,٤٨١,٠٠٠	إيرلندا

٠,٥	٣١,٠٠٠	٥٧,٨٢٦,٠٠٠	إيطاليا
—	٣٠٠	٩,٨٧٠,٠٠٠	البرتغال
٣,٢	٣١,٠٠٠	١٠,٠١٠,٠٠٠	بلجيكا
١,٢	٦,٤٠٠	٥,١٦٩,٠٠٠	الدنمارك
٩,٢	٥٣٠,٠٠٠	٥٧,٣٧٩,٠٠٠	فرنسا
١,٦	٦٠٠	٣٨٠,٠٠٠	لوكسمبورغ
٥,١	٢٩٨,٠٠٠	٥٨,٠٣٩,٠٠٠	المملكة المتحدة
١,٧	٢٥,٦٠٠	١٥,٢٧٠,٠٠٠	هولندا
٠,٥	٤,٨٠٠	١٠,٢٠٨,٠٠٠	اليونان
٢,٩	٩٩٢,٣٠٠	٣٤٧,٣٩١,٠٠٠	المجموع

باقي دول أوروبا الغربية

النسبة في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
١٩,٤	٦٠٠	٣١,٠٠٠	جبل طارق
١,٧	١٥,٠٠٠	٨,٦٩٢,٠٠٠	السويد
٢,٨	١٩,٠٠٠	٦,٨٦٢,٠٠٠	سويسرا
٠,٣	١,٣٠٠	٥,٠٢٠,٠٠٠	فنلندا
٠,٢	١,٠٠٠	٤,٣١٠,٠٠٠	النرويج
٠,٩	٧,٠٠٠	٧,٨٠٥,٠٠٠	النمسا
٠,١	١٠٠	٧٧١,٠٠٠	بلاد أخرى
١,٣	٤٤,٠٠٠	٣٣,٤٩١,٠٠٠	المجموع

البلاد الأوروبية في الاتحاد السوفياتي (سابقاً)

النسبة في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
٢,١	٣,٤٠٠	١,٦٠٠,٠٠٠	أستونيا
٥,٣	٢٧٦,٠٠٠	٥١,٩٠٠,٠٠٠	أوكرانيا
٢,٨	٤١٥,٠٠٠	١٤٩,٠٠٠,٠٠٠	روسيا
٤,٥	٤٦,٠٠٠	١٠,٣٠٠,٠٠٠	روسيا البيضاء
٥,٢	١٣,٥٠٠	٢,٦٠٠,٠٠٠	لاتفيا

١,٧	٦,٥٠٠	٣,٨٠٠,٠٠٠	ليتوانيا
٤,٤	١٩,٤٠٠	٤,٤٠٠,٠٠٠	مولدافيا
٣,٥	٧٧٩,٨٠٠	٢٢٣,٦٠٠,٠٠٠	المجموع

### أوروبا الشرقية

النسبة في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	البلد
٠,٢	١,٩٠٠	٨,٩٢٦,٠٠٠	بلغاريا
٠,١	٣٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	البوسنة والهرسك
٠,١	٣,٦٠٠	٨٣,٥١,٠٠٠	بولندا
٠,٣	١٩,٥٠٠	٥٩,٥٧٧,٠٠٠	تركيا (بما في ذلك
٠,٤	٣,٨٠٠	١٠,٣٠٠,٠٠٠	المناطق الآسيوية)
٠,٧	١٦,٠٠٠	٣٢,٣٧٧,٠٠٠	تشيك
٠,٧	٣,٨٠٠	٥,٣٠٠,٠٠٠	رومانيا
—	١٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	سوفاكيا
٠,٣	١,٤٠٠	٤,٤٠٠,٠٠٠	يوفينيا
٥,٣	٥٦,٠٠٠	١٠,٤٩٣,٠٠٠	كرواتيا
٠,٢	١,٧٠٠	٩,٨٠٠,٠٠٠	المجر
			يوغسلافيا
٠,٦	١٠٨,٠٠٠	١٧٦,٦٩١,٠٠٠	المجموع
٢,٥	١,٩٢٤,٢٠٠	٧٨١,١٧٣,٠٠٠	المجموع الكلي للبلاد الأوروبية

ويلاحظ أنه يوجد دولتان اثنتان (الولايات المتحدة وإسرائيل) تضمغان الأغلبية الساحقة لليهود العام (٧٥٪). ولا يزيد عدد اليهود عن نصف مليون إلا في دولة واحدة (فرنسا). وينقص عن النصف مليون في دولة أخرى (روسيا). وتوجد دولتان (جنوب إفريقيا والبرازيل) يزيد عدد اليهود في كل منهما عن مئة ألف. وباستثناء المجر (٥٦ ألفاً) والمكسيك (٤٠ ألفاً) لا توجد دولة واحدة أخرى يزيد عدد اليهود عن (٣٥ ألفاً)، ففي بلجيكا يوجد (٨٠٠)، وفي إيطاليا (٣٣١) وفي أوروغواي (٨٠٠,٢٣) وفي رومانيا (١١٦).

ويرأسه اليهودي (موريس هانكي) (Morris Hanky)، وفي مجلس اللوردات كان لليهود أحد عشر لوردًا. وهكذا استمر النفوذ اليهودي على أشده في السياسة البريطانية خلال القرن العشرين، حتى إن المرشحين الوحيدين لرتاسة بلدية لندن عام ١٩٤٢م كانا من اليهود: وهما: (صموئيل جوزف) (Samuel Joseph) و(فرنك بوليتزر) (Frank Politzir)، وكذلك فرض اليهود على رئيس وزراء بريطانيا السير ونستون تشرشل سنة (١٩٥١) تعيين اليهودي (شارفيل) (Charwelles) وزيراً لشؤون الطاقة الذرية بالرغم من المعارضة التي واجهها بسبب هذا التعيين. والمهم في الأمر أن أصل النفوذ اليهودي في بريطانيا إنما نشأ بفعل الأموال اليهودية وتحت ضغط الديون التي أغرق بها المرابون اليهود النبلاء الإنكليز قبل قرنين.

---

= ويلاحظ أن جميع الدول السابقة تنتمي أيضاً إلى التشكيل العرقي الأبيض، أو التشكيل الاستيطاني ذي الجذور الغربية البيضاء، والواقع أن كل هذا يدعم رأينا الخاص بأن اليهود لا يوجدون في العالم بأسره، وإنما ضمن تشكيل محدد، وإن وجودهم في بعض الدول أقرب إلى الغياب، ولا يمكن أخذه بالحسبان من الناحية الإحصائية، كما هو الشأن في معظم الأقليات الدينية والإثنية في العالم. فلا يمكن أن نتحدث عن الوجود اليهودي في الهند إذ لا يوجد فيه إلا نحو (٤٥٠٠) يهودي، أو الوجود اليهودي في اليونان (٤٨٠٠) أو بولندا (٣٦٠٠)، أو النرويج (١٠٠٠)، أو زائير (٤٠٠)، أو الفلبين (١٠٠)، أو بورما (٢٠ يهودياً فقط). راجع بذلك: المسيري، عبد الوهاب الإيدولوجية الصهيونية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨ ص ٧٥ - ٨٥، وليون إبراهيم، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، ترجمة: عماد نويهض، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٨٢-١٨٨.

## الأدوار السياسية ليهود الخزر في فرنسا

كان لنشوء وتأسيس المحفل الماسوني في بريطانيا سنة ١٧١٧م الأثر في نشاط الجماعات اليهودية في دول أوروبا وغيرها، إذ انتشرت فروع المحفل الماسوني<sup>(١)</sup> في كل من المدن

(١) الماسونية أو (البناء الحر) من أقدم الجمعيات السرية التي مازالت قائمة، ولكن منشؤها ما يزال غامضاً مجهولاً، وغاياتها الحقيقية مازالت سرّاً، وقد اختلفت النظريات في أصلها، لكن الذي يرجحه بعض بأن أصول البناء الحر (الماسونية) لا ترجع إلى أصل واحد؛ وإنما قد تكون اشتقت الجانب المادي من الجمعية الرومانية وجمعية البنائين في القرون الوسطى، والمبادئ الفلسفية من تعاليم البطارقة وأسرار الاثنتيين، ولا تزال اليهودية العالمية هي القوة المحركة الكامنة وراء الماسونية، والأساتذة الكبار الحقيقيون في المحافل الماسونية هم الممثلون للجمعيات اليهودية السرية، راجع بذلك: أسكخان، محمد رفعت، جترال، أسرار الماسونية، ترجمة نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد أمين القابلي، بلا مكان طبع، ١٣٧٦هـ.

ويوضح لنا الدكتور أحمد نوري النعيمي في كتابه اليهود والدولة العثمانية أن الماسونية جاءت من كلمة (ميس) أو ماسون التي تعني بالإنجليزية والفرنسية البناء أو المعمار، وتضاف إليها عادة لفظة أخرى (فري)، أي حر، فتكون (فري مسون)، وهكذا الاسم يلفظ في العهد العثماني (فرمسون)، ومن هذا اللفظ التركي انتقلت إلى الأقطار العربية فأصبحت تلفظ (فرمصون). والماسونية اسم لهذه الجمعية، وممارساتها وطقوسها، والطريقة التي تدار بها اجتماعات فروعها المحلية التي تسمى (محافل) والتي تربط بمحفل أعظم واحد. أما فيما يتعلق بتاريخ نشوئها فإن هناك تضارباً في الآراء؛ فمنهم من يقول: إنها نشأت في القرن الثامن عشر، ومنهم يقول: إنها نشأت في هيكل سليمان، وآخرون يرون أنها أقدم من ذلك؛ إذ ترجع إلى الكهانة المصرية وغيرها. إذ معظم تعاليمها تجري بصورة شفوية، أما شعاراتها فهي الحرية والإخاء والمساواة. ويدخل فيها الأعضاء من ديانات مختلفة، ويتلقى المنتسب إليها عون أعضائها الآخرين في إصعابه للمناصب والوظائف المرموقة، داخل الماسونية هناك ثلاث وثلاثون درجة يترقى فيها الشخص من درجة إلى أخرى، ويكون هذا مرتبطاً بنشاطه وإخلاصه وكفاءته، ويمكن أن ينال فيها المراتب العليا كلما ابتعد عن دينه ووطنه، فهذه تسمى الماسونية الرمزية. =

الأوروبية المهمة، وفي فرنسا أنشئ (محفلة الأخوات التسع)، وكان هذا المحفل له فروع في أنحاء فرنسا يعمل تحت راية (حرية - إخاء - مساواة)، وعمل اليهود على تمويل الثورة الفرنسية، وكعادتهم تسللوا إلى البلاط الفرنسي عن طريق شخصية مهمة هو المركيز (ميرابو)، الذي كان مثقلاً بالديون، حيث عمل اليهود على إقراضه مبالغ طائلة مع إغرائه بالنساء، ليقوم بإيصالهم إلى الدوق (دوروليان) ابن عم ملك فرنسا، ووعدته هؤلاء بمساعدته في اعتلاء عرش فرنسا، وأدخلوه في المحفل الماسوني ليسهل لهم إقامة لجان سرية تعمل بدقة لدفع الأمور باتجاه مصالح اليهود.

وفعلاً لم تمض مدة إلا واليهود قد أصبحوا منفذين داخل الحكومة الوطنية الفرنسية التي أصدرت قراراتها بمنح اليهود جميع الحقوق التي يتمتع فيها الفرنسيون، فاستغلوا وضع البلاد ليشعلوا فيها الفتن والحروب الأهلية التي أدت إلى مجازر جماعية في أثناء الثورة الفرنسية ثم تمكنوا بالطريقة الربوية من امتلاك الأراضي الواسعة من أيدي النبلاء الذين أثقلتهم

---

= أما الماسونية اللوكية فإن جل أعضائها من اليهود، ويطلق عليهم الرفقاء، ولا يسمح لغيرهم بالدخول فيها إلا في حالة وصول العضو إلى مرتبة الماسونية الرمزية، أما الماسونية الكونية فإنها تحوي اليهود الخالص الذين يطلق عليهم الحكماء، ورئيس هذا الفريق يسمى الحكيم. راجع- النعمي مصدر سبق ذكره، ص ١٧٩-١٨٥.

ديون اليهود، ولم يجدوا سوى التنازل لهم عن مقاطعاتهم الزراعية وأملاكهم<sup>(١)</sup>. وكالعادة أدرك قادة الشعب الفرنسي ما حصل للبلاد من السقوط في كفاشة اليهود، وما وصل إليه رجال المال من السيطرة على مناطق صنع القرار، فألقى (نابليون بونابارت) كلمة في مجلس الوزراء أول يوم لاستلامه السلطة قال فيها: «إن الوضع الحالي لهذا الشعب الحقيير (أي اليهود) في بلادنا هو وضع دولة ضمن دولة تعمل ما ترغب وما تشاء؛ ولذلك أرى أن نسارع في تجريد هؤلاء من ملكية المقاطعات الغالية، ومنع المرابين من تعاطي مهنة رهن الأراضي؛ هذه المهنة الرهيبة التي مكنت اليهود من الاستيلاء على غالبية أراضي البلاد الفرنسية... أيها السادة: إن هناك قرى كاملة أخليت من أهلها وسلمت بواسطة القضاء إلى اليهود مقابل دريهمات كان أصحابها قد استدانوها منهم بفوائد خيالية، ولما عجزوا عن السداد قاضاهم اليهود وسلخوا عنهم أملاكهم، ومن ثم طردوا من أرض آبائهم وأجدادهم»<sup>(٢)</sup>.

لكن نابليون نفسه لم ينج من شرك المال اليهودي، إذ كان يحتاج إلى تمويلات حملاته العسكرية في أوروبا، مما اضطره

(١) فرج، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) ناجي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧.

إلى مهادنتهم، لكن اليهود أدركوا عداء نابليون لهم؛ فاستغلوا إمكاناتهم السياسية والمالية ببيع أسرارهم وقطع المعونات عنه، وأدت المحافل الماسونية في هولندا وألمانيا أدواراً كبيرة في إفضال حملاته من خلال شراء الذمم وإرشاء قاداته.

وبالطريقة نفسها يقول غازي محمد فريح في كتابه النشاط اليهودي في الفكر والممارسة التي استغل فيها اليهود إفلاس الخزينة الفرنسية والضائقة المالية التي وقعت بها الحكومة الفرنسية فأغرقوها بالديون، ودفعوا ببنااتهم إلى أعرق العائلات الفرنسية ليهود بعض المجتمع الفرنسي. وبهذا الشأن يقول الكاتب الفرنسي أوغست شيراك: «كان اليهودي ناثن روتشيليد أقدر رجل مال في أوروبا، يراقب وضع نابليون السياسي ساعة بعد ساعة، ولما علم بقرب سقوطه قام بشراء كل أنواع السندات لترتفع أقيامها عشرات الأضعاف بمجرد سقوط نابليون، وفعلاً في يوم واحد كانت أرباحه تزيد عن ثلاث مئة وخمسون مليون فرنك من الذهب، كما فعل أصحابه الفعلة نفسها؛ ليرجع رأس المال اليهودي هو المهيمن على اقتصاد فرنسا، وظهرت شخصيات مالية يهودية في فرنسا أمثال روتشيليد وبلاشرودر وس. آمار وكوهن وسيترن وباروخ وزاخاروف وفاربورغ، وآخرون سموا ملوك الذهب»<sup>(١)</sup>.

(١) ناجي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٩.

يقول العالم البريطاني (السير مرنسيس غالتون): «إن اختصاص اليهود هو تحقيق وجودهم الطفيلي على حساب الشعوب الأخرى، وهناك دلائل على أن الماليين اليهود كانوا وراء استمرار التورط الفرنسي في الهند الصينية بعد الحرب العالمية الثانية؛ إذ تحالفت الرأسمالية اليهودية مع بعض السياسيين الفرنسيين من صناعاتها أمثال: راماديه واليهودي جول موك وماير وبيدو وموتر؛ فأطالوا أمد الحرب حتى سحب آخر قرش وتهريبه من خزائن فرنسا؛ إذ تعدُّ من النقد النادر المكفول من قبل المصارف اليهودية»<sup>(١)</sup>.

ويقول الكاتب الفرنسي: إن في فرنسا مصرفاً أطلق عليه مصرف فرنسا المركزي، مخول بصك النقود والسندات المالية باسم فرنسا، وهو ممنوح حق الاستثمار للأعمال المصرفية كافة من تداول النقد النادر وسواه؛ علماً بأنه لا أحد من الفرنسيين أو حتى الدولة الفرنسية يملك بنساً واحداً في هذا المصرف الذي يعمل باسم الحكومة الفرنسية والشعب الفرنسي، فكل ما فيه وما يربحه للأثرياء اليهود، وكلما تكدست فيها الأموال يسارع أصحابها بتحويلها إلى نيويورك أو أوتاوا؛ فتقع البلاد في مشكلة مالية يسارع اليهود إلى حلها بطرائقهم الربوية المعروفة، وهكذا

---

(١) فورد هنري، اليهودي العالمي، تعريب: خيرى حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت،

تبقى مقدرات الحكومة والشعب وأماكن صنع القرار ووسائل الضغط السياسي بأيدي أثرياء اليهود<sup>(١)</sup>.

وتشير الإحصائيات إلى أن اليهود يملكون في فرنسا، و(٩٠٪) من الصناعات الثقيلة، و(٩٠٪) من التحف الأثرية، و(٩٨٪) من أموال سوق المضاربة والبورصة، و(٧٩٪) من أموال المصارف و(٧٥٪) من مؤسسات الترانزيت والوساطة، و(٥٥٪) من المرافق التجارية المختلفة. و(٥٠٪) من صناعة المعادن والمكائن الثقيلة.

وهذا النفوذ المالي بلا شك قد ساعد اليهود على ارتقاء المناصب المهمة والحساسة في الدولة، ودفع القرارات والقوانين إلى حمايتهم وحماية ممتلكاتهم، وفي الوقت نفسه إفراغ الخزائن الفرنسية من الأموال الخاصة والعامة لتبقى تحت رحمة أصحاب المال اليهود<sup>(٢)</sup>.

وإذا نظرنا إلى الحكومات الفرنسية المتعاقبة وحتى الحالية فإننا سنجد أغلب المناصب الحساسة والمرموقة والوزارات السيادية تتداول بين أيدي اليهود حتى لا تخرج السياسة العامة

(١) ناجي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥.

(٢) يصل عدد اليهود في فرنسا ما يقارب (٧٠٠٠٠٠) يهودي، وذلك حسب ما ورد على لسان أرثيل شارون. راجع: عامر محمد معاذ فارس، العلاقات السورية الفرنسية ما بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص ١٩٦.

عن أهدافهم وطموحاتهم في السيطرة على البلاد ودفعها إلى مواقف سياسية دولية أو إقليمية لصالح اليهود، ولا سيما في المحافل والمنظمات العالمية<sup>(١)</sup>.

### الأدوار السياسية لليهود في الولايات المتحدة الأمريكية

يقول هنري فورد في كتابه اليهودي العالمي: «لا يعرف عدد اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية غير اليهود أنفسهم، والأرقام الخاصة بذلك ملك خاص بالسلطات اليهودية وحدها، وعندما تحاول السلطات الأمريكية بطريقة منظمة الحصول على معلومات موثوقة تخص اليهود الذين يدخلون بنظام إلى هذه البلاد، فإن النفوذ اليهودي يتدخل ليحول دون ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وقد أصبحت الهجرات اليهودية إلى الولايات المتحدة تسير بشكل منظم، وهناك منظمات تقوم بإعداد وسائل الهجرة وجوازات السفر والسيطرة على المشكلات التي تعيق تدفق اليهود إلى الولايات المتحدة؛ ليجد هؤلاء المهاجرون الفرص المهيأة لهم من العمل والسكن التي تهيئها لهم الجمعيات السرية من أبناء جلدتهم، وأنهم سيجدون السيطرة اليهودية المطلقة والقوية تمامًا هنا، كما كانوا يجدونها في روسيا، وعندما غدا

(١) فورد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣١، وناجي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

(٢) فورد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦.

التيار اليهودي يسيطر على مناحي السلطات المهمة والحيوية في البلاد طلبت سلطات الإحصاء من الكونغرس السماح لهم بتصنيف الناس بحسب أجناسهم وحسب أماكن ولادتهم، نرى أن اليهود قادوا أعنف معارضة داخل الكونغرس للحيلولة دون حدوث ذلك، ووقف سيمون كوغنهايم وجوليان ماك متزعمان تلك المعارضة التي اتضح من خلالها النقاط الآتية:

١- أن اليهودي يعارض في أي تصنيف عنصري لجماعته بعد دخولهم البلاد.

٢- أن اليهودي يعارض أي تشريع يقيد دخوله للبلاد.

٣- أن اليهودي يدعي أمام الآخرين بأنه يمثل ديناً لا عنصراً.

٤- أن لليهودي رأيان، أحدهما يواجه به غير اليهودي، والثاني يحتفظ به لنفسه ويجهر به أمام إخوانه اليهود.

وعلى هذا الأساس فإن الولايات المتحدة سوف لن تستطيع أن تعمل إحصاء، أو بالأحرى سوف لن تتجح في تحديد أعداد اليهود أو أماكن قدومهم أو وجودهم، فلو سألت الولايات المتحدة عن عدد الفرنسيين أو البولنديين أو الإفريقيين لقدمت إليك الرقم فوراً، لكن إذا سألت عن عدد اليهود في البلاد فإنها

ستكون عاجزة في الرد عليك؛ لأن السجلات والوثائق تكون هي الأخرى عاجزة عن ذلك<sup>(١)</sup>.

لقد وصلت أول مجموعة مهاجرة من اليهود في أيلول ١٦٥٤م إلى ميناء أمستردام التي تحول اسمها فيما بعد إلى نيويورك، وكانت تتكون من ٣٣ شخصاً، ثم تتابعت الجماعات اليهودية ترد من أوروبا الشرقية منذ عام ١٨٨١م، وعلى الرغم من أن الحياة في أوروبا بالنسبة لليهود كانت مفعمة بالرخاء إلا أنهم كانوا دائماً يتوقون إلى استغلال الفرص لمضاعفة ممتلكاتهم المالية التي يجدون بها الوسيلة الوحيدة للسيطرة على العالم؛ وفعلاً استغل اليهود حرب الاستقلال الأمريكية عام ١٧٧٥-١٧٨١م؛ لتكون فرصة لتمويل هذه الحرب؛ بل كانوا يمولون الطرفين بالأموال والأسلحة؛ بغية إطالة أمد الحرب؛ لأن المستفيد الأول والأخير هم أنفسهم.

وبعد استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عن بريطانيا هرع المرابون اليهود بالتدخل المباشر في الاقتصاد الأمريكي، وكان ذلك بوساطة مصرف إنكلترا الذي كان تحت سيطرة المرابين اليهود، إذ تم إنشاء بنك أوف أمريكا سنة ١٧٨٣م، وهذا لم يكن إلا فرعاً لمصرف إنكلترا الذي يملكه اليهود، وقد تبته بنجامين فرنكلين -أحد زعماء الاستقلال في أمريكا-

(١) فوردي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨. وناجي، مصدر سبق ذكره ١٨٦.

إلى الخطر اليهودي على البلاد ومستقبلها، فأطلق تحذيرات في خطابه الشهير الذي ألقاه أمام المجلس التأسيسي لوضع الدستور الأمريكي سنة ١٧٨٩م، وطلب موافقة المجلس على طرد اليهود من الولايات المتحدة، وقال في خطابه: «أيها السادة، في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمة والتجارة فيها، ولم يزلوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم.

وقد أدى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب مائياً، كما هي الحال في البرتغال وإسبانيا، إذا لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنص دستورها فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مئة سنة إلى حد يقدرون معه أن يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذي بدلنا في سبيله دمائنا، وضحينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحياتنا الفردية، ولن تمض مائتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود، على حين يظل اليهود في البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين...، إنني أحذركم -أيها السادة- إنكم إن لم تبعدوا اليهود نهائياً فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم. إن اليهود لن يتخذوا مثلنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال»<sup>(١)</sup>.

(١) مأمون سعيد، حكومة العالم الخفية، ط٩، دار النفاثس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ص ٢٩٠، وناجي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٤.

إلا أن المجلس التأسيسي لم يعر أهمية لاقتراح فرنكلين بسبب نفوذ الماسونية داخل المجلس، فضلاً عن الرشاوى التي تلقاها القسم الآخر من الأعضاء، وما هي إلا مئة سنة فقط - أي نصف المدة التي حددها فرنكلين - حتى أصبحت قوة المال اليهودي (حكومة خفية) تصنع الرجال والأحداث في العالم الجديد؛ بل تقوم بإزاحة من يشاؤون من وظائف الدولة والمناصب الحساسة؛ حتى وصل بها النفوذ إلى اغتيال الرئيس الأمريكي إبراهيم لنكولن سنة ١٨٦٥ م<sup>(١)</sup> بعدما أفضل مخطط البروتشيديين في تقسيم الولايات المتحدة الأمريكية، وفي سنة ١٧٩٠ م وصل هاملتون إلى منصب وزير المالية، وبذلك استطاع أن يمنح مصرف أوف أمريكا حق إصدار النقد، وهكذا لزم اليهود مقدرات الشعب الأمريكي المالية، وقد صدرت ردود فعل غاضبة من قبل كبار القادة الأمريكيين لترفض هذا الشيء لكن من دون جدوى.

وقد حدث تقارب روسي أمريكي عندما قام قيصر روسيا إسكندر الثاني بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية في إبطال

---

(١) اغتيال لنكولن على يد اليهودي الأمريكي جون وليكس في مسرح فورد في ١٤ نيسان (١٨٦٥ م)، وتمكن الجاني من الفرار، ولكن بعد مطاردته في فيرجينا ألقى القبض عليه، وهو مصاب بجروح قاتلة، ويقال إن أحد المطاردين أطلق عليه النار، إلا أن آخرين يقولون إنه انتحر بإطلاق النار على نفسه، وقد تبين فيما بعد أن عملية الاغتيال كانت نتيجة مؤامرة من قبل اليهود، راجع: فريخ، مصدر ذكره، ص ١٩١-١٩٣.

مؤامرة اليهود في تقسيم الولايات المتحدة، وكان هذا التقارب قد شكل خطراً كبيراً على المخططات اليهودية السرية في العالم؛ مما دفع اليهود إلى دعم ثورة البلاشفة في روسيا والقضاء على حكم القيصر بغرس بذور الصراع السوفييتي الأمريكي؛ لمنع أي تقارب بين الدولتين في المستقبل<sup>(١)</sup>.

ويذكر فورد في كتابه (اليهودي العالمي) قائلاً: «إن اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية لم يكتفوا بالسيطرة على منابع المال، وأماكن الضغط السياسي؛ بل راحوا يتدخلون في ديانة الآخرين، محاولين محو كل إشارة تعطي طابعاً مسيحياً في الحياة العامة، ويعد هذا الطابع مهدداً لسلامتهم وهدوئهم، وهكذا يتحقق البرنامج اليهودي العام الذي يتلخص في ثلاث نقاط:

أولها: تثبيت أقدامهم.

وثانيها: تحطيم كل ما هو غير يهودي أو مناوئ لليهودية.

وثالثها: تمجيد اليهودية في جميع مظاهرها.

وهذا البرنامج يُعد خطوة نحو تهويد المجتمع الأمريكي؛ إذ يقوم على إلغاء الصلوات المسيحية وبعض روايات شكسبير من المدارس العامة، وإقامة محاكم يهودية في الأبنية العامة، والاهتمام بحقول التعليم وفق ما يتماشى مع أهداف المخططات

(١) فريخ، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢ - ١٩٣.

اليهودية السرية والعلنية التي ترمي بالتالي إلى الوصول إلى عنعنات الحكم ومراكز السلطة، وفعلاً نرى أن ممتلكات طرق المواصلات في المدن الأمريكية صارت في أيدي اليهود، وانتقلت المناصب القضائية في نيويورك والنقابات المهنية والمنظمات السياسية إلى أيدي اليهود، كما سيطرت الجماعات اليهودية المتنفذة على المحكمة العليا؛ حتى إن المدينة صارت وفقاً سياسياً وقضائياً على اليهود، ولم يكتفِ اليهود بهذا القدر من هذا النفوذ؛ بل إن عليهم أن يستحوذوا على مراكز السياسة الخارجية التي تدفع الولايات المتحدة باتجاه مصالحهم، وتحديد علاقتها الدولية وفقاً للخطط اليهودية المرسومة.

يقول جون بيتي في كتابه الستار الحديدي حول أمريكا:

«ومن المؤكد أن اليهود الخزر الذين هاجروا من روسيا إلى الولايات المتحدة كعملاء حقيقيين للسوفييت هم اليهود الذين عاشوا في الولايات المتحدة وتكيفوا بأسلوب الحياة فيها، إلا أن هناك حقيقة بارزة نحب أن نسجلها عن هؤلاء جميعاً؛ فالقادمون الجدد على اختلاف نزعاتهم كانوا أشد تصميمًا من سابقهم في مقاومتهم فكرة الاندماج في الحضارة المسيحية الغربية، كما كانوا أكثر ميلاً وعزماً على تحقيق أهدافهم بطريق الضغط المتكرر والتحيز السياسي، وفي النصف الأول

من القرن العشرين لم يستهو الحزب الجمهوري إلا عدد قليل من هذه الملايين التي قدمت من دول شرق أوروبا؛ ذلك لأنه كان حزب الأغلبية، ولم تكن به حاجة إلى مساومة أحد للانضمام إليه، أما الحزب الديموقراطي فكان على العكس من ذلك حزب الأقلية، وكان في حاجة شديدة إلى أصوات أكثر.

وحدث في عام ١٩١٢ أن انتخب وودرو ويلسون رئيسًا للجمهورية بأغلبية ساحقة، وكان ذلك بسبب الانشقاق في الحزب الجمهوري بين أتباع وليم هوارد تافت وبين أنصار تيودور روزفلت؛ فضلًا عن شدة حاجة الحزب الديموقراطي إلى مزيد من الأصوات؛ فقد كان حزبًا ينقصه التجانس بين الجماعات التي يتألف منها، ولعل هذا هو السبب الجوهرى الذي دفع بالكثيرين من مهاجري دول شرق أوروبا لاسيما المشتغلين بالسياسة منهم إلى الانضمام إليه<sup>(١)</sup>، وعندما وصف وليم براد فورد الحزب الديموقراطي في مقاله الشهير (مشروع ترومان لتنصيب إيزنهاور رئيسًا) قال عنه: «إنه ليس حزبًا سياسيًا على الإطلاق؛ بل هو مجرد عقد يقوم على أساس مصلحي بالنسبة لجماعة متناقضة يعد كل منهم الآخر»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) بيتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١ - ٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣.

لقد كان الحزب الديمقراطي يتكون في أوائل القرن العشرين من مجموعتين كبيرتين هما البروتستانت والريفيون من أهل الجنوب، والكاثوليك الشماليون من أهل المدن، وكانوا حماة للحضارة المسيحية الغربية، ثم كانت الجماعة الثالثة التي أخذ عدد أعضائها يتزايد بسرعة مدهشة منذ عام ١٨٨٠م، وكانت مؤلفة من مهاجري دول شرق أوروبا، وظهر منهم لويس برانديز اليهودي الذي جاء من براغ، وقد عينه الرئيس ويلسون رئيساً للمحكمة الأمريكية العليا لأسباب لا تزال مجهولة عند الشعب الأمريكي.

ولا بد أن نركز اهتمامنا بعض الشيء على هذا الرجل؛ نظراً لما بلغه من قوة ونفوذ بفضل ما شغله من مراكز قضائية وغير قضائية؛ ولأنه أيضاً رمز لمستقبل الحزب الديمقراطي، لقد ثارت بسبب هذا الرجل معركة تاريخية في مجلس الشيوخ كان سببها ما عرف عنه من تطرف في تصرفاته ومواقفه، ومن نقص في كفايته القضائية، وكانت هذه الصفات قد اعترضت من قبل سبيل تعيين سبعة من رؤساء نقابة المحامين الأمريكيين؛ ومن بينهم اليهودي ووزير الخارجية السابق، ووليام هوارد تافت رئيس الجمهورية السابق<sup>(١)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣ - ٣٤.

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي واجهت تعيين برانديز أصدر مجلس الشيوخ قرارًا بتاريخ ٥ يونيو ١٩١٦ يقضي بالموافقة على تعيينه، وكان هذا اليوم الذي صدر فيه القرار من أهم الأيام في التاريخ الأمريكي؛ لأنه أصبح لدينا للمرة الأولى في حياتنا منذ أوائل القرن التاسع عشر موظف كبير في مركز من أرفع المراكز في بلادنا تخالف ميوله الحقيقية مصالح الولايات المتحدة؛ موظف يفسر القانون لا على أنه نتيجة السوابق؛ بل طبقاً للنتائج التي يريدها المفسر، ولقد سجلت دائرة المعارف اليهودية العالمية مقالاً طويلاً عن القاضي برانديز هذا، جاء فيه: «شغل برانديز نفسه خلال الحرب العالمية بدراسة المراحل السياسية للقضايا اليهودية في كل بلد دراسة عميقة، ومنذ ذلك الوقت ركز كل اهتمامه الفعال على الصهيونية، فزار فلسطين عام ١٩١٩م لأسباب سياسية وتنظيمية، ومول عدة مشاريع اجتماعية واقتصادية هناك»، وبرانديز كقاضٍ لم يحاول أن يشغل نفسه بالمشكلات الأكاديمية كمسألة الملاءمة بين الأمريكيين وثقافة الأقلية مثلاً.

لقد ابتعد برانديز عن أصول القضاء المتفق عليها وأخذ يبذل كل جهوده في معالجة اقتصاديات الأقلية اليهودية في أمريكا، والاهتمام بالقومية اليهودية، لقد عبر عن حقيقة ما

يعتقد بقوله: إن فلسفتنا الفردية لم تعد تصلح أساسًا ملائمًا لمعالجة الحياة الاقتصادية الحديثة.

إن برانديز يحسب أن الدستور يجب أن يكون متحررًا، ويمكن أن يؤخذ هذا على أنه اتجاه جديد<sup>(١)</sup> من جانب المحاكم الأمريكية لاتخاذ وظيفة الهيئات التشريعية، ولم يكن هذا هو كل ما وصل إليه برانديز من سيطرة؛ بل أن نفوذه على الرئيس ولسون قد فاق الحد؛ فالمعروف أنه هو الذي دفع ولسون إلى الدخول في الحرب العالمية الأولى، وهو الذي ساعد على إطالة مدى هذه الحرب، الأمر الذي أدى في النهاية إلى زيادة الخسائر الدموية عند المشتركين فيها.



---

(١) فورد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨. وبيتي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

## المبحث الثالث

### اليهود الخزر واغتصاب فلسطين

مر بنا في الفصلين الثاني والثالث ما جرى ليهود الخزر منذ سقوط دولتهم وتشردهم في الدول والأقاليم المجاورة، وما تعرض له اليهود الخزر من الشعوب المضيفة لهم نتيجة ردود الفعل الطبيعية للممارسات التي تقوم بها الجاليات اليهودية من استغلال رؤوس الأموال للسيادة على خيرات البلاد التي تحل فيها، والسعي للوصول إلى المفاصل السياسية وأماكن صنع القرار وتوجيه البلاد بالصورة التي تتلاءم ومصالحهم؛ حتى لو كانت على حساب تلك الشعوب ومستقبلها؛ ففي المجر وبعد أن تمتع اليهود الخزر بمستوى من الحرية وامتلاك المناصب في الجيش أو الحكومة، وبعد ما تملك أثرياء اليهود من الأراضي والمقاطعات نرى أن الملك أندريه الثاني يستجيب لضغط البابا في تحديد نفوذ اليهود الذين لم يلبثوا أن هاجروا إلى البلاد الأوربية.

وفي بولندا منح أمراء بولندا رعاياهم اليهود الحماية والرعاية وحرية العمل والتملك حتى مكن اليهود من السيطرة على منابع رأس المال وأروقة التجارة المهمة، إلى أن غدت البلاد

برمتها تحت سيطرة ورحمة هؤلاء الأثرياء المرابين الذين لم يستطع الشعب كبت الحقد والعداوة ضدهم، وعلى الرغم من استمرار دعم السلطات البولندية لليهود إلا أن روما المسيحية فعلت مع بولندا كما فعلت مع المجر؛ إذ كانت خشيتها واضحة من خلال الانتقاد الموجه للسلطات البولندية التي سمحت لليهود ببناء المعابد العديدة والضخمة، بالوقت التي تبدو الكنائس المسيحية متواضعة بجانبها.

هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن نشاط اليهود السياسي أدى بالبلاد إلى التقسيم بين جيرانها وتشريد اليهود كما هو الحال في العقود السابقة كذلك، وفي روسيا وأوروبا وكل مكان يهاجر إليه اليهود لن يستقيم لهم كيان أو يستقر لهم حال، فهم لا يستطيعون أن يتعايشوا فيه مع البلاد المضيضة لهم، إذ إنهم شعب له مواصفاتهم العدائية ونظرياته الاعتلائية، وطموحاته في السيطرة والهيمنة على اقتصاد أي دولة يحل بها أتباعه.

وعلى هذا فقد تعرضت الجماعات اليهودية في مناطق شتاتها لأنواع كثيرة من المحن، امتازَ قسم منها بالاضطهاد الديني والعرقى كما حصل في روسيا لليهود الخزر من محاولة الترويس وإجبارهم على اعتناق المسيحية، أو بمصادرة أملاكهم وأموالهم جراء إيقاع الدول المضيضة لهم بأزمات مالية كان سببها اليهود، أو بالمذابح الجماعية كما حصل لهم في ألمانيا وغيرها.

وكل هذه دفعت باليهود إلى تأسيس الجمعيات والمحافل السرية منها والعلنية التي تدعو إلى وضع حلول لمشاكل اليهود مع المجتمع العالمي الشرقي والغربي، ووقف على رأس هذه الجمعيات مقررون منهم: تيودور هرتزل، واليهودي الفرنسي دريفوس، وبلفور وغيرهم كثيرون جاؤوا بمقترحات ومشروعات لإنقاذ وضع اليهود في العالم، وقد ساعدتهم بذلك جميع الدول التي كانت تعاني من ويلاتهم ومشاكلهم التي تلاقيهم كل يوم، وذلك ليس محبة بهم؛ بل بغية جمعهم في مكان واحد والتخلص مما تخلفه الجماعات والجاليات التي لم يتورع كثيرون من تسميتها (بالطفيلية)، يقول عبد الرحمن شاعر:

«أمّا القضية التي ظلت شغل هرتزل فعلاً فهي مصير اليهود الخزر الذي كان الترويس يمثل مأساة حقيقية لهم، فلم يجد الحل إلا في انتحال شخصية الشعب التاريخي الذي يقرؤون سيرته في التوراة، وهو شعب بني إسرائيل الذي لا ينتمي إليه هرتزل ولا غيره من الخزر، إلا أنهم يعتنقون عقيدته»<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من موافقة أغلبية (٥٠٠ صوت) في مؤتمر صهيوني حضره هرتزل على جعل أوغندا الوطن القومي لليهود إلا أن جمعية أحبة صهيون انسحبوا من المؤتمر، وأرسلوا إنذاراً إلى هرتزل مؤداه (فلسطين وإفلا)، والغريب هنا أن الذي

(١) شاعر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

أصروا على فلسطين هم الخزر الذين تبعدهم عنها كل الروابط  
والصلات الجغرافية أو التاريخية<sup>(١)</sup>.

أما الأدوار التي أداها البريطانيون في خدمة اليهود  
وتمكينهم من اغتصاب فلسطين فهي تتمثل في المواقف  
السياسية التي وقَّعها رجال الحكم في بريطانيا قبل أن يفكر  
اليهود أنفسهم في فلسطين. يقول الوزير البريطاني إيمري:  
«نحن نرى من وجهة النظر البريطانية الخاصة أن إقامة شعب  
يهودي ناجح في فلسطين، يدين بوجوده وفرصته إلى السياسة  
البريطانية، كسب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السويس من  
الشمال، ولضمان أداء دور المحطة للطرق الجوية من الشرق»<sup>(٢)</sup>.

لقد وجد مفكرو اليهود مدخلاً باطلاً يدخلون منه إلى بوابة  
الاجتصاب والتعدي واحتلال أراض ليست لهم ولا لأسلافهم؛  
يقول عبد الخوري حنا في كتابه (الحكم اليهودي على الدين  
والدنيا):

لقد انطلقت الحركة الصهيونية من التوراة ومن فكرة  
(أرض الميعاد) الواردة في التوراة لتضع هذه الفكرة موضع  
التنفيذ، فأى فرصة بين إبراهيم وموسى وأشعيا وبين حايم  
وايزمان الذي قال أمام اللجنة الملكية البريطانية في أثناء

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٢) الشمالي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦.

مناقشة المسألة الفلسطينية عام ١٩٣٧ م: «إن ميثاق الشعب اليهودي الحق هو وعد الله بأرض إسرائيل»، أو من هؤلاء وبين المتظاهرين اليهود عام ١٩٣٩ م ضد (الكتاب الأبيض) البريطاني الذين حملوا لافتات كتب عليها: «التوراة، لا الانتداب البريطاني حقنا في هذه الأرض».

ويوضح شموئيل أتسفر في كتابه (الشعب اليهودي وأرض إسرائيل) نوعية العلاقة بين اليهود و(أرض الميعاد)، فيقول: «وليس علاقة اليهود بإسرائيل علاقة شعب بأرض بلا حياة، بل قطعة أرض قابلة للسكن، وليس علاقة حب عادي للوطن، بل هي رباط روحي مقدس وحنين مفرق في القدم؛ ولئن عاش اليهود القرون خارج بلادهم فقد كانوا يتصرفون وكأنهم في إسرائيل». لم يكن اليهود يريدون أرضاً ما، أي أرض ليقوموا دولتهم عليها، فقد رفضوا أن تكون الأرجنتين أو أي مكان آخر موطناً لتلك الدولة.

وتمسكوا بـ (أرض الميعاد) الممتدة بين الفرات والنيل، فلا شك أن الدافع لهذا الاختيار والإصرار عليه كان دينياً، نذكر هنا أن رجال الدين اليهود خارج أرض فلسطين، يضعون في تابوت الميت من أتباعهم حفنة من تراب فلسطين المقدسة، دلالة على تمسكهم بهذه الأرض ورغبتهم بأن يكون قبرهم منها<sup>(١)</sup>.

(١) هنا، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤ - ٨٦.

إن تصريحات زعماء اليهود تؤكد بما لا يقبل الشك النوايا العدوانية اليهودية، يقول الإرهابي فلاديمير جابوتسكي ١٨٨٠-١٩٤٠م: «يجب أن تكون فلسطين ملكاً لليهود... ومن الضروري خلق وضع (الأمر الواقع)، والتوضيح للعرب أن عليهم مغادرة أراضينا والرحيل إلى الصحراء». ويقول الدكتور شمشون يونيتشمان - عضو المجلس الصهيوني العام-: «لا يمكن للأجانب والعرب أن يجروا حساباتهم دون التفات إلى المالكين الحقيقيين، يجب أن يفهموا أن لا شرق الأردن ولا القدس هي بالنسبة لنا موضع أخذ ورد ومساومة، إنها ملكٌ وسوف تكون لنا».

إن الصهيونية العالمية هي التعبير الفعلي عن معتقدات اليهود المبنية في توراتهم وتلمودهم، فقد جاء في وثيقة سرية كشف أمرها (خريطة مملكة إسرائيل كما وضعها زعماء إسرائيل، ونشرت في جريدة الجيل الجديد في ٢٨ كانون الثاني ١٩٦١م ما يثبت أن دولة إسرائيل يجب أن تشمل العراق والشام ولبنان والأردن؛ فضلاً عن فلسطين أي سوريا الطبيعية وقسمًا من السعودية ومصر<sup>(١)</sup>).

ويوضح هشام الدجاني في كتابه (اليهودية والصهيونية) دور بريطانيا في التخطيط لتوطين اليهود في فلسطين منذ العام

(١) حنا، المصدر نفسه، ص ٨٦.

١٦٢١م، ودعا محام بريطاني يدعى هنري فينش في كتابه (العودة العالمية الكبرى) إلى تأسيس إمبراطورية يهودية عالمية في الأراضي المقدسة، وفي العام ١٧٩٤م أصدر ضابط بحري بريطاني يدعى ريتشارد برودرس كتاباً دعا فيه إلى تجديد (مملكة إسرائيل)، وفي العام التالي اقترح نائب بريطاني تبني مشروع برودرس على أن حماية بريطانيا لمشروعات كهذه تجلت بصورة بعد استيلاء محمد علي على سوريا، حيث أدركت الحكومة البريطانية مدى أهمية (دولة فاصلة) بين مصر وبلاد الشام بالنسبة لمصالحها الإمبراطورية.

وفي ١١/٧/١٨٤٠. كتب وزير خارجية بريطانيا بالمرستون إلى السفير البريطاني في إستانبول يحثه على إقناع السلطان بفكرة عودة اليهود إلى فلسطين. وقامت الصحافة البريطانية بالدور الترويجي المطلوب، فكتبت التايمز ١٧/٧/١٨٤٠: «لم يعد الاقتراح الداعي إلى إسكان الشعب العبري فوق أرض أجداده تحت وصاية الدول الخمس الكبرى بمثابة انتظار المسيح؛ بل أصبح مسألة تستوجب النظر السياسي الجدي»، وكتبت صحيفة أخرى (غلوب) في العام نفسه: تقول: إن موضوع عودة اليهود إلى فلسطين «سيكون من الآن فصاعداً من الأحجار الكريمة الثمينة في التاج البريطاني».

وفي عام ١٨٤٥ م وضع الكولونيل البريطاني متفورد مشروعه الذي يدعو إلى استعمار فلسطين يهودياً تحت الحماية البريطانية، وجدد مساعيه ١٨٥٥ م عن طريق شراء الأراضي في فلسطين، وتكررت في تلك الآونة حمى المشروعات البريطانية الداعية إلى استعمار فلسطين بوساطة اليهود، مثل مشروع اللورد أشلي عام ١٨٥٤ م، ومشروع القنصل البريطاني في القدس عام ١٨٥٧ م، ومشروع جين هنري دونانت عام ١٨٧٥ م، وأيده في ذلك السير لورانس أوليفانت<sup>(١)</sup>.

وتذكر المصادر أن أغنياء اليهود قد قدموا طلباً إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني يطلبون فيه بيعهم مناطق واسعة في بحيرة طبرية لإسكان اليهود؛ إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني رفض ذلك قائلاً: «لأن ينقطع جزء من جسدي خير لي من أعطي شبراً من أرض فلسطين»<sup>(٢)</sup>.

وفي القرن السادس عشر دعا ديفيد روبين اليهود بالهجوم على فلسطين واحتلالها بالقوة، إلا أن ضعف اليهود آنذاك

---

(١) الدجاني، هشام، اليهودية، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٥. والفرد لينيتال، الأخطبوط الصهيوني، ترجمة: د. محمد الحسيندار، العلم

للملايين بيروت، ١٩٧٩، ص ١٢-١٨.

(٢) محمد علي أورخان، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، العراق، الرمادي، ١٩٨٧، ص ٢٨١ - ٢٨٥.

وتفكك أو اصرهم الاجتماعية وعدم امتلاكهم للقوة آنذاك لم تسمح لأحد بالاستجابة لهذه الدعوة، وفي نهاية القرن الثامن عشر كانت هناك محاولة لاستغلال حملات نابليون على المنطقة واحتلال فلسطين لكنها باءت بالفشل.

أمَّا القرن التاسع عشر فكان حافلاً بالممارسات والخطط الصهيونية والماسونية من خلال أروقة الدول الكبرى المحتضنة للجماعات اليهودية التي تتبنى جمع اليهود في وطن يتخلصون فيه من ممارسات اليهود التي طالما عانت منها تلك البلدان.

ويذهب أسعد رزوق في كتابه إسرائيل الكبرى قائلاً: إن أعضاء الجمعية اليهودية في لندن سارعوا بالطلب من جورج أتشلي -الذي عرف فيما بعد باسم إيرل شافنسبري- أن يستعمل نفوذه عند المرستون وجعل القنصلية البريطانية مسؤولة عن الأمور المتعلقة باليهود، فأصبح من أهم الأمور التي يجب أن تحققها القنصلية هو توفير الحماية لليهود في فلسطين، وتقديم تقرير عن اليهود في تلك المنطقة.

وكانت المنظمات اليهودية السابقة على الصهيونية والمنظمة الصهيونية نفسها مدينة لصندوق اكتشاف فلسطين الذي تأسس في إنكلترا عام ١٨٦٥م، وكان مسيحيو أوروبا ولا سيما إنكلترا مهتمين بالأرض المقدسة، فقد قدم هذا الصندوق

وهؤلاء المسيحيون خدمة ممتازة للحركة الصهيونية؛ فلم يتم اكتشاف على أيدي بعض الأفراد لأسباب دينية بحتة، وإنما كانت هناك دوافع أخرى؛ وفي وقت لاحق دعم هؤلاء الأفراد الحركة الصهيونية وأوجدوا تبرعات لها وغالوا في مناصرتهم للصهاينة حتى دعوا (الصهاينة المسيحيون)<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٨٨٢م ظهرت في روسية حركة يهودية عرفت باسم محبوسيهيون، وكان أعضاؤها من اليهود الروس الشباب الذين أرادوا الهجرة إلى فلسطين بدافع الميول الدينية، والرغبة الوطنية في أن يكونوا في فلسطين ويدافعوا عنها، فقد تأثر هؤلاء بأفكار ليون بنسكرا ١٨٢١-١٩٠٢م المنشورة في كتابه (التحرر الذاتي) ١٨٨٢م، وقاموا ببعض الأعمال نتيجة للقمع الذي عانوا منه في ظل السلطات القيصريّة ١٨٨٠-١٩٠٢م، وكانوا مخططين أن يجمعوا الأموال من أغنياء اليهود كي يشتروا أراضٍ في فلسطين؛ لكن السلطات العثمانية وعت نواياهم، وأصدرت الحكومة العثمانية قراراً عام ١٨٨٢م بمنع إقامة السواح في فلسطين إلا بهدف الزيارة فقط.

وفي مدة لاحقة انقسمت حركة أحباء صهيون إلى قسمين قبل أن تكتمل، بعد مؤتمريهم الذي عقده أعضاؤها في

(١) رزوق، أسعد، إسرائيل الكبرى، ص ٤٤ - ٤٥.

دروسكينكي عام ١٨٨٧ م فاتخذ القسم الأول اتجاهاً دينياً بينما اتخذ القسم الآخر اتجاهاً سياسياً، أما أعضاء الاتجاه الثاني المسمى إخوة (بناي موشي) بقيادة أحدهم عام ١٨٨٩ م حيث انتشرت أخويتهم هذه في بريطانيا وفي بعض الدول الأوربية الأخرى؛ فكان من بين أعضائها في المجتمع البريطاني صموئيل مونتاج صاحب أحد البنوك الكبيرة الخاصة في بريطانيا في ذلك الوقت، وأيليم هنري دافيجدور أحد المهندسين الكبار، وقد تقدم مونتاج بطلب إلى السلطان عبد الحميد بوساطة الأيرل روزبيري رئيس وزراء بريطانيا عام ١٨٩٤ م لإعطاء فلسطين لليهود؛ لكن السلطان رفض الطلب، وقد أصبحت هذه الجمعية أكثر تنظيماً عندما انضم إليها الكولونيل جولد سميث وأدخل إلى التنظيم طابعه العسكري، فأطلقت عليه بعض الصحف البريطانية اسم يشوع السبي الثاني، وقد قاده حماسه إلى رسم برنامج خاص للحركة، وكان هذا البرنامج يتضمن:

- ١- تعزيز فكرة الوطن القومي لإسرائيل.
- ٢- تشجيع اليهود على استعمار فلسطين والمناطق المجاورة لها عن طريق إنشاء مستعمرات جديدة ومساعدة المستعمرات الموجودة.
- ٣- إحياء اللغة العبرية وجعلها أكثر شيوعاً واستخداماً وأهمية من أي لغة أخرى.

#### ٤- تحسين وتطوير الأوضاع الحضارية والفكرية والمادية لإسرائيل<sup>(١)</sup>.

ويرى محمد عزة دروزه في كتابه (العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين) أن مراحل عدة دخلت فيها قضية اغتصاب فلسطين، بدأت في قرار الصهاينة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بإنشاء دولة يهودية في فلسطين وقد سبق هذا القرار محاولات تهجير عناصر يهودية من أوروبا وتوطينهم في فلسطين وتشجيع البريطانيين لهذه الهجرة ومساعدة اليهود وإغرائهم بذلك.

وقد تزامن هذا الأمر مع نشوء إمبراطورية عربية إسلامية تحت ولاية محمد علي في مصر الذي استولى على بلاد الشام وزحف على بلاد الأناضول، وهدد عاصمة الدولة العثمانية التي سارعت هي الأخرى بطلب المساعدة من روسيا، مما أزعج البريطانيين والفرنسيين الذين كانوا يطمعون في أقسام من الدولة العثمانية، الأمر الذي دفع الدول الأوروبية إلى عقد مؤتمر يدعو محمد علي إلى سحب جيوشه من الأناضول مقابل ولايته على الشام طيلة حياته، ولما تلكأ وسعت إنذاره إلى سحب جيوشه من الشام أيضًا واقتصار ولايته على مصر فقط، وهذا

---

(١) حداد، مهنا يوسف، (دكتور) الرؤية العربية اليهودية، منشورات ذات السلاسل الكويت، ١٩٨٩، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

ما الحدث شجع بريطانيا على التفكير جدياً بمساعدة اليهود للهجرة إلى فلسطين وإنشاء بعض المستعمرات فيها، بحيث تكون هذه المستعمرات حاجزاً بشرياً يمنع اتحاد مصر ببلاد الشام، وبالوقت نفسه تكون هذه المستعمرات نواة لتأسيس الدولة اليهودية في فلسطين.

وبعد ذلك بنحو عشرين سنة نشطت جماعة تسمى نفسها (محبو صهيون)، وقد عملت هذه الجماعة على شراء الأراضي في فلسطين وتهجير اليهود من أوروبا إليها أيام كان اليهود يتعرضون لمصادرة ممتلكاتهم وأموالهم في أوروبا، وحظيت هذه بمساعدة (آل روتشيلد) في بريطانيا وفرنسا، وهؤلاء كانوا يملكون أكبر المصارف المالية في أوروبا والغرب، وقد تم فعلاً شراء كثير من الأراضي في السواحل الفلسطينية وما بجوارها، وإنشاء المستعمرات اليهودية عليها، وهذه الحالة أثارت الرأي العام الفلسطيني؛ فتقدموا بطلبات ومضابط إلى السلطات العثمانية يطلبون فيها وقف هجرة اليهود واستيطانهم، وفعلاً أصدرت السلطات العثمانية تعليمات بمنع تملك اليهود الأراضي وعدم السماح لهم بالإقامة لأكثر من ثلاثة أشهر.

لكن الجهود المستمرة من اليهودي النمساوي هرتزل وغيره من زعماء اليهود القادمين من شرق أوروبا استطاعت

أن تجمع زعماء اليهود ومثقفهم في مؤتمر عام ١٨٩٧م، وكان هذا المؤتمر يدعو إلى وضع مخرج للمأزق الذي يعيشه اليهود الأوربيون؛ إذ استحال عيشهم بين الملل الأخرى نتيجة انغلاقهم ومواقفهم التي تحملوا من جرائمها مطاردتهم ومصادرة أموالهم والاعتداء عليهم، وهذا المؤتمر لم يكن قد عين فلسطين حصراً؛ بل كان هناك خيارات أخرى لإنشاء وطن قومي لليهود؛ إما من الأرجنتين، أو أوغندا، أو أفغانستان، أو فلسطين؛ غير أن أغلبية المؤتمرين قرروا أن تكون فلسطين هي المكان التي تنشأ فيه (الدولة اليهودية).

ولقد كان لهذا المؤتمر بقراره هذا وبما قرر إنشاءه من اللجان والتنظيمات السياسية والاقتصادية والإعلامية، وما صار له من اجتماعات سنوية أثراً قوياً في إبراز المطامع الصهيونية في فلسطين، وبذل الجهود الكبيرة المتنوعة في سبيل تحقيق القرار الذي قرره بما لا يقاس عليه ما كان من حركات ومحاولات قليلة؛ لأنه صار حاسم الاتجاه والجهود والهدف، ولقد أخذ أركان التنظيم السياسي يسعون مع الدول الكبرى للحصول على تعييدها، وقد توزعوا الأدوار؛ فكان منهم من يسعى لدى قيصر روسيا، ومنهم من يسعى لدى إمبراطور ألمانيا، ومنهم من يسعى مع الحكومات الإنكليزية والفرنسية والأمريكية، وكان هرتزل طيلة السنين التي عاشها بعد المؤتمر الأول -توفي

١٩٠٤م- اللولب والقطب في كل ذلك، وقد ركز مساعيه خاصة في الحكومة العثمانية صاحبة السيادة والحكم في فلسطين؛ بل كانت مساعيه ومساعي رفاقه من الدول الكبرى الأخرى بقصد الاستعانة بها وتأثيرها على هذه الحكومة في سبيل الحصول على إذنها بهجرة اليهود إلى فلسطين، وإنشاء كيان يهودي فيها، ولقد استطاع مقابلة السلطان عبد الحميد الثاني وطلب منه ذلك على أن يكون ذلك الكيان تحت سيادة الدولة وقوانينها، وأغراه باستعداد اليهودية العالمية لمساعدة الدولة مالياً وسياسياً، ولكن السلطان رفض العرض رفضاً قاطعاً قائلاً: إن فلسطين ملك للمسلمين ولا يمكن بيعها.

ولقد حاول (هرتزل) أن يجد طريقاً إلى استعمار قبرص أو سيناء؛ لتكون محطة قفز إلى فلسطين في الفرصة المناسبة، ولكن محاولته تعثرت بفرض مصر والماندوب البريطاني (كرومر). ومع المحاولات السياسية التي استمرت بعد (هرتزل) بسنتين أخذ إذن رسمي للهجرة والاستعمار الكثيف، فقد ظلت تتعثر؛ فإن المنظمة الصهيونية أخذت تبذل جهودها لتحقيق مطامعها بدون ذلك الإذن، حيث توسعت في تهجير اليهود من شرق أوروبا ووسطها، وشراء الأراضي وإنشاء المستوطنات، واستطاعت أن تصيب شيئاً من النجاح بمختلف الأساليب، حيث بلغ عدد المستعمرات التي أنشئت قبل وعد بلفور ٣٥ مستعمرة بين كبيرة وصغيرة وفي مناطق يافا وحيفا وطبريا

وصفد على نحو (٨٥) ألف هكتار، وبلغ عدد المهاجرين نحو سبعين ألفاً، بالإضافة إلى نحو (١٠٠٠٠) من السفاديم كانوا في فلسطين قبل الحركة الجديدة، وقد نظم المهاجرون الجدد لأنفسهم مستعمراتهم الخاصة كمجتمع يهودي مستقل بمحاكمه ومدارسه وبريده وطوابعه وحياته الخاصة ومجالسه وحراسة المسلحين، وبرز كيان شبه سياسي لا تخفى مطامعه البعيدة؛ ليكون العمل اليهودية باسم (العمل العبري)، ولما أعلن الدستور العثماني في تموز يوليو عام ١٩٠٨م وخلع السلطان عبد الحميد في نيسان إبريل ١٩٠٩م اشتد نشاطهم في توطيد أقدامهم وتوسيع حركتهم؛ مستغلين وجود أفراد من اليهود العثمانيين برزوا في جمعية الاتحاد والترقي التي كانت وراء إعلان الدستور وخلع السلطان ووجود عدد آخر بارز منها كانوا من المتظاهرين في الإسلام ينتمون إلى أصل يهودي، توصف طبقتهم بوصف الدولة إلى العائدين المرتدين.

ولقد بذلت المنظمة جهودها في سبيل إلغاء القيود السابقة على الهجرة والتملك للأراضي، واستطاعت أن تخففها حتى درجة الإلغاء بمساعدة اليهود المرتدين البارزين في الاتحاد والترقي، كما استطاعت أن تشتري مساحات واسعة من الأراضي التي كانت في ملكة ملاك لبنانيين وأهمها مساحة واسعة من (فرج ابن عامر) من آل سرسق، وتطلعت إلى وضع

يديها على ما عرف بالأراضي المدورة في غور بيسان والفارعة التي كانت مساحتها تبلغ مئات الآلاف من الدونمات، ودفعت سمسار لبناني اسمه نجيب الأصفر لبذل جهوده وأخذ الامتياز باسمه بطريق الإعارة، وسارت في سبيل ذلك أشواطاً وإن لم يتحقق ما أرادت، ولقد كان من صهاينة من يحاول التعمية والخداع على مقاصد البعيدة ويظهر الرغبة في حسن التعايش والتعامل والتفاهم مع العرب، ويصور الحركة حركة بريئة من المطامع السياسية، ويظهر نشاطاً في سبيل تحقيق ذلك، في حين كان منهم من يصرح بالمقاصد البعيدة للحركة من الهجرة والاستيطان وبسط السلطات اليهودية نفوذها ليس في فلسطين فحسب بل يمتد إلى مساحات واسعة من شرق الأردن وحوران والجلولان ولبنان وسيناء بزعم أنها وطنهم التاريخي وأرض إسرائيل، وأنهم الأحق بها دون العرب، ويستهيئ بالعرب ويهتف بأنه عليهم الرحيل عاجلاً غير آجل من هذه الأرض؛ ليقيموا فيها دولة لهم وحدهم، ولقد حاولوا التقرب من جمعية الاتحاد والترقي بحجة أنها من تقويتها لهم ضربة للحركة العربية القومية التي برزت بعد إعلان الدستور.

وفي الوقت نفسه حاولوا التقرب إلى أركان الحركات القومية العربية لا سيما في مصر بحجة أنهم يستطيعون أن يعضدوا حركتهم دولياً ومادياً، كما أنهم قادرين على دفع

البلاد العربية نحو الازدهار والرقى، وكانت هناك ردود فعل في البلاد العربية تتمثل في الإعلام والصحافة، وبالوقت نفسه يقوم اليهود بتوطيد أقدامهم وإدخال السلاح ووضع الحراسات على مستعمراتهم ومنشآتهم، لكن الأمر تفاقم ووصل إلى طرد أصحاب الأراضي الزراعية الفلسطينية منها والتي تم شراؤها من اللبنانيين، وعلى الرغم من أن هناك من العرب والمسلمين من كان يعي المؤامرة الكبرى ومستقبل الأوضاع وما ستؤول إليه، لكن قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م أدخل القضية الفلسطينية مدخلاً جديداً؛ إذ ازداد نشاط اليهود وتحركاتهم نحو الدول المتحاربة، مقدمين الرشاوى لهذه الدولة والإغراءات لتلك والمساعدات للأخرى، وهكذا أستطاعوا أن يدخلوا أنفسهم بالحرب مع الدولة العثمانية بعدما تيقنوا سقوطها؛ ليجعلوا من ذلك ورقة تخولهم قبض ثمن المشاركة وهو توطيدهم بالأرض الفلسطينية، وفعلاً تم ذلك لهم عندما أصدر وزير خارجية بريطانيا وعد بلفور المشؤوم في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، ويقضي هذا الوعد بمساعدة اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.





## الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة التي من الله عليَّ بإكمالها لا بد لي أن أذكر ما خلصت إليه من خلال الإفادة من المصادر والمراجع التاريخية التي اعتمدت عليها في دراستي هذه، وأستطيع أن أجملها بالنقاط الآتية:

- ١- في الفصل الأول لم أجد أي مصدر سماوي أو تاريخي يثبت أن اليهودية ديانة سماوية.. وأن ما ورد في القرآن الكريم من نصوص كلها تبعدنا عن أي احتمال بالقول في ذلك. كذلك فيما يخص الأحداث التاريخية وما تفتقر إليه أسفار العهد القديم والجديد وحتى المكتشفات الأثرية والتنقيبات.
- ٢- إن شعب الخزر يضم قبائل وثنية كانت لهم قوة وكيان أدوا من خلالها أدواراً سياسية في الأقاليم المحيطة ببحر الخزر وحوض نهر الولغا وقسم من شرق أوروبا، وأنهم اعتنقوا الديانة اليهودية في القرن الثامن الميلادي أيام الخليفة هارون الرشيد، ولم يكونوا يعرفون عن الديانة اليهودية شيئاً ولا عن طقوسها بديلل أنهم كانوا يلتمسون من يهود العراق من يذهب إلى بلدانهم لتعليم أبنائهم الدين اليهودي، وأن

سبب اعتناق اليهودية سياسي بحت بعد أن وجد ملك الخزر نفسه أمام خيارين إما أن يتبع دين الخلافة العباسية في بغداد وإما أن يكون تابعاً للكنيسة البيزنطية.

٣- أظهرت الدراسة أن لليهود الخزر كياناً سياسياً وعسكرياً كان يوازي القوى الأخرى المحيطة به من دول واقاليم، وأن الكيان المتهود آنذاك كانت له طموحات وأطماع في السيطرة والهيمنة على الدول المجاورة، وفرض ما يستطيع أن يفرضه من أمور تخوله بها قوته السياسية والعسكرية.

٤- ورد في الدراسة حروبٌ وغزوات عديدة كانت بين اليهود الخزر ودول الجوار، وأنها كانت سبباً للنزعات والرغبات المتأصلة في نفوس اليهود الخزر بطلب العيش على حساب الآخرين.

٥- أن الشتات اليهودي بعد سقوط دولة الخزر على يد المغول كان سبباً في نشوء التجمعات اليهودية والحركات الصهيونية وتسييس الدين اليهودي لمصلحة اليهود أنفسهم والتخطيط المستمر للهيمنة على أي مجتمع يحلون فيه.

٦- أن ممارسات اليهود التي شملت السيطرة على منابع المال والممارسات الربوية التي أوقعت الأشخاص والحكومات بشرك الإفلاس والممارسات السياسية التي كانت ترفضها

شعوب وحكومات أوروبا من تغفل اليهود في عنعنات الدولة ومفاصل الحكم بأساليبهم الخبيثة وتوجيه سياسات الدول التي يلجؤون إليها لصالحهم، كلها دفعت بتلك الدول إلى رفض الجماعات اليهودية والسعي لإخراجها من صفوف مجتمعاتها.

٧- إن الجهود التي بذلتها بريطانيا والغرب والولايات المتحدة الأمريكية لإيجاد وطن قومي لليهود ليس من منطلق إنساني أو أخلاقي، وإنما هو فقط للخلاص مما كانوا يعانونه من ممارسات الجماعات اليهودية في جميع بلادهم، والتي كانت حاجزاً يمنع التطور والنمو والانتعاش الاقتصادي؛ بل بالعكس كانت الدول المضيفة للجماعات تعاني من الويلات والحروب والانتكاسات الاقتصادية على الدوام بسبب ما يخططه ويبتزه اليهود، ولم تحصل تلك الدول على استقرارها ونموها إلا بعد التخلص من الجماعات اليهودية وتهجيرها إلى فلسطين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.





## (المصادر والمراجع)

### «بعد القرآن الكريم»

- ١- أبوعساف، علي (دكتور) الأراميون تأريخًا ولغةً وحكمًا، دار أماني، دمشق، ١٩٨٨م.
- ٢- أبوالفداء، السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ت ٧٣٢هـ، تقويم البلدان، صححه رينود مدرس العربية والبارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٥٠م.
- ٣- أسود، عبد الرزاق، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ج ١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨١.
- ٤- أمين، أحمد (دكتور) زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة، بلا مكان طبع، ١٩٤٩م.
- ٥- ابن أعثم، العلامة أبو محمد أحمد الكوفي، الفتوح، المجلد ٧-٨، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا سنة طبع.
- ٦- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الملقب بعز الدين، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

- ٧- ابن العبري، العلامة غريغوريوس المالطي، تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٨- ابن العديم، أبو القاسم، عمر بن أحمد بن هبة الله، زبدة الحلب من تاريخ حلب ج ٣، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥١م.
- ٩- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٠- ابن النديم، الفهرست، تحقيق جوهان روجر، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٤م.
- ١١- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- ١٢- ابن خلدون، العلامة المؤرخ عبدالرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- ١٣- ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري البصري، ت: ٢٤٠هـ - ٨٥٤م، تاريخ خليفة بن خياط، حققه: سهيل زكار، مطابع دار وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٧م.

- ١٤- ابن كثير، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن محمد القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، الجزء الأول، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.
- ١٥- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإغريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، بدون سنة طبع.
- ١٦- أتلخان، جودا رفعت (جنرال) أسرار الماسونية، ترجمة: نور الدين رضا الواعظ، سليمان محمد أمين القابلي، بلا مكان طبع، ١٣٧٦هـ.
- ١٧- إسكندر، فايز نجيب (دكتور) استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينيا (آني) (٤٥٦هـ - ١٠٦٤م)، دار نويار للطباعة، دار الفكر الجامعي للنشر، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٧م.
- ١٨- إسكندر، فايز نجيب (دكتور) أرمينيا بين البيزنطيين والأتراك والسلاجقة في مصنف أريستاكيس اللستيغراتي، المطبعة العصرية، الإسكندرية، ١٩٨٣م.
- ١٩- الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، مطبعة علاء، ١٩٧٩م.
- ٢٠- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، عالم الكتاب للنشر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- ٢١- الأضطخري، أبو إسحق محمد بن إبراهيم الفارسي،  
مسالك الممالك، بريل، ليدن، ١٩٢٧م.
- ٢٢- البستاني، المعلم بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان،  
بيروت، طبعة جديدة، ١٩٨٣م.
- ٢٣- البغدادي، صفي الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق، ت:  
٧٣٩هـ، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،  
تحقيق: محمد علي البجاوي، المجلد الأول، دار المعرفة  
للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٤م.
- ٢٤- البلاذري، الإمام أحمد بن يحيى بن جابر، البلدان  
وفتوحاتها وأحكامها، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر  
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٥- الجميلي، عبد الله، بذل المجهود في مشابهة الرافضة  
 لليهود، ط٢، مطبعة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة،  
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٦- الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين، أبو عبد الله ياقوت  
ابن عبد الله الحموي الروسي البغدادي، معجم البلدان،  
المجلد الثاني، بيروت، ١٩٦٨م.
- ٢٧- الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر  
الأقطار، حققه: إحسان عباس، ط٢، مطابع دار السراج،  
مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

- ٢٨- الخوري، حنا عبده (دكتور) الخطر اليهودي على الدين  
والدنيا، دار الركن للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٢٩- الدجاني، هشام، اليهودية والصهيونية، دار الحقائق  
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
- ٣٠- الدينوري، أبوحنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال،  
المكتبة الأزهرية، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، بلا  
سنة طبع.
- ٣١- الرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.
- ٣٢- الزواوي، ربيع عبد الرؤوف، المفسدون في الأرض (اليهود)  
تاريخهم الأسود ومخططاتهم لمستقبل الإسلام، دار  
الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٨م.
- ٣٣- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من  
جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، ج ١١.
- ٣٤- الزمخشري، أبو قاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي،  
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه  
التأويل، الجزء الثاني، دار الحديث، القاهرة ١٩٨٣م.
- ٣٥- الساداتي، حسن أحمد محمود (دكتور) تاريخ الدول  
الإسلامية بآسيا وحضارتها، مكتبة نهضة الشرق،  
القاهرة، ١٩٨٧م.

- ٣٦- السيد، محمود، (دكتور) التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١م
- ٣٧- الشمالي، نصر، ملاحظات أساسية حول المسألة اليهودية، - ط٢، مكتب الخدمات للطباعة، دمشق، ١٩٨٥م.
- ٣٨- الشمالي، نصر، والدجاني، هشام، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٠م.
- ٣٩- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، قصص الأنبياء، تقديم مصطفى عبدالقادر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٤٠- العاني، رشدي محمود، الحقيقة التاريخية لعلاقة يهود الخزر والدونمة ببني إسرائيل، منشورات شركة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م.
- ٤١- الفرناطي، عبدالرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي، تحفة الألباب نخبة الإعجاب، تحقيق: إدريس إسماعيل المغربي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٤٢- الفاروقي، إسماعيل راجي (دكتور) الملل المعاصرة في الدين اليهودي، معهد البحوث والدراسات الإسلامية، جامعة الدول العربية، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، ١٩٦٨م.

- ٤٣- الفاروقي، إسماعيل راجي (دكتور) أصول الصهيونية في الدين اليهودي، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، مطبعة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٤٤- الفرد ليلينثال، الأخطبوط الصهيوني، ترجمة: محمد الحسين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م.
- ٤٥- الفيروز آبادي، الشيخ مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- ٤٦- القرويني، الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للنشر، بيروت، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.
- ٤٧- الكتاب المقدس، العهد العتيق، الطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٣.
- ٤٨- الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٢م،
- ٤٩- الكتاب المقدس، كتب العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس، ١٩٦٦م.
- ٥٠- الكيالي، عبد الوهاب (دكتور) تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٠م.

- ٥١- الكيالي، عبد الوهاب (دكتور) الموجز في تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧١م.
- ٥٢- المدرس، علاء الدين، الظاهرة القرآنية والعقل، دراسة مقارنة للكتب المقدسية، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦م.
- ٥٣- المدور، مروان، الأرض، عبر التاريخ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٥٤- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٩م.
- ٥٥- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسن بن علي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.
- ٥٦- المسعودي، أبو الحسن، علي بن أبي الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٩م.
- ٥٧- المسيري، عبد الوهاب، الإيديولوجية الصهيونية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨م.
- ٥٨- المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.

٥٩- المغربي، أبو الحسن بن علي بن موسى بن سعيد، كتاب الجغرافيا، وضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل المغربي، منشورات المكتب التجاري، للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، بلا سنة طبع.

٦٠- المقدسي، المعروف بالتباري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهمشه: الدكتور محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٦١- النعيمي، أحمد نوري (دكتور) اليهود والدولة العثمانية، دار الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠م.

٦٢- النعيمي، أحمد نوري (دكتور) يهود الدونمة، دراسة في الأصول والعقائد والمواقف، دار النشر للتوزيع والنشر، بغداد، ١٩٩٥م.

٦٣- النعيمي، أحمد نوري (دكتور) الدور السياسي ليهود الدونمة في تركيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ٢٠٠١م.

٦٤- النعيمي، أحمد نوري (دكتور) اليهود والدولة العثمانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.

٦٥- بارتولد، ف. ف، دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى، ترجمة: عزيز حداد، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٧٣م.

- ٦٦- بشور، وديع (دكتور) صهاينة الخزر، بلا دار نشر، دمشق، سورية، ٢٠٠١م.
- ٦٧- بوكاي، موريس (دكتور) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٨١م.
- ٦٨- بيتي، جون، الصهيونية لعبتها أمريكا، دار النشر للجامعيين، لبنان، بلا سنة طبع.
- ٦٩- بيتي، جون، الستار الحديدي حول أمريكا، ترجمة: عبد المنعم صادق، طبع دار النشر للجامعيين، جمعية الوعي القومي، القاهرة، بلا سنة طبع.
- ٧٠- جولد بيرج، جوناثان، القوة اليهودية داخل المؤسسة اليهودية الأمريكية، ترجمة: خالد حداد، الذاكرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٧١- جولد بيرج، جوناثان، قوة اليهود في أمريكا، بلا مترجم، دار الهلال، بلا مكان طبع، ١٩٧٧م.
- ٧٢- حجاوي، سلافة (دكتور) اليهود السوفييت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠م.
- ٧٣- حجاوي، سلافة (دكتور) اليهود السوفييت دراسة في الواقع الاجتماعي، مركز للدراسات الفلسطينية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠م.

- ٧٤- حدادن مهنا يوسف (دكتور) الرؤية العربية لليهودية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٩م.
- ٧٥- حدة، حسن (دكتور) الجذور اليهودية- تاريخ اليهود، العربي للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، بلا سنة طبع.
- ٧٦- حسونة، خليل إبراهيم، الماسونية قديماً وحديثاً (دراسة في الحركة التنظيمية - اليهودية وجمعياتها منذ هرم الهيكل المزعوم حتى الآن) بلا مكان طبع، طرابلس، لبنان ١٩٩٤م.
- ٧٧- حطييط، أحمد (دكتور) حروب المغول، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٤م.
- ٧٨- حلمي، أحمد كمال الدين (دكتور) السلاجقة في التاريخ والحضارة ذات السلاسل الكويت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٧٩- حماد، أحمد أحمد بن فضلان بن العباسي بن راشد، رسالة ابن فضلان، تحقيق: سامي الدهان، المجتمع العلمي العربي، دمشق، سورية، بلا سنة طبع.
- ٨٠- داود، أحمد، العرب والساميون وبنو إسرائيل واليهود، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩١م.
- ٨١- دروزة، محمد عزت، العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها، ج٢، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

- ٨٢- دنلوب، د. م. تاريخ يهود الخزر، نقله للعربية وقدم له: دكتور سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط٢، دمشق، سورية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٨٣- زعرور، إبراهيم محمود، وأحمد، علي سلمان، اليهود في الأندلس خلال العصور الوسطى، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٩م.
- ٨٤- سرقيس، خليل، تاريخ أورشليم القدس، دار علاء الدين، للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سورية، ٢٠٠١م.
- ٨٥- سنقرط، داود عبد الغفور، أبناء يهود في الخفاء، جذور الفكر اليهودي، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٣م.
- ٨٦- سوسة، أحمد نسيم (دكتور) العرب واليهود في التاريخ، ط٥، منشورات دار الرشيد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١.
- ٨٧- سوممر، دويون، الآراميون، تعريب: ناظم الجندي، راجعه ودقته وقدم له: الدكتور توفيق سليمان، دار أماني للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٨م.
- ٨٨- شاكرا، عبد الرحمن، دولة الخزر الجديدة (إسرائيل)، دار مصباح الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨١.
- ٨٩- شلبي، أحمد (دكتور) مقارنة الأديان (اليهودية)، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥.

- ٩٠- صحيح مسلم، الجزء الرابع، دار الحديث، القاهرة.
- ٩١- صفوت، نجدت فتحي، بيرو بجان التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي يهودي، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٣م.
- ٩٢- طعيمة، صابر عبد الرحمن، الماسونية ذلك العالم المجهول، ط٦، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٩٣- طعيمة، صابر، التاريخ اليهودي العام، دار الجبل، بيروت، ١٩٧٥م.
- ٩٤- طنطاوي، محمد سعيد (دكتور) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، ج ١، مطبعة حامد خير، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٩٥- عبد الحليم، مصطفى كمال (دكتور)، وارث، سيد فرج (دكتور) اليهود في العالم القديم، دار القلم، لبنان، ١٩٩٥م.
- ٩٦- عبد اللطيف، محمد عبد الرحمن، وعد الله ليس لبني إسرائيل، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، ١٩٧١م.
- ٩٧- عبد المجيد، محمد بحر (دكتور) اليهود في الأندلس، دار الفكر، لبنان، ١٩٨٣م.
- ٩٨- عرنوق، مفيد، الإيديولوجية اليهودية في شقيها التوراتي والصهيوني، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٩م.

- ٩٩- علي، جواد (دكتور) تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، مطبعة المجتمع العراقي العلمي، بغداد، ١٩٥٦م.
- ١٠٠- غارودي، روجيه، قضية إسرائيل، ترجمة: نزيه الشوييف، مطبعة المنارة، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٠١- غريمال، بيار، وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام، ترجمة: أنطوان. أ. الهاشم، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.
- ١٠٢- غنيم، عبدالرحمن، اليهود بين القرآن والتوراة ومعطيات التاريخ القديم، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية.
- ١٠٣- فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى الحاضر، ترجمه وعلق عليه: الدكتور أحمد محمود الساداتي، راجعه: الدكتور يحيى الخشاب، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٨٧٢م.
- ١٠٤- فريخ، غازي محمد، النشاط اليهودي في الفكر والممارسة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ١٠٥- فريدمان، بنيامين، يهود اليوم ليسوا يهوداً، إعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- ١٠٦- فواز، مداهش في الرواية الصينية العائدة إلى (تورطويا)  
تردمت في سان جولييان المجلة الآسيوية - ١٩٦٤م.
- ١٠٧- فورد، هنري، اليهودي العالي، تعريب: خيري حماد، دار  
الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٦٢م.
- ١٠٨- فيتش، شيريب، حكومة العالم الخفية، ط١٠، دار  
النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان،  
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٠٩- كار، وليام غار، أحجار على رقعة الشطرنج، تعريب  
سعيد الجزائري، دار النفائس، ط٩، ١٩٨٧م.
- ١١٠- كوحوك، النفاق والدونمة.
- ١١١- كيستلر، آرثر، القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم،  
ترجمة: أحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، مصر، ١٩٩١م.
- ١١٢- لاصب، هارولد، سليمان القانوني سلطان الشرق  
العظيم، شكري محمود نديم، بغداد، بلا سنة طبع.
- ١١٣- لانجر، وليام، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، أشرف على  
الترجمة: الدكتور محمد مصطفى زيادة، مكتب النهضة  
المصرية، ١٩٥٢م.

- ١١٤- لوثر، مارتين (دكتور) نفاق اليهود، ترجمة: عجاج نويهض، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤م.
- ١١٥- ليلنتال، الفريد، ثمن إسرائيل، ترجمة: حبيب غولي وياسر هوارى، كتاب الملايين، ١٩٥٤م.
- ١١٦- ليون، إبراهيم، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩م.
- ١١٧- مأمون، سعيد، حكومة العالم الخفية، ط٩، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.
- ١١٨- مؤنس، حسين (دكتور) أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- ١١٩- مؤنس، حسين (دكتور) معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ١٢٠- مارون، ج٣، مذكرات وايتيرمن، ١٩٥٢م.
- ١٢١- مجلة العربي الكويتية، العدد ٩١، يونيو (حزيران) ١٩٦٦م.
- ١٢٢- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ت: ٢٥٦ هـ، صحيح البخاري، مطابع الشعب، القاهرة، ١٣٧٨هـ.
- ١٢٣- محمد، مصطفى، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، بلا سنة طبع ولا مكان.

- ١٢٤- محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
- ١٢٥- مقار، شفيق، الجنس في التوراة والعهد القديم، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩م.
- ١٢٦- ناجي، سلمان (دكتور) المفسدون في الأرض أو جرائم اليهود السياسية والاجتماعية في العالم، ط٢، دار العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق ١٩٧٣م.
- ١٢٧- نبراس قيد، هنري جيمس، العصور القديمة، نقله إلى عربية: دار ودقربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٢٨- همو، عبد المجيد، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سورية، ٢٠٠٣م.
- ١٢٩- همو، عبد المجيد، جذور اليهود أمام النقض التاريخي، دار الحافظ، دمشق، سورية، ١٩٩٩م.
- ١٣٠- همو، عبد المجيد، هل اليهودية ديانة سماوية، دار غار حراء، دمشق، سورية، ١٩٩٩م.

١٣١- ويلز، ه. ج، معالم تاريخ الإنسانية، ج٣، تعريب:  
عبدالعزیز توفیق جاوید، راجعة: أ- محمد مأمون  
نجا والدكتور عبدالحمید یونس، مطبعة لجنة التألیف  
والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠م.



### «المصادر الأجنبية»

- 1- Bernand Lewis، the Jews of Islam، London، 1948 ، P.61.
- 2- Akdes Nimet Kurat، IV X III، Yu2yillarda ve Devletleri and.1972، (P.37).
- 3- Dono Dunlop « the Jewish Khazars « NY 1967، (ss chec keb books) (P.57).



## ABSTRACT

The present study addresses itself to investigate the states of Al Kazer Jew through utilize of historical references which I depended in my research and concluded as follow:

1. In chapter one, I did not founded any shgey and historical references ensure that Jewess is Judaism and what remember in Holly Quran to move a way from this yaying and historical events ensure it.
2. The people of AL-Kazer included of heathen tribe and they have entity and force to exercise a political roles in surrounding regions of Al-Kazer sea and Volka river and part of east Europe and they embrace Judaism in 18 A.D at ear of Harron Al-Rashed and they didn't understand any thing of Judaism that they request of Iraqi Jew to go to them to edjuctation children Judaism and the reason of embracement Judaism was pure political that the king of Kazer facing one of tow chooses either follow Abasi clipheth dectrein in Baghdad or Roman church.
3. As to Al-Kazer Jew, their was a military and political entity to be equal onther forces of statues and regions and for this entity at that time ambitious and avidities in control and domination upon neighboring nations.
4. We remember, in this research, more of wars between Al-Kazer Jew and neighboring nations which it was reason of conflicts and rooted wshises in jew themselves.

5. The scattering of Jew after fall Al-Kazer statues was reason in stem of Jew politiesson of judasim for Jew interest and continuous planning to governance of any society live in it.
6. The Jewish exercises which including of the control on source of money and usurious transactions to hem in person and government of snare bankrupusy and political transactions which people and government of Europe refuse permeance of Jew with malicious methods to governance society and forward state political which resortre making these nations to refuse Jew congregation and persecution them in Russian and Poland and England and Germany not with Muslem hands.
7. The efforts which grant Britain and west and U.S of existence a nationed homeland of Jew was not at humanien or eithical base but to salvation of what they suffer of Jew congregation in all of their country which were obstacles prevent a development and growth and economical revival but the hostess states to these congregation suffer of wars and economical crash on going because what the Jew were planning.



ALKAZER JEWS AND THERE  
POLITICAL ROLES IN HISTORY  
Dr.RUSHDI. M. AL ANI